مجلة جامعة أم القرى
لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد (٦٦)

جمادى الأولى ١٤٣٧هـ/ مارس ٢٠١٦م

رقم الإيداع ١٤٣٣/٢٥٥ تاريخ ١٤٣٣/٩/١٥هـ/ ردمد ٤٦٤٣-١٦٥٨

قواعد النشر

١- تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية حسب المواصفات التالية:

أ. يقدم صاحب البحث أربع نسخ ورقية، ونسخة واحدة على أسطوانة ممغنطة (CD).

ب. يطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic بنط ١٦ بمسافتين على وجه واحد، مقاس A4 (٢١ X ٢٩,٧سم)، بما لا يزيد حجم البحث عن أربعين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.

ج. ترقم صفحات البحث ترقيما متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن، وتكون الهوامش مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.

د. يرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية لجميع الأبحاث، بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة.

هـ. يكتب المؤلف اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، مع إرفاق نسخة موجزة من سيرته الذاتية، وتعهد خطي موَّقع من الباحث/ الباحثين بعدم نشر البحث، أو تقديمه للنشر لدى جهات أخرى.

و. تُرفق أصول الأشكال مرسومة باستخدام أحد برامج الحاسب الآلي ذات العلاقة على أسطوانة ممغنطة (CD).

٢- يشار إلى جميع المصادر ضمن البحث بالإشارة إلى اسم المؤلف الأخير وسنة النشر والصفحة عند الاقتباس المباشر مثلاً (أبو زيد، ١٤٢٥هـ، ص١٧). وإذا كان هناك مؤلفان، فيذكر الاسم الأخير لهما مثلا (القحطاني والعدناني، ١٤٢٦هـ، ص ٥٣). أما إذا كان هناك أكثر من مؤلفين للمصدر الواحد فيشار إليهم هكذا (القرشي وآخرون، ١٤٢٧هـ، ص ١١٢) وفي حالة الإشارة إلى مصدرين لمؤلفين مختلفين فيشار إليهما هكذا (المكي، ١٤١١هـ ؛ المدني، ١٤٠٩هـ)، وفي حالة وجود مصدرين لكاتب واحد في سنة واحدة، فتتم الإشارة إليهما هكذا (المحمدي، ١٤٢٠هـ أ، ١٤٢٠هـ ب).

٤- تعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً، حسب اسم العائلة للمؤلف، ثم الأسماء الأولى أو اختصاراتها، متبوعاً باسم الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو المجلة (في حالة المقالة)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.

٥- يمنح الباحث عشر مستلات من بحثه، مع نسخة من العدد الذي يظهر فيه عمله. كما تمنح نسخة واحدة من العدد هدية لكاتب المراجعة العلمية، أو التقرير، أو ملخص الرسالة الجامعية.

المراسلات: ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية. ص. ب ٧١٥، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البريد الالكتروني: E-mail: jll@uqu.edu.edu.sa

حقوق الطبع: تُعَبِّر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل المؤلفون مسؤولية صحة المعلومات ودقة الاستنتاجات. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر يتم تحويل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.

التبادل والإهداء: توجه الطلبات إلى رئيس تحرير المجلة، جامعة أم القرى، ص. ب: ٧١٥، مكة المكرمة.

الاشتراك السنوي: خمسة وسبعون ريالاً سعودياً أو عشرون دولاراً أمريكياً، بما في ذلك أجور البريد.

رقم الإيداع: 255/ 1433 بتاريخ: 1433/9/15هـ ردمد: 1658-4643

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة الإشراف والتحرير

المشـرف العـام

معالي مدير الجامعة

د. بكري بن معتوق عساس

نائب المشرف العـام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. ثامر بن حمدان الحربي

رئيس هيئة التحرير

أ. د. يوسف بن علي الثقفي

هيئة التحرير

أ. د. عبدالله بن سعيد الغامدي	عضواً
أ. د. عبدالله بن مصلح الثمالي	عضواً
أ. د. لطف الله بن ملا خوجة	عضواً
أ. د. غالب بن محمد الحامضي	عضواً
أ. د. أحمد بن قوشتي مخلوف	عضواً
د. محمد بن عبدالله الصواط	عضواً
أ. د. أفنان بنت محمد التلمساني	عضواً
أ. د. وفاء بنت عبدالله المزروع	عضواً

المحتويـات

أولاً: الحديث:

- **الأحاديث الواردة في توديع المسافر جمعًا ودراسة**

د. عبد الرحمن بن محمد بن غنيم الحازمي ١١– ٨٩

ثانياً: الفقـه وأصولـه:

- **التَّسويق الشَّبكي (حقيقته وحكمه)**

د. محمَّد بن عبدالله بن عابد الصواط ٩٣– ١٦٤

- **السِّر الطبيِّ في الشريعة الإسلامية**

د. ماهر ذيب أبو شاويش ١٦٥– ٢٢٠

ثالثاً: التاريخ والحضارة الإسلامية:

- **الأطْمـاعُ الرُّوسيّة في عُمَـان وَردُّ الفعْلِ البريطَاني ١٣٠٨ - ١٣٢٥هـ / ١٨٩١- ١٩٠٧م**

د. عبدالرحمن بن علي السديس ٢٢٣– ٢٥٣

- **ثغر أذنة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي**

أ. د. عبد الله بن سعيد الغامدي ٢٥٥– ٢٨٥

- **مدينـة تادْمَكّـة في العصـر الإسـلامي مـن القـرن الثـاني الهجـري إلى القـرن الثـامن الهجري / القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي**

د. إبراهيم بن عطية الله السلمي ٢٨٧– ٣٢٧

- **مدينة القدس وما جاورها من المدن والقرى الفلسطينية من خلال رحلة أبي سالم العياشي (ت١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)**

د. حنان ملكاوي ٣٢٩– ٣٧٦

أولاً: الحديث

الأحاديث الواردة في توديع المسافر
جمعًا ودراسة

إعداد

د. عبد الرحمن بن محمد بن غنيم الحازمي

الأستاذ المساعد بجامعة شقراء – كلية التربية بعفيف

الأحاديث الواردة في توديع المسافر - جمعًا ودراسة

د. عبد الرحمن بن محمد بن غنيم الحازمي

ملخص البحث

تناولت في هذا البحث سنة من السنن المهجورة بين الناس اليوم، ألا وهي (توديع المسافر)، وقد قسمته إلى مقدمة وأربعة مباحث، ذكرت في المبحث الأول حديثين من أحاديث الترغيب في توديع المسافر، وأما المبحث الثاني فذكرت فيه الأحاديث التي تبين ما هو الدعاء الذي يقوله المقيم للمسافر، وذكرت فيه عشرة أحاديث، وأما المبحث الثالث فذكرت فيه الدعاء الذي يقوله المسافر للمقيم وفيه حديث واحد، والمبحث الرابع ذكرت فيه طلب المقيم من المسافر الدعاء له، وذكرت فيه حديثًا وحدًا، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث، وجعلت للبحث فهرسًا للأحاديث وللمصادر والمراجع.

The Prophet's sayings { peace be upon him } "Hadiths" mentioned in the traveller farewell Collectively Study

D. Abdul Rahman bin Mohammed bin Ghoneim Al-Hazmi

Assistant Professor at the College of Education, Shaqra University

Abstract

In this research, I dealt with one of the deserted Sunan among people today, namely, (the traveler farewell). This research has been divided into an introduction and four sections. So, I stated in the first section Hadith(s) of Targhib (encouragement) related to the traveler farewell, they are two Hadith(s). In the second section, I mentioned Hadith(s) that show the supplication said by the resident to the traveller, I stated ten Hadith(s). In the third section, I mentioned the supplication said by the traveler to the resident, it contained one Hadith. In the fourth section, I mentioned the resident's request from the traveler to pray for him, it contained only one Hadith. In the conclusion, I listed the most important results obtained through this research. Also, I listed an index of Hadith(s), sources and references.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد،،،

فإن العناية بالسنة النبوية ونشرها بين الناس من أهم ما ينبغي لطالب العلم فعله، لحاجة الناس لهذه السنة في تقويم حياتهم، وإصلاح ما فسد منها، والعمل بالسنة مما يقرب الناس إلى خالقهم سبحانه وتعالى.

وقد بَيَّن النبي ﷺ للناس جميع ما يحتاجون إليه، في أصول دينهم وفروعه، فلم يدع خيراً إلا بيَّنه وحث عليه، ولم يترك شراً إلا حذر منه، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومن السنن التي بينها النبي ﷺ لأمته توديع المسافر، ما يقوله المقيم للمسافر، وما يقوله المسافر للمقيم، وقد رأيت أن هذه السنة من السنن المهجورة بين الناس اليوم، لا يعمل بها إلا من رحم الله وقليل ماهم.

ولأهمية هذا الموضوع، ونشرًا لسنة سيد المرسلين ﷺ، فقد أحببت أن يكون لي شرف المشاركة في خدمة سنة النبي ﷺ فاخترت العمل في هذا الموضوع، وجعلت عنوانه:

الأحاديث الواردة في توديع المسافر

جمعًا ودراسة

حدود البحث

اقتصر البحث على الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ الواردة في توديع المسافر، وتخريجها من مصادرها، وبيان درجتها.

خطة البحث

وقد قسمت هذا البحث إلى:

مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة

فأما المقدمة فذكرت فيها موضوع البحث وحدوده وخطته ومنهج العمل فيه.

وأما المبحث الأول فذكرت فيه أحاديث الترغيب في توديع المسافر.

وأما المبحث الثاني فذكرت فيه الأحاديث الدالة على ما يقوله المقيم للمسافر حين توديعه.

وأما المبحث الثالث فذكرت فيه الحديث الدال على ما يقوله المسافر للمقيم.

وأما المبحث الرابع فذكرت فيه حديث طلب المقيم من المسافر الدعاء له.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليهامن خلال هذا البحث.

ووضعت للبحث فهرسًا للأحاديث، وثانيًا للمصادر والمراجع، وثالثًا للموضوعات.

منهج العمل في البحث:

وقد كان عملي في هذا البحث على النحو التالي:

١- جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع.

٢- حرصت على ضبط النص بالحركات.

٣- رقمت أحاديث كل مبحث على حده.

٤- أبين حال الرواة الذين عليهم مدار الحديث على النحو التالي:

أ- إن كان الراوي من رجال التقريب اكتفيت بحكم الحافظ ابن حجر فيه بعد الرجوع إلى المصادر المعتمدة في ترجمة الراوي، وذلك لعدم الإطالة.

ب- إذا لم يكن الراوي من رجال التقريب ترجمت له من كتب الرجال الأخرى بما يبين حاله.

٥- في المتابعات أبين حال الراوي المتابع فقط، إلا إن ظهر لي في الإسناد رجل ضعفه شديد فإني أذكره وأبين حاله.

٦- تخريج الأحاديث على النحو التالي:

أ- أقوم بتخريج الأحاديث من مصادر السنة المعتمدة على سبيل الاستيعاب.

ب- بعد جمع الطرق أقوم بدراستها حسب قواعد المحدثين، ثم أذكر الحكم على الحديث مسترشداً بكلام أهل العلم.

ت- رتبت مراجع التخريج مبتدئاً بالأقدم فالأقدم، عدا الكتب الستة ومسند أحمد فإني أقدمهم على غيرهم، فأذكر الجزء ثم الصفحة، ثم رقم الحديث إن وجد.

٧- إذا احتاج الحديث إلى اعتضاد فإني أبحث عن المتابعات الشواهد المقوية له.

٨- بيان معاني الكلمات الغريبة الواردة في النص.

٩- التعريف بالبلدان والأماكن الواردة في الحديث.

١٠-ضبط ما يحتاج إلى ضبط من الأسماء والألفاظ.

١١-تذييل البحث بفهارس علمية، وقد رتبت فهرس الأحاديث والمصادر والمراجع على حروف المعجم، وفهرس الموضوعات حسب الموضوعات.

والله أسأل أن يتقبل هذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به عباده، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول

الترغيب في توديع المسافر

أولاً: حديث أبي هريرة ﷺ:

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا فَلْيُسَلِّمْ عَلَى إِخْوَانِهِ، فَإِنَّهُمْ يَزِيدُونَهُ بِدُعَائِهِمْ إِلَى دُعَائِهِ خَيْرًا).

أخرجه أبو يعلى[١]، والطبراني[٢] عن إبراهيم بن هاشم البغوي، وأبو عبد الرحمن السلمي[٣] عن مُضَر بن محمد الفَاشَانِي.

ثلاثتهم – أبو يعلى وإبراهيم بن هاشم ومضر – عن عمرو بن حصين، عن يحيى بن العلاء، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ.

قال الطبراني: "لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سُهَيْلٍ إِلاَّ يَحْيَى، تَفَرَّدَ بِهِ عَمْرٌو".

عمرو بن حصين متروك[٤]، ويحيى بن العلاء رمي بالوضع[٥]، وسهيل بن أبي صالح صدوق تغير حفظه بأخرة[٦]، وأبوه ذكوان ثقة ثبت[٧].

إسناده ضعيف جدًا، فيه عمرو بن حصين متروك، ويحيى بن العلاء رمي بالوضع.

ثانيًا: حديث زيد بن أرقم ﷺ:

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا، فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَاعِلٌ لَدَى دُعَائِهِمُ الْبَرَكَةَ).

أخرجه الخرائطي[٨] من طريق يحيى بن عثمان بن صالح، والخطيب البغدادي[٩]، وابن عساكر[١٠] كلاهما – الخطيب وابن عساكر – من طريق بكر بن سهل الدمياطي.

كلاهما – يحيى بن عثمان وبكر الدمياطي – عن عبد الله بن يوسف الكَلَاعِيِّ عن مزاحم بن زُفَر التيمي عن أيوب بن خُوط عن نفيع بن الحارث عن زيد بن أرقم ﷺ.

عبد الله بن يوسف الكلاعي ثقة متقن من أثبت الناس في الموطأ[١١]، ومزاحم بن زفر مقبول[١٢]، وأيوب بن خوط متروك[١٣]، ونفيع بن الحارث متروك وقد كذبه ابن معين[١٤].

إسناده ضعيف جدًا، فيه أيوب بن خوط، ونفيع بن الحارث، كلاهما متروك.

المبحث الثاني

ما يقوله المقيم للمسافر حين توديعه

أولاً: حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وله ثمانية طرق:

١- **مجاهد:** قال: خَرَجْتُ إِلَى الْغَزْوِ أَنَا وَرَجُلٌ مَعِي، فَشَيَّعَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ، فَلَمَّا أَرَادَ فِرَاقَنَا قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مَعِي مَالٌ أُعْطِيكُمَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: (إِذَا اسْتُودِعَ اللهُ شَيْئًا حَفِظَهُ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ[١٥] دِينَكُمَا[١٦]، وَأَمَانَتَكُمَا[١٧]، وَخَوَاتِمَ عَمَلِكُمَا[١٨])، أخرجه أبو زرعة الدمشقي[١٩] – وعنه الطبراني[٢٠] –، وأخرجه النسائي[٢١] عن أحمد بن إبراهيم بن محمد، وابن حبان[٢٢] من طريق أبي زرعة الرازي، والطبراني[٢٣] عن جعفر بن محمد الفريابي وأحمد بن إبراهيم القرشي، أربعتهم – أبو زرعة الدمشقي وأحمد بن إبراهيم وأبو زرعة الرازي وجعفر الفريابي – عن محمد بن عائذ.

وأخرجه البيهقي[٢٤] من طريق أبي زرعة الدمشقي عن محمد بن عثمان التنوخي.

كلاهما – ابن عائذ والتنوخي – عن الهيثم بن حميد، عن المطعم بن المقدام، عن مجاهد.

قال الطبراني في المعجم الأوسط: "لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْمُطْعِمِ إِلَّا ابْنُ حُمَيْدٍ".

الهيثم بن حميد صدوق رمي بالقدر[٢٥]، والمطعم بن المقدام صدوق[٢٦]، ومجاهد ثقة[٢٧].

وتابع المطعم بن المقدام:

- ليث بن أبي سليم، أخرجه الطبراني[٢٨]، وليث صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك[٢٩]
- وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، أخرجه النسائي[٣٠]، والخرائطي[٣١]، وابن عساكر[٣٢]، من طريق عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف[٣٣]، عن عبد العزيز بن عمر وهو صدوق يخطئ[٣٤]، وقد وهم فيها عبد الله العمري، وستأتي عند الحديث عن طرق عبد العزيز بن عمر.
- وزهير بن محمد، ذكرها الدار قطني في العلل[٣٥]، وقال: "وزهير لم يسمع من مجاهد شيئًا" وزهير ثقة، إلا أن رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها[٣٦].

إسناده حسن، فيه ابن حميد والمطعم، كلاهما صدوق، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره بالمتابعات التي سبقت، وبالشواهد من حديث أبي هريرة وعبد الله بن يزيد رضي الله عنهما وسيأتيان، وصححه ابن حبان كما سبق، وابن حجر[٣٧] والألباني[٣٨].

٢- حنظلة بن أبي سفيان، واختلف عنه:

- **فرواه سعيد بن خُثَيْم الهلالي** عن حنظلة بن أبي سفيان عن سالم بن عبد الله قال: كَانَ أَبِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِذَا أَتَى الرَّجُلَ، وَهُوَ يُرِيدُ السَّفَرَ، قَالَ لَهُ: ادْنُ[٣٩] حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: (أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)، أخرجه الترمذي[٤٠] – ومن طريقه ابن الجوزي[٤١] – عن

إسماعيل بن موسى الفزاري، وأحمد[٤٢]- ومن طريقه المزي[٤٣] – وأخرجه البزار[٤٤] عن خلاد بن أسلم، والنسائي[٤٥] عن محمد بن عبيد بن محمد، والمحاملي[٤٦] – ومن طريقه ابن عساكر[٤٧]، وعبد الغني المقدسي[٤٨]، واليونيني[٤٩]،.... والذهبي[٥٠] – عن خلاد بن أسلم الصفار، والطبراني[٥١]- ومن طريقه المزي[٥٢] – من طريق محمد بن بكير الحضرمي، والقزويني[٥٣] من طريق عمرو بن محمد، جميعهم عن سعيد بن خثيم.

سعيد بن خثيم صدوق رمي بالتشيع له أغاليط[٥٤]، وحنظلة بن أبي سفيان ثقة حجة[٥٥]، وسالم بن عبد الله أحد الفقهاء السبعة وكان ثبتًا عابدًا[٥٦].

قال الترمذي: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ ".

إسناده ضعيف، فيه سعيد بن خثيم صدوق له أغاليط، وهذا من أغاليطه.

- **ورواه الوليد بن مسلم** قال: حدثني حنظلة بن أبي سفيان عن القاسم بن محمد قال: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يُوَدِّعُهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: انْتَظِرْ أُوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا، وذكر الحديث، أخرجه النسائي[٥٧] عن عمرو بن عثمان ومحمود ابن خالد، وأبويعلى[٥٨] عن أبي الوليد القرشي، وابن خزيمة[٥٩] – ومن طريقه الحاكم[٦٠]، وأبو اليمن[٦١] – عن علي بن سهل الرملي، أربعتهم – عمرو، ومحمود، وأبو الوليد، والرملي – عن الوليد بن مسلم.

الوليد بن مسلم ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية[٦٢]، وقد صرح بالسماع فأمنا تدليسه، وحنظلة سبق أنه ثقة، والقاسم بن محمد ثقة أحد الفقهاء بالمدينة[٦٣].

قال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ "، ووافقه الذهبي، قال الشيخ الألباني: " وهو كما قالا "[٦٤].

وهذا الإسناد رجاله ثقات، لكن تبقى أن الوليد بن مسلم كان كثير الخطأ كما قال الإمام أحمد[٦٥]، وقال أبو داود: إذا حدث عن الغرباء يخطئ[٦٦]، وهو شامي وشيخه مكي، ولعل هذا من أخطائه.

وتابع الوليد بن مسلم: إسحاق بن سليمان، أخرجه الحاكم[٦٧] – وعنه البيهقي[٦٨] – عن عبد الرحمن بن حمدان الجَلَّاب عن إسحاق بن أحمد الخزاز عن إسحاق بن سليمان، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

عبد الرحمن الجلاب قال شيرويه الديلمي: كان صدوقًا قدوة، قال صالح بن أحمد: سماع القدماء منه أصح، ذهب عَامَّة كتُبه في المحنة[٦٩]، قلت: والذي يظهر – والله تعالى أعلم – أن سماع الحاكم منه كان متأخرًا، لأن أول سماع الحاكم من شيوخه كان في سنة ثلاثين وثلاثمائة، ولم يرحل في طلب العلم إلا سنة إحدى وأربعين[٧٠] وشيخه من همذان وتوفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة[٧١]، وإسحاق بن أحمد ثقة[٧٢]، وإسحاق بن سليمان ثقة فاضل[٧٣].

- **وهناك رواية ثالثة** عن حنظلة بن أبي سفيان عن عبد العزيز بن عمر عن يحيى بن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما[٧٤]، وهذه الرواية ذكرها أبو زرعة وأبو حاتم وصححاها عن حنظلة[٧٥].

حنظلة سبق أنه ثقة، وعبد العزيز بن عمر سبق أنه صدوق يخطئ، ويحيى بن إسماعيل بن جرير لين الحديث[٧٦]، وقزعة ثقة[٧٧].

وتابع حنظلة على هذه الرواية:

- أبو نعيم، أخرجه أحمد[٧٨] – ومن طريقه المزي[٧٩] – وأخرجه عبد بن حميد[٨٠]، والبخاري[٨١]، والنسائي[٨٢]، وابن أبي حاتم[٨٣]، والمحاملي[٨٤]، والشاشي[٨٥]، والبيهقي[٨٦]، ومن طريق الجميع – عدا النسائي والشاشي – أخرجه ابن عساكر[٨٧]، وأبو نعيم ثقة ثبت[٨٨].

- عبدة، أخرجه النسائي[٨٩]، ومن طريقه ابن عساكر[٩٠]، وعبدة ثقة ثبت[٩١].
- أنس بن عياض الليثي، أبو ضمرة، أخرجه النسائي[٩٢]، والطحاوي[٩٣]، والخطيب[٩٤]، وابن عساكر[٩٥]، وفي هذه الرواية زيادة: (فأخذ بيدي فصافحني)، وأنس ثقة[٩٦].
- يحيى بن نصر بن حاجب القرشي، أخرجه ابن عساكر[٩٧]، ويحيى بن نصر قال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: يلينه عندي قدم رجاله، وقال أيضًا: تكلم الناس فيه[٩٨].
- مندل بن علي، ذكرها الدارقطني في العلل[٩٩]، ومندل ضعيف[١٠٠].

إسنادها ضعيف، فيها يحيى بن إسماعيل بن جرير لين الحديث، وعبد العزيز بن عمر صدوق يخطئ، وترتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات التي ذكرت في رواية مجاهد.

الراجح في روايات حنظلة بن أبي سفيان:

الذي يظهر – والله تعالى أعلم – أن سعيد بن خثيم وهم في روايته، وهو صدوق له أغاليط، وقد تفرد بهذه الرواية، ولعل هذا من أغاليطه، وهذا الذي جعل الإمام الترمذي يستغرب روايته.

وأما رواية الوليد بن مسلم ففيها وهم أيضًا، وهو كثير الخطأ، ويخطئ عن الغرباء.

وأما رواية إسحاق بن سليمان، فإن شيخ الحاكم عبد الرحمن الجلاب سماع القدماء منه أصح، والحاكم سمع منه متأخرًا.

وأما رواية حنظلة عن عبد العزيز بن عمر، فهذه الرواية هي أصح الروايات عن حنظلة لمتابعة جملة من الرواة له على هذه الرواية.

قال ابن أبي حاتم: " وسألتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ حديثٍ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ خُثَيم، عَنْ حَنْظَلَة، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا نَظَر إِلَى رجُلٍ يُرِيدُ السَّفَر يَقُولُ: أُوَدِّعُكَ كما كان رسولُ الله ﷺ يُوَدِّعُ، ثُمَّ يَقُولُ: أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ؟ قَالا: وَهِمَ سعيدٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

وَرَوَى هَذَا الحديثَ الوليدُ بْنُ مُسْلِمٍ، فوَهِمَ فِيهِ أَيْضًا، فَقَالَ: عَنْ حَنظَلَة،عَنْ القاسم، عن ابن عمر.

والصَّحيحُ عِنْدَنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: عَنْ حَنظَلَة، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ قَزَعَةَ، عَنِ ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ[١٠١].

٣- عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، واختلف عنه:

- **فرواه حنظلة بن أبي سفيان، وأبو نعيم، وعبدة، وأنس بن عياض الليثي، ويحيى بن نصر بن حاجب القرشي، ومندل بن علي،** جميعهم عن عبد العزيز بن عمر عن يحيى بن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما، وسبقت الإشارة إلى هذه الروايات عند الحديث عن الرواية الثالثة عن حنظلة بن أبي سفيان.

عبد العزيز بن عمر سبق أنه صدوق يخطئ، ويحيى بن إسماعيل بن جرير سبق أنه لين الحديث، وقزعة بن يحيى سبق أنه ثقة.

إسناده ضعيف، فيه يحيى بن إسماعيل لين الحديث، وعبد العزيز بن عمر صدوق يخطئ، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات المذكورة في رواية مجاهد.

- **ورواه عبد الله بن داود** عن عبد العزيز بن عمر عن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه أبو داود[١٠٢]– ومن طريقه ابن عساكر[١٠٣]

– عن مسدد، وأخرجه الحاكم[١٠٤] من طريق معاذ بن المثنى، كلاهما – مسدد ومعاذ – عن عبد الله بن داود.

عبد الله بن داود ثقة عابد[١٠٥]، وعبد العزيز بن عمر سبق أنه صدوق يخطئ، وإسماعيل بن جرير أظنه خطأ من عبد العزيز بن عمر، وهو يخطئ، والصواب يحيى بن إسماعيل بن جرير، قال المزي في ترجمة قزعة: "رَوَى عَنه: إِسْمَاعِيل بْن جرير إن كان محفوظا"[١٠٦]، وقال ابن حجر بعد أن ذكر رواية أبي داود عن إسماعيل بن جرير: "إسماعيل بن جرير، كذا وقع عنده، صوابه: يحيى بن إسماعيل بن جرير"[١٠٧]، وقزعة سبق أنه ثقة.

وتابع عبد الله بن داود:

مروان بن معاوية الفزاري، أخرجه أحمد[١٠٨] – ومن طريقه ابن عساكر[١٠٩] –، ومروان ثقة حافظ، وكان يدلس أسماء الشيوخ[١١٠].

إسناده ضعيف، عبد العزيز بن عمر صدوق يخطئ، وهي خطأ.

- **ورواه وكيع** عن عبد العزيز بن عمر عن قزعة عن ابن عمر، أخرجه أحمد[١١١]، ومن طريقه ابن عساكر[١١٢]، ووكيع ثقة حافظ[١١٣].

عبد العزيز سبق أنه صدوق يخطئ، وقزعة سبق أنه ثقة.

وتابع وكيعًا:

يحيى بن حمزة، أخرجه النسائي[١١٤]، والخرائطي[١١٥] – ومن طريقه ابن عساكر[١١٦] –وأخرجه ابن عساكر[١١٧]، ويحيى بن حمزة ثقة[١١٨].

وهذا إسناد منقطع، عبد العزيز بن عمر لم يلق قزعة.

- **ورواه عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي** عن عبد العزيز بن عمر عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أخرجه النسائي[١١٩]– ومن طريقه ابن عساكر[١٢٠] –.

عيسى بن يونس ثقة مأمون[١٢١]، وعبد العزيز بن عمر صدوق يخطئ، وإسماعيل بن محمد بن سعد ثقة حجة[١٢٢]، وقزعة ثقة.

وهذا إسناد شاذ لمخالفة عيسى بن يونس لجملة من الثقات الذين رووا الحديث.

- **ورواه عبد الله بن عمر العُمَري** عن عبد العزيز بن عمر عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما، سبق تخريجها في الرواية الأولى، رواية مجاهد.

عبد الله بن عمر العمري سبق أنه ضعيف، وعبد العزيز بن عمر صدوق يخطئ، ومجاهد سبق أنه ثقة.

إسناده ضعيف، عبد الله بن عمر العمري ضعيف، وهي وهم.

قال ابن أبي حاتم: " قَالَ أَبِي: هَذَا خطأٌ، إِنَّمَا هُوَ: عبد العزيز بن عمر بن عبدالعزيز، عَنْ يَحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَرير، عَنْ قَزَعَةَ، عَنِ ابْنِ عمر، عن النبيِّ ﷺ، قلتُ لأَبِي: مِمَّن الوَهَمُ؟ قَالَ: من العُمَري "[١٢٣].

- **ورواه القاسم بن مالك** عن عبد العزيز بن عمر عن رجل عن قزعة، ذكرها الدار قطني في العلل[١٢٤].

القاسم بن مالك صدوق فيه لين[١٢٥]، وعبد العزيز بن عمر صدوق يخطئ، وقزعة ثقة.

إسناده ضعيف، فيه رجل مبهم، والقاسم بن مالك صدوق فيه لين، وعبد العزيز بن عمر صدوق يخطئ.

الراجح في روايات عبد العزيز بن عمر:

الذي يظهر – والله تعالى أعلم – أن مرجع الاختلاف في روايات عبد العزيز بن عمر هو عبدالعزيز نفسه، فهو صدوق يخطئ، ولعل هذا من أخطائه، وبعضها يرجع للرواي عنه كما في رواية عبد الله العمري.

والراجح في روايته هي الرواية الأولى، رواية حنظلة ومن وافقه، وهي عن عبد العزيز بن عمر عن يحيى بن إسماعيل بن جرير عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما، لاتفاق جملة من الرواة على هذه الرواية.

قال المزي: " عن يحيى بن إسماعيل بن جرير عن قزعة، عن ابن عمر، وهو المحفوظ"[١٢٦].

٤- عامر بن شراحيل الشعبي:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا أَدَّاهُ، وَإِنَّ لُقْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)، أخرجه الطبراني[١٢٧]، عن أحمد بن محمد بن صدقة عن الحسين بن حُرَيث المروزي عن الفضل بن موسى السِّيناني عن شريك عن جابر عن الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الطبراني: " لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الشَّعْبِيِّ إِلَّا جَابِرٌ، وَلَا عَنْ جَابِرٍ إِلَّا شَرِيكٌ، تَفَرَّدَ بِهِ: الْفَضْلُ ".

أحمد بن محمد بن صدقة قال الذهبي: " وَكَانَ مَوْصُوفاً بِالإِتْقَانِ وَالتَّثَبُّتِ"[١٢٨]، والحسين بن حريث ثقة[١٢٩]، والفضل بن موسى السيناني ثقة ثبت وربما أغرب[١٣٠]، وشريك النخعي صدوق يخطئ كثيرًا[١٣١]، وجابر الجعفي ضعيف[١٣٢]، والشعبي ثقة[١٣٣].

قال ابن أبي حاتم: " سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ لَمْ يَسْمَعْ الشَّعْبِيُّ مِنَ ابْنِ عُمَرَ "[١٣٤].

إسناده ضعيف، جابر الجعفي ضعيف، وشريك يخطئ كثيرًا، والشعبي لم يسمع من ابن عمر، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات وستأتي في رواية نهشل.

٥- نَهْشَل بن مُجَمِّع الضَّبِّي، واختلف عنه:

- **فرواه محمد بن فضيل** عن نهشل عن قزعة، قال: كنت عند ابن عمر، فلما خَرَجْتُ شَيَّعَنِي وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال لقمان الحكيم: إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ دَيْنَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِمَ عَمَلِكَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ)، أخرجه النسائي[١٣٥] عن واصل بن عبد الأعلى، والخرائطي[١٣٦] عن علي بن حرب، دون قوله: (وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ)، كلاهما – واصل، وابن حرب – عن محمد بن فضيل.

محمد بن فضيل صدوق[١٣٧]، ونهشل صدوق[١٣٨]، وقزعة سبق أنه ثقة.

إسناده حسن، فيها محمد بن فضيل ونهشل، كلاهما صدوق، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره، بالمتابعات وقد سبقت في رواية الشعبي.

- **ورواه سفيان الثوري عن نهشل، واختلف عنه:**

أ- **فرواه عبد الله بن المبارك** عن سفيان الثوري عن نهشل عن قزعة، مقتصرًا على قوله: (إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ)، أخرجه أحمد[١٣٩] عن علي بن إسحاق السلمي، والنسائي[١٤٠] من طريق سويد بن نصر، كلاهما عن عبد الله بن المبارك.

عبد الله بن المبارك ثقة ثبت[١٤١]، وسفيان الثوري ثقة حافظ[١٤٢]، ونهشل سبق أنه صدوق، وقزعة سبق أنه ثقة.

وتابع ابن المبارك:

- عبد الرحمن بن مهدي، أخرجه أحمد[١٤٣]، وابن مهدي ثقة ثبت حافظ[١٤٤].
- وعبدة بن سليمان، أخرجه النسائي[١٤٥]، وعبدة سبق ثقة ثبت.

إسناده حسن، فيه نهشل صدوق، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره بالمتابعات وقد سبقت.

ب- **ورواه قبيصة** عن سفيان الثوري عن نهشل عن أبي غالب عن ابن عمر رضي الله عنهما، باللفظ السابق، أخرجه عبد بن حميد[١٤٦] عن قبيصة.

قبيصة صدوق ربما خالف[١٤٧]، وسفيان سبق أنه ثقة، ونهشل سبق أنه صدوق، وأبو غالب مجهول، قال عباس الدوري: " سَأَلت يحيى عَن حَدِيث سُفْيَان عَن نهشل عَن أَبى غَالب، من نهشل هَذَا؟ فَقَالَ: نهشل الضَّبِّيّ، قلت: هُوَ ثِقَة؟ قَالَ: نعم، قلت لَهُ: من أَبُو غَالب؟ قَالَ: لَا أدرى، قَالَ يحيى بن معِين: وَبَعْضهمْ يَقُول: غَالب لَا يَقُول أَبُو غَالب، وَكَأن الصَّوَاب عِنْد يحيى أَبُو غَالب"[١٤٨]، وقال ابن معين أيضًا: "وَأَبُو غَالب الَّذِي يحدث سُفْيَان عَن نهشل عَن أبي غَالب لَا أعرف أَبَا غَالب هَذَا "[١٤٩]، وقال ابن أبي حاتم: " أنا أبو بكر بن أبي خيثمة فيما كتب إلي قال: سئل يحيى بن معين عن حديث سفيان عن نهشل عن ابى غالب، فقال: نهشل الضبى ثقة ولا اعرف ابا غالب"[١٥٠]، وقال الدكتور محمد بن سعيد بخاري محقق كتاب الدعاء للطبراني: "جاء في الهامش: قال الطبراني: أبو غالب مزور صاحب أبي أمامة، وأبو غالب نافع صاحب أنس وهو الباهلي، وأبو غالب هذا لم يسم "[١٥١].

وتابع قبيصة:

إسحاق بن يوسف الأزرق، لكنه زاد في لفظه: (وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَاتِكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ)، أخرجه النسائي[١٥٢]، وإسحاق الأزرق ثقة[١٥٣].

إسناده ضعيف، فيه أبو غالب مجهول.

ت- ورواه أبو نعيم الفضل بن دكين، واختلف عنه:

- فرواه علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن نهشل عن أبي غالب وقزعة - أو عن أحدهما - عن ابن عمر مرفوعًا، باللفظ السابق، أخرجه الطبراني[١٥٤] عن علي بن عبد العزيز.

علي بن عبد العزيز أحد الحفاظ المكثرين مع علو الإسناد مشهور وهو في طبقة صغار شيوخ النسائي[١٥٥]، وأبو نعيم وسفيان سبق أنهما ثقتان، ونهشل سبق أنه صدوق، وأبو غالب مجهول.

إسناد قزعة حسن، فيه نهشل صدوق، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره، وإسناد أبي غالب ضعيف، فيه أبو غالب مجهول، ويرتقي إلى درجة الحسن لغير بمتابعة قزعة له.

- وهناك رواية ثانية عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن نهشل عن أبي غالب وقزعة - أو عن أحدهما - عن ابن عمر، موقوفًا، ذكر هذه الرواية المزي في زياداته على تحفة الأشراف[١٥٦]، ولم أعرف الراوي عن أبي نعيم.

الراجح في روايات سفيان الثوري:

الذي يترجح – والله تعالى أعلم – أن أصح روايات سفيان هي رواية عبد الله ابن المبارك ومن وافقه، وهي عن نهشل عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما، مرفوعًا، لاتفاق جملة من الرواة على هذه الرواية.

الراجح في روايات نهشل:

الراجح في روايات نهشل – والله تعالى أعلم – هي الرواية التي رواها محمد بن فضيل ومن وافقه، وهي عن قزعة عن ابن عمر رضي الله عنهما، لاتفاق جملة من الرواة الثقات الأثبات على هذه الرواية.

٦- نافع:

عن ابن عمر قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَشْخَصَ السَّرَايَا[١٥٧] يَقُولُ لِلشَّاخِصِ[١٥٨]: (أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)، أخرجه ابن ماجه[١٥٩] عن عباد بن الوليد، والنسائي[١٦٠] عن يحيى بن محمد، كلاهما عن حَبّان بن هلال، حدثنا أبو محصن، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن نافع.

حبان بن هلال ثقة ثبت[١٦١]، وأبو محصن حصين بن نُمَير لا بأس به[١٦٢]، وابن أبي ليلى صدوق سيء الحفظ جدًا[١٦٣]، ونافع ثقة ثبت[١٦٤].

وتابع ابن أبي ليلى:

- إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أُمَيَّة، أخرجه الترمذي[١٦٥]، والبزار[١٦٦]، بلفظ: كَانَ رَسُولُ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلاَ يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ، وساق الحديث، وأخرجه ابن قتيبة[١٦٧]، مقتصرًا على قوله: (استودع الله...) الحديث، قال الترمذي: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ "، وإبراهيم بن عبدالرحمن مجهول[١٦٨].
- عبد الله وعبيد الله ابنا عمر، أخرجه الطبراني[١٦٩]، من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن أبيه عبد الله بن عمر وعمه عبيد الله بن عمر عن نافع، بلفظ: جَاءَهُ رَجُلٌ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَذَكَرَ أَنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى سَفَرٍ، فَقَالَ لَهِ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يُوَدِّعُ مَنْ خَرَجَ، وذكر الحديث، عبد الرحمن

بن عبد الله بن عمر متروك[١٧٠]، وأبوه سبق أنه ضعيف، وعمه عبيد الله ثقة ثبت[١٧١].

إسناده ضعيفة، فيه ابن أبي ليلى صدوق سيء الحفظ جدًا، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات، ومنها متابعة إبراهيم بن عبد الرحمن، وبالشواهد من حديث أبي هريرة وعبد الله بن يزيد رضي الله عنهما وسيأتيان.

- وقد روي الحديث عن نافع بلفظ آخر، بلفظ: جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ هَذِهِ النَّاحِيَةَ الْحَجَّ قَالَ: فَمَشَى مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: (يَا غُلَامُ زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ، وَكَفَاكَ الْهَمَّ)، فَلَمَّا رَجَعَ الْغُلَامُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: (يَا غُلَامُ، قَبِلَ حَجَّكَ، وَكَفَّرَ ذَنْبَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ[١٧٢])، أخرجه القاسم بن موسى الأشيب[١٧٣]، والطبراني[١٧٤] – ومن طريقه ابن حجر[١٧٥] – عن عبدان بن أحمد، وابن السني[١٧٦] عن أحمد بن يحيى بن زهير، ثلاثتهم – القاسم وعبدان وابن زهير – عن الحسن بن يحيى عن عاصم بن مِهْجَع عن مسلمة بن سالم عن عبيد الله بن عمر نافع عن سالم عن أبيه.

قال الطبراني في الأوسط: "لم يرو هذه الأحاديث عن عبيد الله بن عمر إلا مسلمة ابن سالم".

وقال ابن حجر: "هذا حديث غريب"[١٧٧].

الحسن بن يحيى صدوق صاحب حديث[١٧٨]، وعاصم بن مهجع قال أبو زرعة: "ثقة"[١٧٩]، وذكره ابن حبان في الثقات[١٨٠]، ومسلمة بن سالم ضعيف[١٨١]، وعبيد الله ابن عمر ونافع وسالم سبق أنهم ثقات.

إسناده ضعيف، فيه مسلمة بن سالم ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات وستأتي في رواية زيد بن أسلم، وبشواهده من حديث أنس وقتادة وغيرهم ﷺ، دون قوله: (فلما رجع الغلام..).

٧- زيد بن أسلم:

رواه يعقوب بن كاسب، واختلف عنه في لفظه:

- **فرواه محمد بن صالح البغدادي** عن يعقوب بن كاسب حدثنا إبراهيم بن عيينة عن إسماعيل ابن رافع، عن زيد بن أسلم عن ابن عمر، بلفظ: تَعَالَ أُوَدِّعْكَ كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكَ)، أخرجه المحاملي[١٨٢] عن محمد بن صالح البغدادي.

محمد بن صالح البغدادي ثقة حافظ[١٨٣]، ويعقوب بن كاسب صدوق ربما وهم[١٨٤]، وإبراهيم بن عيينة صدوق يهم[١٨٥]، وإسماعيل بن رافع ضعيف الحفظ[١٨٦]، وزيد بن أسلم ثقة عالم وكان يرسل[١٨٧].

إسناده ضعيف، فيه إسماعيل بن رافع ضعيف الحفظ، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات السابقة، وبالشواهد من حديث أبي هريرة وعبد الله بن يزيد وستأتي.

- **ورواه أحمد بن داود المكي** عن يعقوب بن كاسب عن إبراهيم بن عيينة عن إسماعيل بن رافع عن زيد بن أسلم عن ابن عمر، بلفظ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: (زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، ولَقَّاكَ الْخَيْرَ حَيْثُ وَجَّهْتَ)، أخرجه الطبراني[١٨٨] عن أحمد بن داود.

أحمد بن داود قال ابن يونس: "ثقة"[١٨٩]، والبقية سبقوا: يعقوب بن كاسب صدوق ربما وهم، وإبراهيم بن عيينة صدوق يهم، وإسماعيل بن رافع ضعيف الحفظ، وزيد ابن أسلم ثقة عالم وكان يرسل.

وتابع يعقوب بن كاسب على هذا اللفظ:

حمزة بن حبيب الزيات، أخرجه الخطيب[١٩٠]، وحمزة صدوق زاهد ربما وهم[١٩١].

إسناده ضعيف، فيه إسماعيل بن رافع ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات السابقة، وبالشواهد من حديث أنس وقتادة رضي الله عنهما وستأتي.

٨- ضرار بن مرة الكوفي أبو سنان الشيباني، وقد رواه موقوفًا على ابن عمر، واختلف عنه:

- **فرواه سفيان الثوري** عن ضرار عن قزعة وأبي غالب قالا: شَيَّعَنَا ابْنُ عُمَرَ، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نُفَارِقَهُ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكُمَا، وَلَكِنْ أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمَا وَأَمَانَاتِكُمَا، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمَا، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمَا السَّلَامُ، أخرجه النسائي[١٩٢] عن محمد بن حاتم عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري.

محمد بن حاتم ثقة[١٩٣]، وسويد بن نصر ثقة [١٩٤]، وعبد الله بن المبارك، وسفيان الثوري وقزعة سبق أنهم ثقات، وضرار بن مرة ثقة ثبت[١٩٥]، وأبو غالب سبق أنه مجهول.

وتابع سفيان الثوري:

علي بن عاصم، أخرجه الخرائطي[١٩٦]، وعلي بن عاصم صدوق يخطئ ويصر[١٩٧].

- **ورواه إسرائيل** عن ضرار عن أبي غالب، قال: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ أَنَا وَقَزْعَةُ، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ مَشَى مَعَنَا، ثُمَّ قَالَ: مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكُمْ، وَلَكِنْ أَسْتَوْدِعُ اللهَ،

وساق الحديث، أخرجه النسائي[١٩٨] عن أحمد بن سليمان عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل.

أحمد بن سليمان ثقة حافظ[١٩٩]، وعبيد الله بن موسى ثقة[٢٠٠]، وإسرائيل ثقة[٢٠١]، وضرار سبق أنه ثقة، وأبو غالب مجهول.

إسناده ضعيف، فيه أبو غالب مجهول.

الراجح في رواية ضرار:

رواية ضرار بن مرة رواية شاذة، خالف فيها ضرار الرواة الثقات الذين رووا الحديث عن ابن عمر مرفوعًا.

الخلاصة في حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

الذي يظهر – والله تعالى أعلم – أن حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

بلفظ: (استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك) قد ثبت مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وهو حديث حسن، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره، بمجموع طرقه، وبشواهده من حديث أبي هريرة وعبد الله ابن يزيد رضي الله عنهما وسيأتيان.

وبلفظ: (ياغلام زودك الله التقوى....) الحديث، ضعيف ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره.

ثانيًا: حديث عبد اللَّه بن يزيد الخَطْمِيّ ﷺ:

رواه حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمى عن محمد بن كعب عن عبد الله الخطمى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْدِعَ الْجَيْشَ قَالَ: (أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ)، أخرجه أبو داود[٢٠٢]، وأحمد[٢٠٣]، وابن أبي...

شيبة[٢٠٤]، والنسائي[٢٠٥]- وعنه ابن السني[٢٠٦] – وأخرجه الطحاوي[٢٠٧]، والمحاملي[٢٠٨]، وابن قانع[٢٠٩]، والحاكم[٢١٠]، والبيهقي[٢١١]، جميعهم من طريق حماد بن سلمة.

حماد بن سلمة ثقة وتغير حفظه بآخرة [٢١٢]، إلا أن عفان بن مسلم – أحد الرواة عنه في هذا الحديث – سمع منه قبل الاختلاط[٢١٣]، وأبو جعفر الخطمي صدوق[٢١٤]، ومحمد بن كعب القرظي ثقة[٢١٥].

إسناده حسن، فيه أبو جعفر الخطمي صدوق، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره بشواهده من حديث ابن عمر ﷺ السابق، وحديث أبي هريرة ﷺ الآتي، وصحح إسناده المناوي[٢١٦].

ثالثًا: حديث أبي هريرة ﷺ، وله خمسة طرق:

١- الليث بن سعد:

رواه عبد الله بن المبارك عن الليث عن الحسن بن ثوبان، أُرَاهُ عن موسى بن وردان، قال: قال أبو هريرة لرجل: تَعَالَ أُوَدِّعْكَ كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ كَمَا وَدَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (اسْتَوْدَعْتُكَ اللهَ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ وَدَائِعَهُ[٢١٧])، أخرجه أحمد[٢١٨] عن عَتَّاب عن عبد الله بن المبارك.

عتاب بن زياد صدوق[٢١٩]، وعبد الله بن المبارك سبق أنه ثقة، والليث بن سعد ثقة ثبت[٢٢٠]، والحسن بن ثوبان صدوق[٢٢١]، وموسى بن وردان صدوق[٢٢٢].

وتابع ابن المبارك:

- عبد الله بن صالح، أخرجه الخرائطي[٢٢٣]، والمحاملي[٢٢٤] – ومن طريقه عبد الغني المقدسي[٢٢٥] – وأخرجه الطبراني[٢٢٦]، وعبد الله بن صالح صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة[٢٢٧].

- ويحيى بن بكير، أخرجه الطبراني[٢٢٨]- ومن طريقه المزي[٢٢٩] -، ويحيى بن بكير ثقة في الليث وتكلموا في سماعه من مالك[٢٣٠].

وقرن عبد الله بن وهب بالليث، سعيد بن أبي أيوب، أخرجه النسائي[٢٣١]، والطحاوي[٢٣٢]، كلاهما – النسائي والطحاوي – عن يونس بن عبد الأعلى، وابن السني[٢٣٣] من طريق أحمد بن سعيد الهمداني، كلاهما – يونس والهمداني – عن عبد الله ابن وهب وهو ثقة حافظ[٢٣٤]، وسعيد بن أبي أيوب ثقة ثبت[٢٣٥].

إسناده حسن، فيه الحسن بن ثوبان، وموسى بن وردان، كلاهما صدوق.

٢- رِشْدين بن سعد:

رواه عن الحسن بن ثوبان عن موسى بن وردان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ: أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا يُضِيعُ وَدَائِعُهُ).

أخرجه الطبراني[٢٣٦] من طريق قتيبة بن سعيد، وابن عدي[٢٣٧] من طريق محمد بن أبي السري، كلاهما عن رشدين بن سعد وهو ضعيف[٢٣٨].

إسناده ضعيف، فيه رشدين بن سعد ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات السابقة، دون قوله (من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف) فلم يذكرها أحد من الثقات.

٣- عبد الله بن لهيعة، واختلف عنه في متنه:

- **فرواه الوليد بن مسلم** قال: حدثنا ابن لهيعة عن الحسن بن ثوبان عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال: وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ)، أخرجه ابن ماجه[٢٣٩] عن هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، هشام بن عمار صدوق[٢٤٠]، والوليد سبق أنه ثقة يدلس، وقد صرح بالسماع، وعبد الله بن لهيعة صحيح أن ابن حجر قال فيه: "صدوق خلط بعد احتراق

كتبه[٢٤١]، لكن الذي يظهر – والله تعالى أعلم – بعد دراسة حاله أنه ضعيف، تركه ابن مهدي ويحيى بن سعيد ووكيع، وضعفه ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي وابن سعد وأبو أحمد الحاكم[٢٤٢]، والحسن بن ثوبان، وموسى بن وردان سبق أنهما صدوقان.

وتابع الوليد بن مسلم:

بشر بن حسان بن السَّرِيِّ، أخرجه ابن السني[٢٤٣] بلفظ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ إِذَا أَرَدْتَ سَفَرًا، أَوْ تَخْرُجُ مَكَانًا، تَقُولُ لِأَهْلِكَ: (أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ وَدَائِعَهُ)، بشر بن السري ثقة[٢٤٤].

إسناده ضعيف، فيه عبد الله بن لهيعة ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بالمتابعات السابقة.

أما قوله في رواية بشر بن السري: (إذا أردت سفرًا، أو تخرج مكانًا، تقول لأهلك) فلم يذكرها أحد من الثقات.

- **ورواه إسحاق بن عيسى الطباع** عن ابن لهيعة عن الحسن بن ثوبان عن موسى بن وردان عن أبي هريرة: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا وَدَّعَ أَحَدًا قَالَ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)، أخرجه أحمد[٢٤٥]، وابن سمعون[٢٤٦] من طريق عباس بن محمد، كلاهما – أحمد وعباس – عن إسحاق بن عيسى.

إسحاق بن عيسى صدوق[٢٤٧]، وعبد الله بن لهيعة ضعيف، والحسن بن ثوبان، وموسى بن وردان، كلاهما صدوق.

إسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بشواهده من حديث ابن عمر وعبد الله بن يزيد ﷺ السابقين.

٤- أسامة بن زيد:

رواه عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُ سَفَرًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: (أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ[٢٤٨])، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اللَّهُمَّ ازْوِ لَهُ الْأَرْضَ[٢٤٩]، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ[٢٥٠]) أخرجه الترمذي[٢٥١]، وأحمد[٢٥٢] – ومن طريقه الحاكم[٢٥٣] – وأخرجه ابن أبي شيبة[٢٥٤] – وعنه ابن ماجه[٢٥٥]، ومن طريقه ابن السني[٢٥٦] – وأخرجه البزار[٢٥٧]، والنسائي[٢٥٨]، وابن خزيمة[٢٥٩]، والمحاملي[٢٦٠]، وابن حبان[٢٦١]، وأبو علي الرَّفَّاء[٢٦٢]، والطبراني[٢٦٣]، وابن السني[٢٦٤]، والحاكم[٢٦٥] – وعنه البيهقي[٢٦٦] – وأخرجه أبو علي ابن شاذان[٢٦٧] – ومن طريقه أبو اليمن[٢٦٨] – وأخرجه ابن بشران[٢٦٩]، والبيهقي[٢٧٠]، وابن عبد البر[٢٧١]،... والبغوي[٢٧٢]، جميعهم من طريق أسامة بن زيد.

ولم يذكر ابن أبي شيبة – وابن ماجه وابن السني تبعًا له –: فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.... الخ الحديث.

وجاء عند الترمذي وأبي علي الرَّفَّاء: (عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ....) الحديث.

وجاء عند النسائي: (وأذكر الله على كل شرف).

قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ"

قوله: (أوصيك بتقوى الله) يشهد له حديث بريدة ﷺ قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا) أخرجه مسلم[٢٧٣].

وقوله (والتكبير على كل شرف) يشهد له حديث جابر ﷺ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا، أخرجه البخاري[٢٧٤].

أسامة بن زيد صدوق يهم[٢٧٥]، وسعيد المقبري ثقة تغير قبل موته بأربع سنين[٢٧٦]، لكن لم يأخذ عنه أحد في اختلاطه كما قال الذهبي[٢٧٧].

إسناده حسن، فيه أسامة بن زيد صدوق، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره، دون قوله (اللهم ازو له الأرض...) يبقى إسناده حسن.

وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني[٢٧٨].

٥- أن النبي ﷺ كان يودع الرجل إذا أراد السفر فيقول: (زودك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ووجهك إلى الخير حيث توجهت)، ذكره الهندي في كنز العمال[٢٧٩]، وعزاه لابن النجار.

الحكم عليه متوقف على معرفة إسناده.

الخلاصة في حديث أبي هريرة ﷺ:

حديث أبي هريرة:

- بلفظ (اسْتَوْدَعْتُكَ اللهَ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ وَدَائِعَهُ) حديث حسن، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره بمجموع طرقه، وحسنه ابن حجر[٢٨٠]، والمناوي[٢٨١]، وصححه الألباني[٢٨٢].
- وبلفظ (أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ) حديث ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بشواهده من حديث ابن عمر وعبد الله بن يزيد ﷺ السابقين.
- وبلفظ (أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ) حديث حسن، ويرتقي إلى درجة الصحيح لغيره، دون قوله (اللهم ازو له الأرض...) يبقى إسناده حسن.

- وبلفظ (زودك الله التقوى...) الحديث، متوقف على معرفة إسناده.

رابعًا: حديث أنس بن مالك ﷺ، وله طريقان:

١- **سَيَّار بن حاتم** عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي[٢٨٣]. قَالَ: (زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى[٢٨٤]) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: (وَغَفَرَ ذَنْبَكَ) قَالَ: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: (وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ[٢٨٥])[٢٨٦]، أخرجه الترمذي[٢٨٧]، وعبد الله بن أحمد في زوائده على كتاب الزهد[٢٨٨]، والبزار[٢٨٩]، والروياني[٢٩٠]، وابن خزيمة[٢٩١]، وابن السني[٢٩٢] – ومن طريقه الضياء المقدسي[٢٩٣] – وأخرجه الحاكم[٢٩٤] – وعنه البيهقي[٢٩٥] – وأخرجه البيهقي[٢٩٦]، جميعهم من طريق سيار بن حاتم.

قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب".

سيار بن حاتم صدوق له أوهام[٢٩٧]، وجعفر بن سليمان صدوق[٢٩٨]، وثابت ثقة[٢٩٩].

وتابع سيار بن حاتم:

- يزيد بن عمر المدائني، أخرجه الضياء المقدسي[٣٠٠]، ويزيد بن عمر قال الخطيب: "وما علمت من حاله إلا خيرًا"[٣٠١].
- وعبد الملك بن قريب الأصمعي، أخرجه ابن عساكر[٣٠٢]، وعبد الملك بن قريب صدوق[٣٠٣].

إسناده حسن، فيه سيار وجعفر بن سليمان صدوقان، وحسنه ابن... القطان[٣٠٤]، والألباني[٣٠٥]، وصححه ابن خزيمة.

٢- **مسلم بن إبراهيم** عن سعيد بن أبي كعب العبدي عن موسى بن ميسرة العبدي عن أنس بن مالك ﷺ، باللفظ السابق، وزاد في أوله: (فِي حِفْظِ اللَّهِ وَفِي

كَنَفِهِ[٣٠٦])، أخرجه الدارمي[٣٠٧]، وابن قتيبة[٣٠٨]، والخرائطي[٣٠٩] – ومن طريقه الضياء المقدسي[٣١٠]– وأخرجه المحاملي[٣١١]، والطبراني[٣١٢]، وابن السني[٣١٣]، والضياء المقدسي[٣١٤]، جميعهم من طريق مسلم بن إبراهيم.

وعزاه ابن حجر في تهذيب التهذيب[٣١٥] إلى الطبراني في معجمه، وعزاه الهندي في كنز العمال[٣١٦] إلى ابن النجار.

مسلم بن إبراهيم ثقة[٣١٧]، وسعيد بن أبي كعب العبدي قال أبو حاتم: "شيخ"[٣١٨] وذكره ابن حبان في الثقات[٣١٩]، وموسى بن ميسرة العبدي مستور[٣٢٠].

إسناده ضعيف، فيه سعيد بن كعب مجهول، وموسى بن ميسرة مستور، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بمتابعة سيار السابقة، دون قوله: (في حفظ الله وكنفه).

والحديث صححه الضياء المقدسي كما تقدم.

خامسًا: حديث قتادة بن عياش الجرشي ﷺ:

رواه قتادة بن الفضل، حدثني أبي الفضل بن عبد الله بن قتادة، عن عمه هشام بن قتادة، عن أبيه قتادة ﷺ قال: لَمَّا عَقَدَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمِي، أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَدَّعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (جَعَلَ اللَّهُ التَّقْوَى زَادَكَ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُ مَا تَكُونُ)، أخرجه البخاري[٣٢١]، وابن أبي خيثمة[٣٢٢]، والبزار[٣٢٣]، وأبو القاسم البغوي[٣٢٤]، والمحاملي[٣٢٥] – ومن طريقه ابن عساكر[٣٢٦] – وأخرجه ابن قانع[٣٢٧]، والطبراني[٣٢٨] – وعنه أبو نعيم[٣٢٩] – وأخرجه الحسين بن مسعود البغوي[٣٣٠]، وقوام السنة[٣٣١]، جميعهم من طريق قتادة بن الفضل.

وخالفهم أبو نعيم[٣٣٢] – ومن طريقه ابن الأثير[٣٣٣] – فأخرجه من طريق قتادة بن الفضل، حدثني أبي الفضل بن عبد الله بن قتادة، عن عمه هشام بن قتادة

قال: لَمَّا عَقَدَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَوْمِي، وذكر الحديث، فأسقط من هذا الإسناد قتادة ﷺ والد هشام.

قال ابن حجر: " ذكره البغويّ، ويحيى بن يونس، وأبو نعيم تبعا لغلط وقع لبعض الرواة في إسقاط ذكر أبيه من السند.... قال أبو موسى في الذيل: رواه غيره عن علي بن بحر- يعني بهذا السند-إلى هشام بن قتادة، فقال: عن أبيه، قال: لما عقد لي رسول اللَّه ﷺ، قلت: وهذا هو الصواب"[٣٣٤].

قال البزار: " لا نَعْلَمُ رَوَى قَتَادَةُ إِلا هَذَا الْحَدِيثَ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَهُوَ مِمَّنْ سَكَنَ الرُّهَا".

قتادة بن الفضل مقبول[٣٣٥] ولم يتابع، والفضل بن عبد الله بن قتادة ذكره البخاري في التاريخ الكبير[٣٣٦] ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلا، وذكره ابن حبان في الثقات[٣٣٧]، وهشام بن قتادة ذكره أبو نعيم[٣٣٨] وابن الأثير[٣٣٩] في الصحابة، وذكره ابن أبي حاتم في التابعين[٣٤٠] ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في الثقات[٣٤١].

إسناده ضعيف لحال قتادة وأبيه وعم أبيه، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بشواهده من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحديث رجل من الأنصار عن أبيه، وستأتي.

سادسًا: حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده:

رواه عبد الله بن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُوَدِّعُ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ السَّفَرَ، فَيَقُولُ: (زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، وَوَجَّهَكَ الْخَيْرَ حَيْثُ تَوَجَّهَتَ) أخرجه الخرائطي[٣٤٢]، والمحاملي[٣٤٣] – ومن

طريقه عبد الغني المقدسي[٣٤٤] – وأخرجه أبو الحسن الخِلَعي[٣٤٥]، جميعهم من طريق ابن لهيعة.

عبد الله بن لهيعة سبق أنه ضعيف، وعمرو بن شعيب صدوق[٣٤٦]، وشعيب بن محمد صدوق ثبت سماعه من جده[٣٤٧].

إسناده ضعيف، فيه عبد الله بن لهيعة ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بشواهده من حديث قتادة السابق، وحديث رجل من الأنصار عن أبيه وسيأتي.

سابعًا: حديث رجل من الأنصار عن أبيه:

رواه عبد الله بن داود عن عبد العزيز بن عمر عن رجل من الأنصار عن أبيه: أَنّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ رَجُلًا فَقَالَ: (زَوَّدَكَ اللَّهُ التقوى، وغفر لك ذنبك، وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ مِنْ حَيْثُمَا كُنْتَ)،أخرجه مسدد[٣٤٨] عن عبد الله بن داود.

عبد الله بن داود سبق أنه ثقة، وعبد العزيز بن عمر سبق أنه صدوق يخطئ.

إسناده ضعيف فيه راو لم يسم، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بشواهده من حديث قتادة وعمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده وقد سبقا.

ثامنًا: حديث عبد الله بن مسعود ﷺ:

رواه محمد بن عبيد بن ثعلبة الحماني عن عمر بن عبيد عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ رَجُلًا فَقَالَ: (زَوَّدَكَ اللهُ بِالتَّقْوَى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَلَقَّاكَ الْخَيْرَ) أخرجه أبو نعيم[٣٤٩] من طريق محمد بن عبيد، وقال: " غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْهُ ".

محمد بن عبيد مقبول[٣٥٠] ولم يتابع، وعمر بن عبيد صدوق[٣٥١]، والأعمش ثقة حافظ لكنه يدلس[٣٥٢] وقد عنعن، وأبو وائل ثقة[٣٥٣].

إسناده ضعيف، فيه محمد بن عبيد مقبول ولم يتابع، والأعمش مدلس وقد عنعن، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره بشواهده السابقة.

تاسعًا: حديث عمر بن الخطاب ﷺ:

رواه نهشل عن[٣٥٤] الضحاك بن مزاحم عن ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ كان إذا ودعه الرجل قال له: (جعل الله زادك التقوى، ولقاك الخير حيث كنت، ورزقك حسن المآب[٣٥٥])، ذكره الهندي في كنز العمال[٣٥٦] وعزاه لأبي الحسن علي ابن أحمد المديني في أماليه.

نهشل بن سعيد متروك[٣٥٧]، والضحاك بن مزاحم صدوق كثير التدليس[٣٥٨].

إسناده ضعيف جدًا، فيه نهشل بن سعيد متروك، والضحاك مدلس وقد عنعن.

عاشرًا: حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

رواه ابن إسحاق قال حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ[٣٥٩]، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ، وَقَالَ: (انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ)، أخرجه ابن إسحاق[٣٦٠]، ومن طريقه:

أحمد[٣٦١]– ومن طريق أحمد أخرجه الضياء المقدسي[٣٦٢] – وإسحاق بن راهوية[٣٦٣]، والبزار[٣٦٤]، والطبري[٣٦٥]، والطبراني[٣٦٦]– ومن طريق الطبراني أخرجه الضياء المقدسي[٣٦٧] –، والحاكم[٣٦٨]، والبيهقي[٣٦٩]،.... وابن عساكر[٣٧٠]، والضياء المقدسي[٣٧١].

جاء عند البزار والضياء المقدسي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺلَمَّا وَجَّهَ ابْنَ مَسْلَمَةَ وَأَصْحَابَهُ إِلَى ابْنِ الأَشْرَفِ لِيَقْتُلُوهُ... الحديث.

وزاد إسحاق بن راهوية والطبري والطبراني – والضياء المقدسي تبعًا له– في آخر الحديث: ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ.

وزاد أحمد في آخر الحديث: يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ.

وزاد الطبراني: يَعْنِي في قتل كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ.

محمد بن إسحاق صدوق يدلس[٣٧٢] وقد صرح بالسماع، ثور بن زيد ثقة[٣٧٣]، وعكرمة ثقة ثبت[٣٧٤].

إسناده حسن، فيه محمد بن إسحاق صدوق، وحسن إسناده ابن حجر[٣٧٥]، والألباني[٣٧٦].

وقال الحاكم: " وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، وقال الذهبي: " صحيح ". وصححه الضياء المقدسي كما سبق.

المبحث الثالث
ما يقوله المسافر للمقيم

وفيه: حديث أبي هريرة ﷺ:

وسبق الكلام عليه في المبحث الثاني، لكن أحببت التأكيد على روايتين عنه ﷺ تبين هذا المعنى:

١- **رِشْدين بن سعد** عن الحسن بن ثوبان عن موسى بن وردان عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ: أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا يُضِيعُ وَدَائِعُهُ)، وسبق بيان أن إسناده ضعيف، فيه رشدين بن سعد ضعيف.

٢- **بشر بن حسان بن السَّرِيِّ** عن ابن لهيعة عن الحسن بن ثوبان عن موسى بن وردان، قال: قال أبو هريرة: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ إِذَا أَرَدْتَ سَفَرًا أَوْ تَخْرُجُ مَكَانًا تَقُولُ لِأَهْلِكَ: (أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ وَدَائِعَهُ)، وسبق بيان أن إسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة ضعيف.

والحديث بهذا اللفظ ضعيف، في الطريق الأول رشدين، وفي الثاني ابن لهيعة، كلاهما ضعيف، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره، دون قوله في الرواية الأولى (فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ)، وفي الثانية (إِذَا أَرَدْتَ سَفَرًا أَوْ تَخْرُجُ مَكَانًا تَقُولُ لِأَهْلِكَ)، لم يذكرها أحد من الثقات الذين رووا الحديث.

المبحث الرابع

طلب المقيم من المسافر الدعاء له

وفيه حديث عمر أو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وله ثلاثة طرق:

١- عاصم بن عبيد الله، واختلف عنه:

- **فرواه عنه شعبة: واختلف عنه:**

أ- فرواه سليمان بن حرب عن شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر ﷺ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: (لاَ تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ)، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا، قَالَ شُعْبَةُ: ثُمَّ لَقِيتُ عَاصِمًا بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ، فَحَدَّثَنِيهِ، وَقَالَ: (أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ)، أخرجه أبو داود[٣٧٧] – ومن طريقه البيهقي[٣٧٨] – وأخرجه ابن سعد[٣٧٩]، والبيهقي[٣٨٠]، والضياء المقدسي[٣٨١]، جميعهم من طريق سليمان بن حرب.

سليمان بن حرب ثقة إمام حافظ[٣٨٢]، وشعبة ثقة حافظ متقن[٣٨٣]، وعاصم بن عبيد الله ضعيف[٣٨٤]، وسالم بن عبد الله سبق أنه أحد الفقهاء السبعة وكان ثبتًا.

وتابع سليمان بن حرب:

- محمد بن جعفر، أخرجه أحمد(٣٨٥) – ومن طريقه الضياء المقدسي(٣٨٦) – والبزار(٣٨٧) ومحمد بن جعفر ثقة(٣٨٨).
- وعمرو بن مرزوق، أخرجه البيهقي(٣٨٩)، والضياء المقدسي(٣٩٠)، وعمرو بن مرزوق ثقة فاضل(٣٩١).
- وحجاج بن المنهال، أخرجه البيهقي(٣٩٢)، وحجاج بن المنهال ثقة فاضل(٣٩٣).
- وحجاج بن نُصير، أخرجه الضياء المقدسي[٣٩٤]، وحجاج بن نصير ضعيف كان يقبل التلقين[٣٩٥].

- وأبو الوليد الطيالسي، أخرجه ابن سعد[٣٩٦]، وابن عدي[٣٩٧]، وابن السني[٣٩٨]، وأبو الوليد الطيالسي ثقة ثبت[٣٩٩].

إسناده ضعيف، فيه عاصم بن عبيد الله ضعيف.

ب- ورواه أبو داود الطيالسي[٤٠٠] – ومن طريقه البيهقي[٤٠١] – عن شعبة عن عاصم بن..

عبيدالله عن سالم بن عبد الله عن أبيه، فجعله من مسند ابن عمر رضي الله عنهما.

أبو داود ثقة حافظ[٤٠٢]، وشعبة وسالم سبق أنهما ثقتان، وعاصم بن عبيد الله سبق أنه ضعيف.

وتابع أبا داود:

سَلْم بن قتيبة، أخرجه عبد بن حميد[٤٠٣]، وسلم صدوق[٤٠٤].

إسناده ضعيف، فيه عاصم بن عبيد الله ضعيف.

- **ورواه وكيع، واختلف عنه:**

أ- فرواه سفيان بن وكيع عن أبيه عن سفيان الثوري عن عاصم بن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر عن عمر، فجعله من مسند عمر ﷺ، أخرجه الترمذي[٤٠٥]، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

سفيان بن وكيع كان صدوقا، إلا أنه ابتلي بوراقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح، فلم يقبل، فسقط حديثه[٤٠٦]، وسفيان وسالم سبق أنهما ثقتان وعاصم بن عبيد الله سبق أنه ضعيف.

وتابع سفيان بن وكيع:

أبو بكر بن أبي شيبة، أخرجه ابن ماجه[٤٠٧]، وأبو بكر بن أبي شيبة ثقة حافظ[٤٠٨].

إسناده ضعيف، فيه عاصم بن عبيد الله ضعيف، وسفيان بن وكيع سقط حديثه لكن تابعه ابن أبي شيبة.

ب- ورواه أبو خيثمة عن وكيع عن سفيان الثوري عن عاصم بن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر، فجعله من مسند ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه أبو يعلى[٤٠٩].

أبو خيثمة ثقة ثبت[٤١٠]، ووكيع وسفيان وسالم سبق أنهم ثقات، وعاصم ضعيف.

وتابع أبا خيثمة:

القواريري، أخرجه الضياء المقدسي[٤١١]، والقواريري ثقة ثبت[٤١٢].

وتابع وكيعًا على هذه الرواية:

- الفريابي وقبيصة، أخرجه البيهقي[٤١٣]، والفريابي ثقة فاضل، يقال أخطأ في شيء من حديث سفيان، وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبدالرزاق[٤١٤]، وقبيصة سبق أنه صدوق ربما خالف.
- ومحمد بن عبد الله الأسدي، أخرجه ابن سعد[٤١٥]، ومحمد بن عبد الله ثقة ثبت إلا أنه قد يخطىء في حديث الثوري[٤١٦].
- والقاسم بن يزيد الجرمي، أخرجه أبو يعلى[٤١٧]، والخطيب البغدادي[٤١٨]، والقاسم بن يزيد ثقة[٤١٩].

ت- ورواه أحمد[٤٢٠] عن وكيع عن سفيان بن عيينة وعبد الرزاق عن سفيان الثوري بمثل رواية أبي خيثمة ومن تابعه، وابن عيينة ثقة حافظ[٤٢١] وعبد الرزاق ثقة حافظ[٤٢٢] ووكيع وسفيان وسالم سبق أنهم ثقات، وعاصم ضعيف.

إسناده ضعيف، فيه عاصم بن عبيد الله ضعيف.

- **ورواه مؤمل بن إسماعيل، واختلف عنه:**

أ- **فرواه محمد بن المثنى** عن مؤمل عن سفيان الثوري عن عاصم عن سالم عن أبيه عن عمر، فجعله من مسند عمر ﷺ، أخرجه البزار[٤٢٣] عن محمد بن المثنى وهو ثقة ثبت[٤٢٤]، ومؤمل بن إسماعيل صدوق سيء الحفظ[٤٢٥]، وسفيان وسالم سبق أنهما ثقتان، وعاصم ضعيف.

إسناده ضعيف، فيه عاصم بن عبيد الله ضعيف، ومؤمل صدوق سيء الحفظ.

ب- **ورواه حميد بن عياش** عن مؤمل عن سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وشعبة عن عاصم بن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر، بلفظ: (أُخي أذكرنا في صالح دعائك)، فجعله من مسند ابن عمر، أخرجه البيهقي[٤٢٦]، والخطيب البغدادي[٤٢٧]، وحميد بن عياش صدوق[٤٢٨]، ومؤمل بن إسماعيل سبق أنه صدوق سيء الحفظ، وابن عيينة والثوي وشعبة وسالم سبق أنهم ثقات، وعاصم ابن عبيدالله ضعيف.

إسناده ضعيف، فيها عاصم ضعيف، ومؤمل بن إسماعيل صدوق سيء الحفظ.

الخلاصة في طريق عاصم بن عبيد الله:

هذه الطريق ضعيفة، مدارها على عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف كما تقدم.

٢- عبيد الله بن عبد الله:

رواه أسباط بن محمد عن سفيان الثوري عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، باللفظ السابق، أخرجه الخطيب[٤٢٩] من طريق أسباط بن محمد.

أسباط بن محمد ثقة ضعف في الثوري[٤٣٠]، والبقية ثقات وقد سبقوا.

قال الخطيب: "قَالَ ابْنُ عَبْدَانَ: وَلَيْسَ بِمَحْفُوظٍ من حديث الثوري وأظنه وهماً".

إسناده ضعيف، فيه أسباط بن محمد ضعف في الثوري، وليس بمحفوظ.

٣- الوليد بن أبي هشام:

رواه سعيد بن محمد الثقفي عن المغيرة بن زياد الموصلي عن الوليد بن أبي هشام قال: استأذن عمر بن الخطاب... الحديث، أخرجه ابن سعد[٤٣١] عن سعيد بن محمد الثقفي.

سعيد بن محمد الثقفي ضعيف[٤٣٢]، والمغيرة بن زياد صدوق له أوهام[٤٣٣]، والوليد بن أبي هشام صدوق[٤٣٤].

فهذه الطريق ضعيفة، فيها سعيد الثقفي ضعيف، وإسنادها منقطع.

الخلاصة في حديث عمر أو ابن عمر رضي الله عنهما:

الحديث ضعيف، لم يسلم طريق من طرقه من الضعف.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أحب أن أشير إلى بعض النتائج التي توصلت إليها:

١- عدد الأحاديث الواردة في توديع المسافر سبعة عشر حديثًا، تقسيمها على النحو التالي:

أ- الصحيح: ٤

ب- الحسن: ٨

ت- الضعيف ضعفًا يسيرا: ١

ث- شديد الضعف: ٣

ج- متوقف فيه: ١

٢- استحباب توديع المسافر.

٣- استحباب الدعاء للمسافر.

٤- تسلية المسافر بالدعاء له.

٥- مشروعية الأخذ بيد المسافر.

٦- استحباب طلب الدعاء من المسافر.

٧- المسافر محتاج للدعاء والوصية من غيره.

٨- السفر قطعة من العذاب فالمسافر محتاج لمن يدعوا له بأن يهون عليه السفر.

٩- استحباب وصية المسافر بتقوى الله، والتكبير على كل شرف.

١٠- استحباب توديع الإنسان لأهله وإخوانه إذا أراد سفرًا.

١١- استحباب السلام على الإخوان والأقارب حين إرادة السفر.

١٢- استحباب استقبال المسافر عند رجوعه والسلام عليه.

١٣- مشروعية التوديع بالقول الوارد فيه وهي النحو التالي:

أ- أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.

ب- أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

ت- زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيث كنت.

١٤- مشروعية قول المسافر لأهله أو من يخلفه: استودعكم الله الذي لا يضيع ودائعه.

الفهارس (فهرس أطراف الأحاديث)

طرف الحديث	الراوي	درجة الحديث	الصفحة
إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا، فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ	زيد بن أرقم	ضعيف جدا	٥
إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا فَلْيُسَلِّمْ عَلَى إِخْوَانِهِ	أبو هريرة	ضعيف جدا	٥
إِذَا أَرَدْتَ سَفَرًا، أَوْ تَخْرُجُ مَكَانًا، تَقُولُ لِأَهْلِكَ: أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ	أبو هريرة	ضعيف	٢٨
إِذَا اسْتُودِعَ اللهُ شَيْئًا حَفِظَهُ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللهَ	ابن عمر	صحيح لغيره	٦
اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي	عمر	ضعيف	٣٩
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ	ابن عمر	صحيح لغيره	٨
اسْتَوْدَعْتُكَ اللهَ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ وَدَائِعَهُ	أبو هريرة	صحيح لغيره	٢٥
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا أَدَّاهُ	ابن عمر	حسن لغيره	١٦
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا وَدَّعَ أَحَدًا قَالَ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ	أبو هريرة	حسن لغيره	٢٨
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ رَجُلًا فَقَالَ: زَوَّدَكَ اللَّهُ التقوى	رجل من الأنصار	حسن لغيره	٣٦
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَدَّعَ رَجُلًا فَقَالَ: زَوَّدَكَ اللهُ بِالتَّقْوَى	ابن مسعود	حسن	٣٦
أن رسول الله ﷺ كان إذا ودعه الرجل قال له: جعل الله	عمر	ضعيف جدًا	٣٦
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُوَدِّعُ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ السَّفَرَ	عمرو بن شعيب	حسن لغيره	٣٥
انْتَظِرْ أُوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا.	ابن عمر	صحيح لغيره	٩
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي	أنس	حسن	٣١
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُ سَفَرًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي	أبو هريرة	حسن	٢٨
جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ هَذِهِ النَّاحِيَةَ الْحَجَّ	ابن عمر	حسن لغيره	٢١
زودك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ووجهك إلى الخير	أبو هريرة	متوقف فيه	٣٠
قال لقمان الحكيم: إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ	ابن عمر	حسن لغيره	١٧

طرف الحديث	الراوي	درجة الحديث	الصفحة
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْدِعَ الْجَيْشَ	عبد الله بن يزيد	صحيح لغيره	٢٤
كَانَ رَسُولُ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلاَ يَدَعُهَا	ابن عمر	حسن لغيره	٢٠
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَشْخَصَ السَّرَايَا	ابن عمر	حسن لغيره	٢٠
كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ	بريدة	صحيح	٣٠
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ	ابن عمر	حسن لغيره	٢٣
كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا	جابر	صحيح	٣٠
لَمَّا عَقَدَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمِي أَخَذْتُ بِيَدِهِ	قتادة بن عياش	حسن لغيره	٣٤
مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ	ابن عباس	حسن	٣٧
مَنْ أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ: أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ	أبو هريرة	ضعيف	٢٧

الهوامش والتعليقات:

(١) المسند (١٢/ ٤٢) حديث رقم (٦٦٨٦).

(٢) المعجم الأوسط (٣/ ١٧٥) حديث رقم (٢٨٤٢).

(٣) آداب الصحبة (ص: ١١٣) حديث رقم (١٧٩).

(٤) تقريب التهذيب (ص: ٧٣٣).

(٥) المرجع السابق (ص: ١٠٦٣).

(٦) المرجع السابق (ص: ٤٢١).

(٧) المرجع السابق (ص: ٣١٣).

(٨) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦٣) حديث رقم (٨٠٥).

(٩) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٣٨) حديث رقم (١٧٢٠).

(١٠) تاريخ دمشق (٥٧/ ٣٧٢).

(١١) تقريب التهذيب (ص: ٥٥٩).

(١٢) المرجع السابق (ص: ٩٣٣).

(١٣) المرجع السابق (ص: ١٥٩).

(١٤) المرجع السابق (ص: ١٠٠٨).

(١٥) استودع الله، أي: أَسْتَحْفِظُ وَأَطْلُبُ مِنْهُ حِفْظَ دِينِكَ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٠)

(١٦) الدين شامل للإيمان والاستسلام وتوابعهما. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩٠)، وقال الخطابي في معالم السنن (٢/ ٢٥٩): " جرى ذكر الدين مع الودائع لأن السفر موضع خوف وخطر، وقد تصيبه فيه المشقة والتعب، فيكون سببا لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين فدعا له بالمعونه والتوفيق ".

(١٧) وقال الخطابي أيضًا (٢/ ٢٥٨): " الأمانة هاهنا: أهله ومن يخلفه منهم، وماله الذي يودعه ويستحفظه أمينه ووكيله ومن في معناهما ".

(١٨) قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٥٠): " أَي الصَّالح الَّذِي جعلته آخر عَمَلك فِي الْإِقَامَة فَإِن الْمُسَافِر يسن لَهُ ختم إِقَامَته بِعَمَل صَالح ".

(١٩) الفوائد المعللة (ص: ١٣٧) حديث رقم (٧٢).

(٢٠) المعجم الأوسط (٥/ ٦٠) حديث رقم (٤٦٦٧)، ومسند الشاميين (٢/ ٥٢) حديث رقم (٩٠٦)، والدعاء (١١٨٥/٢) حديث رقم (٨٢٨).

(٢١) السنن الكبرى (٩/ ١٨٩)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٣) حديث رقم (٥٠٩).

(٢٢) صحيح ابن حبان (٦/ ٤١٠- ٤١١) حديث رقم (٢٦٩٣).

(٢٣) المعجم الكبير (١٢/ ٤٢٧) حديث رقم (١٣٥٧١)، ومسند الشاميين (٢/ ٥٢) حديث رقم (٩٠٦)، والدعاء (١١٨٥/٢) حديث رقم (٨٢٨).

(٢٤) السنن الكبرى (٩/ ٢٩١) حديث رقم (١٨٥٧٧).

(٢٥) تقريب التهذيب (ص: ١٠٣٠).

(٢٦) المرجع السابق (ص: ٩٤٨).

(٢٧) المرجع السابق (ص: ٩٢١).

(٢٨) المعجم الأوسط (٧/ ١٧) حديث رقم (٦٧٢٥).

(٢٩) تقريب التهذيب (ص: ٨١٧).

(٣٠) السنن الكبرى (٩/ ١٩٠) حديث رقم (١٠٢٦٩)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٣) حديث رقم (٥١٠).

(٣١) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦٢) حديث رقم (٨٠٣).

(٣٢) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٩).

(٣٣) تقريب التهذيب (ص: ٥٢٨).

(٣٤) المرجع السابق (ص: ٦١٤).

(٣٥) (١٣/ ٢٠٦).

(٣٦) تقريب التهذيب (ص: ٣٤٢).

(٣٧) الفتوحات الربانية لابن علان (٥/ ١١٣).

(٣٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤٩).

(٣٩) أَي اقترِبْ. لسان العرب (١٣/ ١٦٥)

(٤٠) السنن (٥/ ٣٧٦) حديث رقم (٣٤٤٣).

(٤١) الحدائق في علم الحديث والزهديات (١٣٣/٣).

(٤٢) المسند (٨/ ١١٩) حديث رقم (٤٥٢٤).

(٤٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٠/ ٤١٥).

(٤٤) البحر الزخار (١٢/ ٢٧٨) حديث رقم (٦٠٨٠).

(٤٥) السنن الكبرى (٨/ ١٠٨) حديث رقم (٨٧٥٥)، و(٩/ ١٩٣) حديث رقم (١٠٢٨٠)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٧) حديث رقم (٥٢٣).

(٤٦) الدعاء (ص: ٤٠) حديث رقم (٣).

(٤٧) المعجم (٢/ ٧٧٩) حديث رقم (٩٧٦).

(٤٨) الترغيب في الدعاء (ص: ٢٥١) حديث رقم (١٣٠).

(٤٩) المشيخة (ص: ١٠١).

(٥٠) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/ ٩٠).

(٥١) الدعاء (١١٨١/٢- ١١٨٢) حديث رقم (٨٢١).

(٥٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦/ ٧٠).

(٥٣) التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٢٩١).

(٥٤) تقريب التهذيب (ص: ٣٧٦).

(٥٥) المرجع السابق (ص: ٢٧٩).

(٥٦) المرجع السابق (ص: ٣٦٠).

(٥٧) السنن الكبرى (٨/ ١٠٨) حديث رقم (٨٧٥٤)، و(٩/ ١٩٣) حديث رقم (١٠٢٧٩)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٧) حديث رقم (٥٢).

(٥٨) المسند (٩/ ٤٧١) حديث رقم (٥٦٢٤)، و(١٠/ ٤٢) حديث رقم (٥٦٧٤).

(٥٩) الصحيح (٤/ ١٣٧) حديث رقم (٢٥٣١).

(٦٠) المستدرك (٢/ ١٠٦) حديث رقم (٢٤٧٥).

(٦١) أحاديث السفر (ص: ٣٥) حديث رقم (١٠).

(٦٢) تقريب التهذيب (ص: ١٠٤١).

(٦٣) المرجع السابق (ص: ٧٩٤).

(٦٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٤٩).

(٦٥) العلل ومعرفة الرجال رواية المروذي (ص: ١٤١).

(٦٦) سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود (١٨٧/٢).

(٦٧) المستدرك (١/ ٦١٠) حديث رقم (١٦١٧).

(٦٨) السنن الكبرى (٥/ ٤١٢) حديث رقم (١٠٣١٢).

(٦٩) ينظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٧).

(٧٠) تاريخ الإسلام (٩/ ٨٩).

(٧١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٧).

(٧٢) المرجع السابق (٦/ ٥١٢).

(٧٣) تقريب التهذيب (ص: ١٢٩).

(٧٤) بحثت عن هذه الرواية كثيرًا فلم أعثر عليها.

(٧٥) علل الحديث (٣/ ١٨٦).

(٧٦) تقريب التهذيب (ص: ١٠٤٨).

(٧٧) المرجع السابق (ص: ٨٠١).

(٧٨) المسند (١٠/ ٣٣٥) حديث رقم (٦١٩٩).

(٧٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣١/ ٢٠٤).

(٨٠) المنتخب من مسند عبد بن حميد (ص: ٢٦٤) حديث رقم (٨٣٤).

(٨١) التاريخ الكبير (٨/ ٢٦٠).

(٨٢) السنن الكبرى (٩/ ١٩٠)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٤) حديث رقم (٥١٢).

(٨٣) علل الحديث (٣/ ١٨٧).

(٨٤) الدعاء (ص: ٤١) حديث رقم (٤).

(٨٥) المسند (٢/ ١٠٠) حديث رقم (٦٢٦).

(٨٦) السنن الكبرى (٥/ ٤١٢) حديث رقم (١٠٣١١)، والدعوات الكبير (٢/ ٤٠) حديث رقم (٤٥٥).

(٨٧) تاريخ دمشق (٤٩/٣١٦- ٣١٧).

(٨٨) تقريب التهذيب (ص: ٧٨٢).

(٨٩) السنن الكبرى (٩/ ١٩٠)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٣) حديث رقم (٥١١).

(٩٠) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٦).

(٩١) تقريب التهذيب (ص: ٦٣٥).

(٩٢) السنن الكبرى (٩/ ١٩١) حديث رقم (١٠٢٧٠)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٤) حديث رقم (٥١٣).

(٩٣) شرح مشكل الآثار (١٥/ ١٩٢) حديث رقم (٥٩٤٠).

(٩٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٣٩) حديث رقم (١٧٢٣).

(٩٥) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٦).

(٩٦) تقريب التهذيب (ص: ١٥٤).

(٩٧) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٨).

(٩٨) الجرح والتعديل (٩/ ١٩٣)، ميزان الاعتدال (٤/ ٤١٢).

(٩٩) (١٣/ ٢٠٥).

(١٠٠) تقريب التهذيب (ص: ٩٧٠).

(١٠١) علل الحديث (٣/ ١٨٦).

(١٠٢) السنن (٣/ ٣٤) حديث رقم (٢٦٠٠).

(١٠٣) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٨- ٣١٩).

(١٠٤) المستدرك (٢/ ١٠٦) حديث رقم (٢٤٧٦).

(١٠٥) تقريب التهذيب (ص: ٥٠٣).

(١٠٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٣/ ٥٩٨).

(١٠٧) تقريب التهذيب (ص: ١٣٨).

(١٠٨) المسند (٩/ ٢٠) حديث رقم (٤٩٥٧).

(١٠٩) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٨).

(١١٠) تقريب التهذيب (ص: ٩٣٢).

(١١١) المسند (٨/ ٣٩٧- ٣٩٨) حديث رقم (٤٧٨١).

(١١٢) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٥).

(١١٣) تقريب التهذيب (ص: ١٠٣٧).

(١١٤) السنن الكبرى (٩/ ١٩١) حديث رقم (١٠٢٧٢)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٥) حديث رقم (٥١٥).

(١١٥) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦٢) حديث رقم (٨٠٢).

(١١٦) تاريخ دمشق (٥٥/٢٢٠- ٢٢١).

(١١٧) المرجع السابق (٣٦/ ٣٢٤)، و(٤٩/ ٣١٤- ٣١٥).

(١١٨) تقريب التهذيب (ص: ١٠٣٧).

(١١٩) السنن الكبرى (٩/ ١٩١) حديث رقم (١٠٢٧١)، وعمل اليوم والليلة (ص ٣٥٤) حديث رقم (٥١٤).

(١٢٠) تاريخ دمشق (٤٩/ ٣١٩).

(١٢١) تقريب التهذيب (ص: ٧٧٣).

(١٢٢) المرجع السابق (ص: ١٤٣).

(١٢٣) علل الحديث (٦/ ٣٦- ٣٧).

(١٢٤) (١٣/ ٢٠٦).

(١٢٥) تقريب التهذيب (ص: ٧٩٤).

(١٢٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣/ ٥٦)، وقد صوب رواية يحيى بن إسماعيل أيضًا في (٣١/ ٢٠٤).

(١٢٧) المعجم الأوسط (٢/ ١٥٢) حديث رقم (١٥٥١).

(١٢٨) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٨٣).

(١٢٩) تقريب التهذيب (ص: ٢٤٦).

(١٣٠) المرجع السابق (ص: ٧٨٤).

(١٣١) المرجع السابق (ص: ٤٣٦).

(١٣٢) المرجع السابق (ص: ١٩٢).

(١٣٣) المرجع السابق (ص: ٤٧٥).

(١٣٤) المراسيل (ص: ١٦٠).

(١٣٥) السنن الكبرى (٩/ ١٩١) حديث رقم (١٠٢٧٣)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٥) حديث رقم (٥١٦).

(١٣٦) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦١) حديث رقم (٨٠٠).

(١٣٧) تقريب التهذيب (ص: ٨٨٩).

(١٣٨) المرجع السابق (ص: ١٠٠٩).

(١٣٩) المسند (٤٣١/٩) حديث رقم (٥٦٠٦).

(١٤٠) عمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٥) حديث رقم (٥١٨).

(١٤١) تقريب التهذيب (ص: ٥٤٠).

(١٤٢) المرجع السابق (ص: ٣٩٤).

(١٤٣) المسند (٤٣٠/٩) حديث رقم (٥٦٠٥).

(١٤٤) تقريب التهذيب (ص: ٦٠١).

(١٤٥) عمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٥) حديث رقم (٥١٧).

(١٤٦) المنتخب من مسند عبد بن حميد (ص: ٢٧٠) حديث رقم (٨٥٥).

(١٤٧) تقريب التهذيب (ص: ٧٩٧).

(١٤٨) تاريخ ابن معين – رواية الدوري (٣/ ٢٨٧).

(١٤٩) المرجع السابق (٤/ ٣٢٤).

(١٥٠) الجرح والتعديل (٨/ ٤٩٥).

(١٥١) الدعاء للطبراني (١١٨٥/٢).

(١٥٢) السنن الكبرى (٩/ ١٩٢) حديث رقم (١٠٢٧٦)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٦) حديث رقم (٥١٩).

(١٥٣) تقريب التهذيب (ص: ١٣٣).

(١٥٤) الدعاء (١١٨٥/٢) حديث رقم (٨٢٧).

(١٥٥) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٦٢).

(١٥٦) (٢٧٣/٦).

(١٥٧) أي أرسلها، والسرايا جمع سرية، وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٣/٢)

(١٥٨) شُخُوصُ المسافِر: خروجه عن منزله. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٥٠)

(١٥٩) السنن (٢/ ٩٤٣) حديث رقم (٢٨٢٦).

(١٦٠) السنن الكبرى (٩/ ١٨٨) حديث رقم (١٠٢٦٧)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥١) حديث رقم (٥٠٦).

(١٦١) تقريب التهذيب (ص: ٢١٦).

(١٦٢) المرجع السابق (ص: ٢٥٥).

(١٦٣) المرجع السابق (ص: ٨٧١).

(١٦٤) المرجع السابق (ص: ٩٩٦).

(١٦٥) السنن (٥/ ٣٧٦) حديث رقم (٣٤٤٢).

(١٦٦) البحر الزخار (١٢/ ٢٣٠) حديث رقم (٥٩٥٢)، إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية تحرف في المطبوع إلى: إبراهيم ابن عبد الرحمن عن يزيد بن أمية.

(١٦٧) عيون الأخبار (٣/ ٣٨).

(١٦٨) تقريب التهذيب (ص: ١١١).

(١٦٩) المعجم الكبير (١٢/ ٣٧٣) حديث رقم (١٣٣٨٤).

(١٧٠) تقريب التهذيب (ص: ٥٨٦).

(١٧١) المرجع السابق (ص: ٦٤٣).

(١٧٢) أَيْ أبْدَلك بِمَا ذَهَب مِنْكَ وعَوَّضَك عَنْهُ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٦٦)

(١٧٣) جزء القاسم بن موسى الأشيب (ص: ٣٨) حديث رقم (٣٧).

(١٧٤) المعجم الكبير (١٢/ ٢٩٢) حديث رقم (١٣١٥١)، والأوسط (٥/ ١٦) حديث رقم (٤٥٤٨)، والدعاء (٢/١١٨٠- ١١٨١) حديث رقم (٨١٩).

(١٧٥) في نتائج الأفكار كما في الفتوحات الربانية (١٧٥/٥).

(١٧٦) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٥٤، ٤٨١) حديث رقم (٥٠٦، ٥٣٣).

(١٧٧) كما في الفتوحات الربانية (١٧٦/٥).

(١٧٨) تقريب التهذيب (ص: ٢٤٤).

(١٧٩) الجرح والتعديل (٦/ ٣٥٠).

(١٨٠) (٨/ ٥٠٦).

(١٨١) تقريب التهذيب (ص: ٩٣٨).

(١٨٢) الدعاء (ص: ٤١) حديث رقم (٥).

(١٨٣) تقريب التهذيب (ص: ٨٥٤).

(١٨٤) المرجع السابق (ص: ١٠٨٨).

(١٨٥) المرجع السابق (ص: ١١٣).

(١٨٦) المرجع السابق (ص: ١٣٩).

(١٨٧) المرجع السابق (ص: ٣٥٠).

(١٨٨) المعجم الأوسط (١/ ٣٠٥) حديث رقم (١٠٢٧).

(١٨٩) تاريخ الإسلام (٦/ ٦٧٣).

(١٩٠) السابق واللاحق (ص: ١١١- ١١٢).

(١٩١) تقريب التهذيب (ص: ٢٧١).

(١٩٢) السنن الكبرى (٩/ ١٩٢) حديث رقم (١٠٢٧٧)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٦) حديث رقم (٥٢٠).

(١٩٣) تقريب التهذيب (ص: ٨٣٤).

(١٩٤) المرجع السابق (ص: ٤٢٥).

(١٩٥) المرجع السابق (ص: ٤٥٩).

(١٩٦) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦٢) حديث رقم (٨٠١).

(١٩٧) تقريب التهذيب (ص: ٦٩٩).

(١٩٨) السنن الكبرى (٩/ ١٩٣) حديث رقم (١٠٢٧٨)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٦) حديث رقم (٥٢١).

(١٩٩) تقريب التهذيب (ص: ٩٠).

(٢٠٠) المرجع السابق (ص: ٦٤٥).

(٢٠١) المرجع السابق (ص: ١٣٤).

(٢٠٢) السنن (٢/ ٣٣٩) حديث رقم (٢٦٠٣).

(٢٠٣) الزهد (١/ ٣٥٢) حديث رقم (١١٠٢).

(٢٠٤) عزاه إليه البوصيري في اتحاف الخيرة (١١٥/٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٣١٣/١٠).

(٢٠٥) السنن الكبرى (٩/ ١٨٩) حديث رقم (١٠٢٦٨)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٢) حديث رقم (٥٠٧).

(٢٠٦) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٥٢) حديث رقم (٥٠٤).

(٢٠٧) شرح مشكل الآثار (١٥/ ١٩٦) حديث رقم (٥٩٤٢).

(٢٠٨) الدعاء (ص: ٤٣) حديث رقم (٦).

(٢٠٩) معجم الصحابة (٢/ ١١٤).

(٢١٠) المستدرك (٢/ ١٠٧) حديث رقم (٢٤٧٨).

(٢١١) السنن الكبرى (٧/ ٤٤٣) حديث رقم (١٤٥٨٧)، والآداب (ص: ٢١٧) حديث رقم (٥٣٣).

(٢١٢) تقريب التهذيب (ص: ٢٦٨).

(٢١٣) شرح علل الترمذي (٢/ ٧٠٧).

(٢١٤) تقريب التهذيب (ص: ٧٥٤).

(٢١٥) المرجع السابق (ص: ٨٩١).

(٢١٦) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢٣٧).

(٢١٧) قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٥٠): " أَي الَّذِي إذا استحفظ وَدِيعَة لَا تضيع، لِأَن التوديع تخل عَن الْمُسَافِر وَتَركه، وَإِذا تخلى العَبْد عَن شَيْء وَتَركه لله حفظه ".

(٢١٨) المسند (١٥/ ١٢٦) حديث رقم (٩٢٣٠).

(٢١٩) تقريب التهذيب (ص: ٦٥٦).

(٢٢٠) المرجع السابق (ص: ٨١٧).

(٢٢١) المرجع السابق (ص: ٢٣٥).

(٢٢٢) المرجع السابق (ص: ٩٨٦).

(٢٢٣) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦٣) حديث رقم (٨٠٧).

(٢٢٤) الدعاء (ص: ٤٤) حديث رقم (٧).

(٢٢٥) الترغيب في الدعاء (ص: ٢٥٥) حديث رقم (١٣١).

(٢٢٦) الدعاء (١١٨١/٢) حديث رقم (٨٢٠).

(٢٢٧) تقريب التهذيب (ص: ٥١٥).

(٢٢٨) الدعاء (١١٨١/٢) حديث رقم (٨٢٠).

(٢٢٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٦/ ٧٠).

(٢٣٠) تقريب التهذيب (ص: ١٠٥٩).

(٢٣١) السنن الكبرى (٩/ ١٨٩) حديث رقم (١٠٢٦٩)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥٢) حديث رقم (٥٠٨).

(٢٣٢) شرح مشكل الآثار (١٥/ ١٩٥) حديث رقم (٥٩٤١).

(٢٣٣) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٥٣) حديث رقم (٥٠٥).

(٢٣٤) تقريب التهذيب (ص: ٥٥٦).

(٢٣٥) المرجع السابق (ص: ٣٧٤).

(٢٣٦) الدعاء (١١٨٢/٢- ١١٨٣) حديث رقم (٨٢٣).

(٢٣٧) الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ٧٦).

(٢٣٨) تقريب التهذيب (ص: ٣٢٦).

(٢٣٩) السنن (٢/ ٩٤٣) حديث رقم (٢٨٢٥).

(٢٤٠) تقريب التهذيب (ص: ١٠٢٢).

(٢٤١) المرجع السابق (ص: ٥٣٨).

(٢٤٢) ينظر: الطبقات الكبرى (٥١٦/٧)، من كلام أبي زكريا في الرجال (ص٩٧، ١٠٨)، سؤالات البرذعي (ص٣٤٦)، الجرح والتعديل (١٤٥/٥)، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص٦٤)، المجروحين (١١/٢-١٣)، الكامل (١٤٤/٤)، الكاشف (٥٩٠/١)، تهذيب التهذيب (٣٢٧/٥-٣٣١).

(٢٤٣) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٥٥) حديث رقم (٥٠٧).

(٢٤٤) تقريب التهذيب (ص: ١٦٩).

(٢٤٥) المسند (١٤/ ٣١٩) حديث رقم (٨٦٩٤).

(٢٤٦) الأمالي (ص: ٩٤، ١٤٠) حديث رقم (١٥، ٩٣).

(٢٤٧) تقريب التهذيب (ص: ١٣١).

(٢٤٨) الشَّرَفُ: كُلُّ نَشْزٍ مِنَ الأَرض قَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَا حَوْلَهُ، قادَ أَو لَمْ يَقُد، سَوَاءٌ كَانَ رَمْلًا أَو جَبَلًا.لسان العرب (١٧٠/٩)

(٢٤٩) أَيِ اجْمَعها واطْوِها. المرجع السابق (٢/ ٣٢٠).

(٢٥٠) الهون: الرِّفْق وَاللِّينُ. لسان العرب (٥/ ٢٨٤)، قال ابن علان في دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/ ٤٦٧): "أي سهل عليه بدفع مؤذيات السفر وحزونه عنه ".

(٢٥١) السنن (٥/ ٣٧٧) حديث رقم (٣٤٤٥).

(٢٥٢) المسند (٦٢/١٤، ١١٧) حديث رقم (٨٣١٠، ٨٣٨٥)، و(٤٥١/١٥) حديث رقم (٩٧٢٤)، و(١٦/ ١٤١) حديث رقم (١٠١٦٥).

(٢٥٣) المستدرك (١/ ٦١٤) حديث رقم (١٦٣٣).

(٢٥٤) المصنف (٦/ ٧٨، ٥٣٤) حديث رقم (٢٩٦٠٨، ٣٣٦٢٣).

(٢٥٥) السنن (٢/ ٩٢٦) حديث رقم (٢٧٧١).

(٢٥٦) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٦٧) حديث رقم (٥٢٠).

(٢٥٧) البحر الزخار (١٥/ ١٧١) حديث رقم (٨٥٢٨).

(٢٥٨) السنن الكبرى (٩/ ١٨٨) حديث رقم (١٠٢٦٦)، وعمل اليوم والليلة (ص: ٣٥١) حديث رقم (٥٠٥).

(٢٥٩) الصحيح (٤/ ١٤٩) حديث رقم (٢٥٦١).

(٢٦٠) الدعاء (ص: ٥٠) حديث رقم (١١).

(٢٦١) الصحيح (٦/ ٤١٠، ٤٢٠) حديث رقم (٢٦٩٢، ٢٧٠٢).

(٢٦٢) فوائد أبي علي الرَّفَّاء، طبع ضمن مجموع فيه ثلاثة أجزاء حديثية (ص: ٧١) حديث رقم (١٢٩)

(٢٦٣) الدعاء (١١٨٢/٢) حديث رقم (٨٢٢).

(٢٦٤) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٤٩) حديث رقم (٥٠١).

(٢٦٥) المستدرك (٢/ ١٠٨) حديث رقم (٢٤٨١).

(٢٦٦) الزهد الكبير (ص: ٣٢٩) حديث رقم (٨٨٣).

(٢٦٧) الجزء الثاني من الفوائد المنتقاة العوالي (مخطوط) (ص: ١٥) حديث رقم (٦١).

(٢٦٨) أحاديث السفر (ص: ٣٥) حديث رقم (٩).

(٢٦٩) الأمالي- الجزء الثاني (ص: ٩٥) حديث رقم (١١٣٥).

(٢٧٠) السنن الكبرى (٤١٢/٥) حديث رقم (١٠٣١٣)، وشعب الإيمان (٢/ ٧٨) حديث رقم (٥٤٣)، والدعوات الكبير (٢/ ٤٣) حديث رقم (٤٥٧).

(٢٧١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ١٥٧، ٣٥٥).

(٢٧٢) شرح السنة (٥/ ١٤٢- ١٤٣) حديث رقم (١٣٤٦)، والأنوار في شمائل النبي المختار (ص: ٧٠٦) حديث رقم (١١٢٥).

(٢٧٣) (٣/ ١٣٥٧) حديث رقم (١٧٣١).

(٢٧٤) (٤/ ٥٧) حديث رقم (٢٩٩٣، ٢٩٩٤).

(٢٧٥) تقريب التهذيب (ص: ١٢٤).

(٢٧٦) المرجع السابق (ص: ٣٧٩).

(٢٧٧) ميزان الاعتدال (٢/ ١٤٠).

(٢٧٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٢٩)، و صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٩٨)، و(٢/ ٧٤٧).

(٢٧٩) (٦/ ٧٢٦).

(٢٨٠) كما في الفتوحات الربانية (١١٤/٥).

(٢٨١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٥٠).

(٢٨٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٥١)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٢٦).

(٢٨٣) قال ملا قاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٩١): " يَعْنِي: ادْعُ لِي فَإِنَّ دُعَاءَكَ خَيْرُ الزَّادِ ".

(٢٨٤) أي الاستغناء عن المخلوق، أو امتثال الأوامر واجتناب النواهي. المرجع السابق

(٢٨٥) أي: سَهَّلَ لَكَ خَيْرَ الدَّارَيْنِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ حَلَلْتَ، وَمِنْ لَازِمِهِ فِي أَيِّ زَمَانٍ نَزَلْتَ. المرجع السابق

(٢٨٦) قال ملا قاري: " قال الطيبي يُحْتَمَلُ أَنَّ الرَّجُلَ طَلَبَ الزَّادَ الْمُتَعَارَفَ فَأَجَابَهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – بِمَا أَجَابَهُ عَلَى طَرِيقَةِ أُسْلُوبِ الْحَكِيمِ أَيْ: زَادُكَ أَنْ تَتَّقِيَ مَحَارِمَهُ وَتَجْتَنِبَ مَعَاصِيَهُ، وَمِنْ ثَمَّ لَمَّا طَلَبَ الزِّيَادَةَ قَالَ: وَغَفَرَ ذَنْبَكَ فَإِنَّ الزِّيَادَةَ مِنْ جِنْسِ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا زَعَمَ الرَّجُلُ أَنْ يَتَّقِي اللَّهَ وَفِي الْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ تَقْوَى تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْمَغْفِرَةُ فَأَشَارَ بِقَوْلِهِ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الِاتِّقَاءُ بِحَيْثُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْمَغْفِرَةُ، ثُمَّ تَرَقَّى مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ: وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ، فَإِنَّ التَّعْرِيفَ فِي الْخَيْرِ لِلْجِنْسِ فَيَتَنَاوَلُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " المرجع السابق

(٢٨٧) السنن (٥/ ٣٧٧) حديث رقم (٣٤٤٤).

(٢٨٨) الزهد (١/ ٨٣) حديث رقم (١٣٣).

(٢٨٩) البحر الزخار (١٣/ ٣٢٥) حديث رقم (٦٩٣٣).

(٢٩٠) المسند (٢/ ٣٩٣) حديث رقم (١٣٨٧).

(٢٩١) الصحيح (٤/ ١٣٨) حديث رقم (٢٥٣٢).

(٢٩٢) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٥١) حديث رقم (٥٠٢).

(٢٩٣) الأحاديث المختارة (٤/ ٤٢١) حديث رقم (١٥٩٧).

(٢٩٤) المستدرك (٢/ ١٠٧) حديث رقم (٢٤٧٧).

(٢٩٥) الدعوات الكبير (٢/ ٤٢) حديث رقم (٤٥٦).

(٢٩٦) المرجع السابق.

(٢٩٧) تقريب التهذيب (ص: ٤٢٧).

(٢٩٨) المرجع السابق (ص: ١٩٩).

(٢٩٩) المرجع السابق (ص: ١٨٥).

(٣٠٠) الأحاديث المختارة (٤/ ٤٢١) حديث رقم (١٥٩٨).

(٣٠١) تاريخ بغداد (١٦/ ٥٠٥).

(٣٠٢) تاريخ دمشق (٦١/ ٣١٤).

(٣٠٣) تقريب التهذيب (ص: ٦٢٦).

(٣٠٤) بيان الوهم والإيهام (٣/ ٦١٦).

(٣٠٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٦٩).

(٣٠٦) فِي حِفظ الله وَكَنَفه: أَي فِي حِرزه وظلِّه، يَكْنُفُه بالكَلاءَة وحُسْنِ الْوِلَايَة. تهذيب اللغة (١٠/ ١٥٢)

(٣٠٧) السنن (٣/ ١٧٤٧) حديث رقم (٢٧١٣).

(٣٠٨) عيون الأخبار (٣/ ٣٨).

(٣٠٩) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦٣) حديث رقم (٨٠٨).

(٣١٠) الأحاديث المختارة (٧/ ٢٣٣) حديث رقم (٢٦٧٤).

(٣١١) الدعاء (ص: ٤٦) حديث رقم (٩).

(٣١٢) الدعاء (١١٨٩/٢- ١١٨٠) حديث رقم (٨١٧).

(٣١٣) عمل اليوم والليلة (ص: ٤٥٢) حديث رقم (٥٠٣).

(٣١٤) الأحاديث المختارة (٧/ ٢٣٢) حديث رقم (٢٦٧٣).

(٣١٥) (٣٧٤/١٠).

(٣١٦) (٦/ ٧٠٣، ٧٢٦).

(٣١٧) تقريب التهذيب (ص: ٩٣٧).

(٣١٨) الجرح والتعديل (٤/ ٥٧).

(٣١٩) (٦/ ٣٧١).

(٣٢٠) تقريب التهذيب (ص: ٩٨٦).

(٣٢١) التاريخ الكبير (٧/ ١٨٥).

(٣٢٢) التاريخ الكبير (١/ ٥١١).

(٣٢٣) كشف الأستار (٤/ ٦٢) حديث رقم (٣٢٠١).

(٣٢٤) معجم الصحابة (٥/ ٥٤).

(٣٢٥) الدعاء (ص: ٤٩) حديث رقم (١٠).

(٣٢٦) المعجم (٢/ ١٠٢٤) حديث رقم (١٣١٦).

(٣٢٧) معجم الصحابة (٢/ ٣٦٠).

(٣٢٨) المعجم الكبير (١٩/ ١٥) حديث رقم (٢٢)، والدعاء (١١٨٠/٢) حديث رقم (٨١٨).

(٣٢٩) معرفة الصحابة (٤/ ٢٣٤٢) حديث رقم (٥٧٥٥).

(٣٣٠) شرح السنة (٥/ ١٤٢) حديث رقم (١٣٤٥)، والأنوار في شمائل النبي المختار (ص: ٧٠٥) حديث رقم (١١٢٤).

(٣٣١) الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٧) حديث رقم (٧١٠).

(٣٣٢) معرفة الصحابة (٥/ ٢٧٤٤) حديث رقم (٦٥٤٢).

(٣٣٣) أسد الغابة (٥/ ٣٧٩) حديث رقم (١٦٧٣).

(٣٣٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٥٦).

(٣٣٥) تقريب التهذيب (ص: ٤٥٣).

(٣٣٦) (٧/ ١١٦).

(٣٣٧) (٧/ ٣١٧).

(٣٣٨) معرفة الصحابة (٥/ ٢٧٤٤).

(٣٣٩) أسد الغابة (٥/ ٣٧٩).

(٣٤٠) الجرح والتعديل (٩/ ٦٨).

(٣٤١) الثقات (٥/ ٥٠٣)،و(٧/ ٥٦٩).

(٣٤٢) مكارم الأخلاق (ص: ٢٦٣) حديث رقم (٨٠٦).

(٣٤٣) الدعاء (ص: ٤٥) حديث رقم (٨).

(٣٤٤) الترغيب في الدعاء (ص: ٢٥٦) حديث رقم (١٣٢).

(٣٤٥) الفوائد المنتقاة الحسان (الخلعيات) (١/ ٣٣٠) حديث رقم (٤١٤).

(٣٤٦) تقريب التهذيب (ص: ٧٣٨).

(٣٤٧) المرجع السابق (ص: ٤٣٨).

(٣٤٨) عزاه إليه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٣/ ١٤٣) و(٥/ ١٠١)، وابن حجر في المطالب العالية (٩/ ٣١٧).

(٣٤٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٥٨).

(٣٥٠) تقريب التهذيب (ص: ٨٧٥).

(٣٥١) المرجع السابق (ص: ٧٢٤).

(٣٥٢) المرجع السابق (ص: ٤١٤).

(٣٥٣) المرجع السابق (ص: ٤٣٩).

(٣٥٤) وقع تصحيف في كنز العمال وضعت (بن) بدلًا من (عن).

(٣٥٥) أي: حُسْنَ المَرْجِع بَعْدَ الْمَوْتِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٨٨)

(٣٥٦) (٦/ ٧٢٧).

(٣٥٧) تقريب التهذيب (ص: ١٠٠٩).

(٣٥٨) المرجع السابق (ص: ٤٥٩).

(٣٥٩) مقبرة المدينة. قال الأصمعيّ: قطعت غرقدات فى هذا الموضع، حين دفن فيه عثمان بن مظعون، فسمّى بقيع الغرقد لهذا. وقال الخليل: البقيع من الأرض: موضع فيه أروم شجر، وبه سمّى بقيع الغرقد، والغرقد: شجر كان ينبت هناك. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (١/ ٢٦٥)

(٣٦٠) السير والمغازي (ص: ٣١٨).

(٣٦١) المسند (٤/ ٢٢١) حديث رقم (٢٣٩١).

(٣٦٢) الأحاديث المختارة (١١/ ٢٦٩- ٢٧٠) حديث رقم (٢٩٩).

(٣٦٣) عزاه إليه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٥/ ٢١٧) حديث رقم (٤٥٦١)، وابن حجر في المطالب العالية (١٧/ ٣٣٧).

(٣٦٤) البحر الزخار (١١/ ٧٨) حديث رقم (٤٧٨٣).

(٣٦٥) تاريخ الرسل والملوك (٢/ ٥٣، ٤٩٠).

(٣٦٦) المعجم الكبير (١١/ ٢٢١) حديث رقم (١١٥٥٤، ١١٥٥٥)، والدعاء (١٣٠٤/٢) حديث رقم (١٠٧٩).

(٣٦٧) الأحاديث المختارة (١١/ ٢٧٠- ٢٧٢) حديث رقم (٣٠١- ٣٠٢).

(٣٦٨) المستدرك (٢/ ١٠٧) حديث رقم (٢٤٨٠).

(٣٦٩) دلائل النبوة (٣/ ١٩٩).

(٣٧٠) تاريخ دمشق (٥٥/ ٢٧٢).

(٣٧١) الأحاديث المختارة (١١/٢٧٠) حديث رقم (٣٠٠).

(٣٧٢) تقريب التهذيب (ص: ٨٢٥).

(٣٧٣) المرجع السابق (ص: ١٩٠).

(٣٧٤) المرجع السابق (ص: ٦٨٧).

(٣٧٥) فتح الباري (٧/ ٣٣٨).

(٣٧٦) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ١٤).

(٣٧٧) السنن (١/ ٥٥٥) حديث رقم (١٥٠٠).

(٣٧٨) الدعوات الكبير (٢/ ٣١٨) حديث رقم (٦٥٣).

(٣٧٩) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٣).

(٣٨٠) السنن الكبرى (٥/ ٤١٢) حديث رقم (١٠٣١٥).

(٣٨١) الأحاديث المختارة (١/ ٢٩٣- ٢٩٤) حديث رقم (١٨٣، ١٨٤).

(٣٨٢) تقريب التهذيب (ص: ٤٠٦).

(٣٨٣) المرجع السابق (ص: ٤٣٦).

(٣٨٤) المرجع السابق (ص: ٤٧٢).

(٣٨٥) المسند (١/ ٣٢٥) حديث رقم (١٩٥).

(٣٨٦) الأحاديث المختارة (١/ ٢٩٢) حديث رقم (١٨١).

(٣٨٧) البحر الزخار (١/ ٢٣١) حديث رقم (١١٩).

(٣٨٨) تقريب التهذيب (ص: ٨٣٣).

(٣٨٩) السنن الكبرى (٥/ ٤١٢) حديث رقم (١٠٣١٥).

(٣٩٠) الأحاديث المختارة (١/ ٢٩٣) حديث رقم (١٨٣).

(٣٩١) تقريب التهذيب (ص: ٧٤٥).

(٣٩٢) السنن الكبرى (٥/ ٤١٢) حديث رقم (١٠٣١٥).

(٣٩٣) تقريب التهذيب (ص: ٢٢٤).

(٣٩٤) الأحاديث المختارة (١/ ٢٩٣) حديث رقم (١٨٣).

(٣٩٥) تقريب التهذيب (ص: ٢٢٥).

(٣٩٦) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٣).

(٣٩٧) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ٣٩١).

(٣٩٨) عمل اليوم والليلة (ص: ٣٤٢) حديث رقم (٣٨٥).

(٣٩٩) تقريب التهذيب (ص: ١٠٢٢).

(٤٠٠) المسند (١/ ١٢) حديث رقم (١٠).

(٤٠١) شعب الإيمان (١١/ ٣٤٩) حديث رقم (٨٦٤١).

(٤٠٢) تقريب التهذيب (ص: ٤٠٦).

(٤٠٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد (ص: ٢٤١) حديث رقم (٧٤٠).

(٤٠٤) تقريب التهذيب (ص: ٣٩٧).

(٤٠٥) السنن (٥/ ٤٥١) حديث رقم (٣٥٦٢).

(٤٠٦) تقريب التهذيب (ص: ٣٩٥).

(٤٠٧) السنن (٢/ ٩٦٦) حديث رقم (٢٨٩٤).

(٤٠٨) تقريب التهذيب (ص: ٥٤٠).

(٤٠٩) المسند (٩/ ٤٠٥) حديث رقم (٥٥٥٠).

(٤١٠) تقريب التهذيب (ص: ٣٤١).

(٤١١) الأحاديث المختارة (١/ ٢٩٢) حديث رقم (١٨٢).

(٤١٢) تقريب التهذيب (ص: ٦٤٣).

(٤١٣) السنن الكبرى (٥/ ٤١٢) حديث رقم (١٠٣١٤).

(٤١٤) تقريب التهذيب (ص: ٩١١).

(٤١٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٣).

(٤١٦) تقريب التهذيب (ص: ٨٦١).

(٤١٧) المسند (٩/ ٣٧٦) حديث رقم (٥٥٠١).

(٤١٨) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٦).

(٤١٩) تقريب التهذيب (ص: ٧٩٦).

(٤٢٠) المسند (٩/ ١٨٦- ١٨٧) حديث رقم (٥٢٢٩).

(٤٢١) تقريب التهذيب (ص: ٣٩٥).

(٤٢٢) المرجع السابق (ص: ٦٠٧).

(٤٢٣) البحر الزخار (١/ ٢٣٢) حديث رقم (١٢٠).

(٤٢٤) تقريب التهذيب (ص: ٨٩٢).

(٤٢٥) المرجع السابق (ص: ٩٨٧).

(٤٢٦) الدعوات الكبير (٢/ ٣١٨) حديث رقم (٦٥٣).

(٤٢٧) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٦).

(٤٢٨) الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٧).

(٤٢٩) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٥).

(٤٣٠) تقريب التهذيب (ص: ١٢٤).

(٤٣١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٣).

(٤٣٢) تقريب التهذيب (ص: ٣٨٧).

(٤٣٣) المرجع السابق (ص: ٩٦٤).

(٤٣٤) المرجع السابق (ص: ١٠٤٢).

ثبت المصادر والمراجع

١- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد الكوفي، أبو بكر (ت٢٣٥هـ). المصنف في الأحاديث والآثار: تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط١. الرياض. مكتبة الرشد. (١٤٠٩هـ).

٢- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد. ابن عبد الكريم الشيباني. الجزري (ت٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. (د.ط). بيروت. المكتبة العلمية. (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣- ابن بشران، عبد الملك بن محمد بن عبد الله، أبو القاسم (ت٤٣٠هـ). الأمالي: الجزء الثاني. مخطوط.

٤- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، أبو الفرج (ت٥٩٧هـ). كتاب الحدائقفي علم الحديث والزهديات: تحقيق: مصطفى السبكي. ط١. لبنان. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٥- ابن حميد، عبد بن حميد بن نصر، أبو محمد (ت٢٠٩هـ). المنتخب من مسند عبد بن حميد: تحقيق: السيد صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي. ط١. القاهرة. مكتبة السنة. (١٤٠٨هـ).

٦- ابن سمعون، محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو الحسين الواعظ (ت٣٨٧هـ). الأمالي: دراسة وتحقيق: د. عامر حسن صبري. ط١. بيروت. لبنان. دار البشائر الإسلامية. (١٤٢٣هـ).

٧- ابن شاذان، الحسن بن أحمد، أبو علي (ت٤٢٦هـ). الفوائد المنتقاة العوالي الحسان والغرائب، الجزء الثاني: انتخاب: أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي. مخطوط.

٨- ابن عساكر، عبد الصمد بن عبد الوهاب، أمين الدين أبو اليمن الدمشقي (ت٦٨٦هـ). أحاديث السفر لأبي اليمن: تحقيق: رياض حسين الطائي. ط١. الرياض. دار المغني. (١٤٢٥هـ).

٩- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم (ت٥٧١ هـ):

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. (د. ط). بيروت. دار الفكر. (١٤١٥هـ).
- معجم الشيوخ: تحقيق: د. وفاء تقي الدين. ط١. دمشق. دار البشائر. (١٤٢١هـ).

١٠- ابن قانع، عبد الباقي بن قانع، أبو الحسين (ت٣٥١هـ). معجم الصحابة: تحقيق: صلاح ابن سالم المصراتي. ط١. المدينة النبوية. مكتبة الغرباء الأثرية. (١٤١٨هـ).

١١- ابن معين، يحيى بن معين بن عون (ت٢٣٣هـ):

- تاريخ ابن معين (رواية الدوري). تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف. ط١. مكة المكرمة.مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م)
- من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال: رواية أبي خالد الدقاق يزيد ابن الهيثم بن طهمان البادي. تحقيق د. أحمد محمد نور سيف. (د.ط). بيروت. دمشق. دار المأمون للتراث. (١٤٠٠هـ).

١٢- الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ). تهذيب اللغة: تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١. بيروت. دار إحياء التراث العربي. (٢٠٠١م).

١٣- الأشيب، القاسم بن موسى، أبو محمد (ت٣٠٢هـ). جزء القاسم: مخطوط.

١٤- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم (ت٤٣٠هـ):

- معرفة الصحابة: تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط١. الرياض. دار الوطن للنشر. (١٤١٩هـ).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. (د.ط). مصر. السعادة. (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

١٥- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل، قوام السنة، أبو القاسم (ت٣٨٥هـ). الترغيب والترهيب: تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان. ط١. القاهرة. دار الحديث. (١٤١٤هـ).

١٦- الألباني، محمد ناصر الدين (ت١٤٢٠هـ):

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: إشراف: زهير الشاويش. ط٢. بيروت. المكتب الإسلامي. (١٤٠٥هـ).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: ط١. الرياض. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. (١٤١٥هـ).
- صحيح الجامع الصغير وزياداته: ط٣. بيروت. المكتب الإسلامي. (١٤٠٨هـ).
- صحيح سنن الترمذي: ط١. الرياض. مكتب التربية العربي لدول الخليج. (١٤٠٩هـ).

١٧- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ):

- التاريخ الكبير: (د.ط) حيدر آباد – الدكن. دائرة المعارف العثمانية. (د. ت).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١. دار طوق النجاة. (١٤٢٢ه).

١٨- البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر (ت٢٩٢هـ). البحر الزخار المعروف بمسند البزار: (الأجزاء من ١ – ٩) تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. ط١. بيروت. مؤسسة علوم القرآن. المدينة النبوية. مكتبة العلوم والحكم. (١٤٠٩هـ).

١٩- البستي، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم (ت٣٥٤هـ):

- الثقات: ط١. حيدر آباد الدكن. الهند. دائرة المعارف العثمانية. (١٣٩٣هـ).
- صحيح ابن حبان: (الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي) تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط٢. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٤١٤ هـ).
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: تحقيق: محمود إبراهيم زايد. ط١. حلب. دار الوعي. (١٣٩٦هـ).

٢٠- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، أبو محمد (ت٥١٦هـ):

- الأنوار في شمائل النبي المختار: تحقيق: إبراهيم اليعقوبي. ط١. دمشق. دار المكتبي. (١٤١٦هـ).

- شرح السنة: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش. ط٢. بيروت. المكتب الإسلامي. (١٤٠٣هـ).

٢١- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، أبو عبيد (ت ٤٨٧هـ). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. ط٣. بيروت. عالم الكتب. (١٤٠٣هـ).

٢٢- البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، شهاب الدين أبو العباس (ت٨٤٠هـ). إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط١. الرياض. دار الوطن للنشر. (١٤٢٠هـ).

٢٣- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (ت٤٥٨هـ):

- الآداب: اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه. ط١. بيروت. لبنان. مؤسسة الكتب الثقافية. (١٤٠٨هـ).
- الدعوات الكبير: تحقيق: بدر بن عبد الله البدر. ط١. الكويت. غراس للنشر والتوزيع. (٢٠٠٩م).
- دلائل النبوة: تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي. ط١. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤٠٨هـ).
- الزهد الكبير: تحقيق: عامر أحمد حيدر. ط٣. بيروت. مؤسسة الكتب الثقافية. (١٩٩٦م).
- السنن الكبرى: مع الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني (ت٧٤٥هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط٣. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤٢٤هـ).
- شعب الإيمان: تحقيق: عبد العلي عبدالحميد حامد. ط١. الرياض. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. (١٤٢٣هـ).

٢٤- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ). الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل: تحقيق: بشار عواد معروف. ط١. بيروت. دار الغرب الإسلامي. (١٩٩٦ م).

٢٥- الجرجاني، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد (ت٣٦٥هـ). الكامل في ضعفاء الرجال: تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. ط١. بيروت. لبنان. دار الكتب العلمية. (١٤١٨هـ).

٢٦- الجزري، علي بن محمد عز الدين، ابن الأثير، أبو الحسن (ت٦٣٠هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة: تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. ط١. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤١٥هـ).

٢٧- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، أبو عبد الله (ت٤٠٥هـ). المستدرك على الصحيحين: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤١١هـ).

٢٨- الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن (ت٧٩٥هـ). شرح علل الترمذي. تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد. ط١. الأردن. الزرقاء. مكتبة المنار. (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٢٩- الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد السامري، أبو بكر (ت٣٢٧هـ). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها: تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري. ط١. القاهرة. دار الآفاق العربية. (١٤١٩هـ).

٣٠- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان (ت٣٨٨هـ).معالم السنن، ط١. حلب. المطبعة العلمية. (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م).

٣١- الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر (ت٤٦٣هـ):

- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها: تحقيق د. بشار عواد معروف. ط١. بيروت. دار الغرب الإسلامي. (١٤٢٢هـ).
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: تحقيق: د.محمود الطحان. (د.ط). الرياض. مكتبة المعارف. (١٤٠٣هـ).
- السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد: تحقيق: محمد بن مطر الزهراني. ط٢. الرياض. دار الصميعي. (١٤٢١هـ).

٣٢- الخِلَعي، علي بن الحسن بن الحسين بن محمد الشافعيّ، أبو الحسن (ت٤٩٢هـ). الفوائد المنتقاة الحسان الصحاح والغرائب (الخلعيات): رواية: أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي. تخريج: أحمد بن الحسن بن الحسين الشيرازي. مخطوط.

٣٣- الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن (ت٣٨٥هـ). العلل الواردة في الأحاديث النبوية: تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي. ط١. الرياض. دار طيبة. (١٤٠٥هـ).

٣٤- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، أبو محمد (ت٢٥٥هـ). السنن: تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط١. المملكة العربية السعودية. دار المغني للنشر والتوزيع. (١٤١٢هـ).

٣٥- الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري، الملقب بشيخ الشباب، أبو زرعة، (ت٢٨١هـ). الفوائد المعللة، الجزء الأول والثاني من حديثه: تحقيق: رجب بن عبدالمقصود. ط٣. الكويت. مكتبة الإمام الذهبي. (١٤٢٣هـ).

٣٦- الدينوري، أحمد بن محمد بن إسحاق، ابن السُّنِّي (ت٣٦٤هـ). عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد: تحقيق: كوثر البرني. (د.ط). جدة. دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت. مؤسسة علوم القرآن. (د.ت).

٣٧- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد (ت٢٧٦هـ). عيون الأخبار. (د.ط). بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤١٨ ه) ـ

٣٨- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين أبو عبد الله (ت٧٤٨هـ):

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير وَالأعلام. تحقيق: د. بشار عوّاد معروف. ط١. دار الغرب الإسلامي. (٢٠٠٣ م).
- سير أعلام النبلاء. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. مؤسسة الرسالة. (١٤٠٥ ه- ١٩٨٥ م).

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: تحقيق: محمد عوامه. وأحمد محمد نمر الخطيب. ط١. جده. دار القبلة. مؤسسة علوم القرآن. (١٤١٣هـ).
- معجم الشيوخ (المعجم الكبير): تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة. ط١. المملكة العربية السعودية. الطائف. مكتبة الصديق. (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: تحقيق: علي محمد البجاوي. ط١. لبنان. بيروت. دار المعرفة للطباعة والنشر. (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م).

٣٩- الرازي، أبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد (ت٢٦٤هـ). الضعفاء وأجوبة الرازي على سؤالات البرذعي: تحقيق: د. سعدي بن مهدي الهاشمي. ط٢. المنصورة. دار الوفاء. (١٤٠٩هـ).

٤٠- الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، ابن أبي حاتم، أبو محمد (ت٣٢٧هـ):

- الجرح والتعديل: ط١. بيروت. دار إحياء التراث العربي. (١٣٧١هـ).
- علل الحديث: تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي. ط١. الرياض. مطابع الحميضي. (١٤٢٧هـ).
- المراسيل: تحقيق: شكر الله بن نعمة الله قوجاني. ط١. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٣٩٧هـ).

٤١- الروياني، محمد بن هارون، أبو بكر (ت٣٠٧هـ). المسند: تحقيق: أيمن علي أبو يماني. ط١. القاهرة. مؤسسة قرطبة. (١٤١٦هـ).

٤٢- الرويفعي، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ). لسان العرب. ط٣. بيروت. دار صادر. (١٤١٤ ه).ـ

٤٣- الزهري، محمد بن سعد بن منيع البصري، أبو عبد الله (ت٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى: تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت. دار صادر. (١٣٨٠هـ).

٤٤- السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، أبو داود (ت٢٧٥هـ):

- السنن: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). صيدا. بيروت. المكتبة العصرية. (د.ت).
- سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل. تحقيق: محمد علي قاسم العمري. ط١. المدينة المنورة. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية. (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٤٥- السلمي، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، أبو عبد الرحمن (ت٤١٢هـ). آداب الصحبة: تحقيق: مجدي فتحي السيد. ط١. طنطا. مصر. دار الصحابة للتراث. (١٤١٠هـ).

٤٦- الشاشي، الهيثم بن كليب، أبو سعيد (ت٣٣٥هـ). المسند: تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. ط١. المدينة المنورة. مكتبة العلوم والحكم. (١٤١٠هـ).

٤٧- الشيباني، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ):

- الزهد: تحقيق: يحيى بن محمد سوس. ط٢. (د.م) دار ابن رجب. (٢٠٠٣ م).
- العلل ومعرفة الرجال رواية المروذي وغيره. تحقيق: د. وصى الله بن محمد عباس. ط١. بومباى. الهند. الدار السلفية. (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- المسند: تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط٢. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٤٢٠هـ).

٤٨- الصديقي، محمد بن علان بن إبراهيم البكري الشافعي (ت١٠٥٧هـ):

- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية: (د.ط). (د.م). المكتبة الإسلامية. (د.ت).
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. اعتنى بها: خليل مأمون شيحا. ط٤. بيروت – لبنان. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).

٤٩- الضياء المقدسي (ت٦٤٣هـ). الأحاديث المختارة: تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط٣. مكة المكرمة. مكتبة النهضة الحديثة. (٢٠٠٠ م).

٥٠- الطبراني، سليمان بن أحمد، أبو القاسم (ت٣٦٠ هـ):

- الدعاء: تحقيق:د. محمد سعيد البخاري. ط١. بيروت. دار البشائر الإسلامية. (١٤٠٧هـ).

- مسند الشاميين: تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط١. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٤٠٥هـ).
- المعجم الأوسط: تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. (د.ط). القاهرة. دار الحرمين. (١٤١٥هـ).
- المعجم الكبير: تحقيق: حمدي السلفي. ط٢. القاهرة. مكتبة ابن تيمية. (د.ت).

٥١- الطبري، محمد بن جرير الآملي، أبو جعفر (ت٣١٠هـ). تاريخ الرسل والملوك: ط١. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤٠٧هـ).

٥٢- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر (ت٣٢١هـ). شرح مشكل الآثار: تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط١. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٤١٥هـ).

٥٣- الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، أبو داود (ت٢٠٤هـ). المسند: تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي. ط١. مصر. دار هجر. (١٤١٩هـ).

٥٤- العسقلاني، أحمد بن علي، ابن حجر (ت٨٥١هـ):
- الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. ط١. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤١٥هـ).
- تقريب التهذيب: تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني. ط١. الرياض. دار العاصمة. (١٤١٦هـ).
- تهذيب التهذيب: ط١. الهند. مطبعة دائرة المعارف النظامية. (١٣٢٦هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت. دار المعرفة. (١٣٧٩هـ).
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: تنسيق: د.سعد بن ناصر الشثري. وتحقيق جماعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١. الرياض. دار العاصمة. (١٤١٩هـ).

٥٥- الفاسي، علي بن محمد بن عبد الملك، ابن القطان، أبو الحسن (ت٦٢٨هـ). بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام: تحقيق: د. الحسين آيت سعيد. ط١. الرياض. دار طيبة. (١٤١٨هـ).

٥٦- القاري، علي بن محمد، أبو الحسن، نور الدين الملا الهروي (ت١٠١٤هـ). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ط١. بيروت. لبنان. دار الفكر. (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٥٧- القزويني، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي (ت٦٢٣هـ). التدوين في أخبار قزوين: تحقيق: عزيز الله العطاردي. ط١. بيروت. دار الكتب العلمية.(١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).

٥٨- القزويني، محمد بن يزيد الربعي، ابن ماجه، أبو عبد الله (ت٢٧٣هـ). السنن: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت. دار الفكر. (د.ت).

٥٩- المحاملي، الحسين بن إسماعيل بن محمد، أبو عبد الله البغدادي (ت٣٦٠هـ). الدعاء: حققه وخرج أحاديثه: عمرو عبد المنعم. ط١. القاهرة. مصر. مكتبة ابن تيمية. جدة. السعودية. مكتبة العلم. (١٤١٤هـ).

٦٠- المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين أبو الحجاج (ت٧٤٢هـ):

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: مع النكت الظراف على الأطراف لابن حجر (ت٨٥٢هـ). ط٢. بمباي. الهند. الدار القيمة. بيروت. المكتب الإسلامي. (١٤٠٣هـ).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: تحقيق: د. بشار عواد معروف. ط١. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٤٠٠هـ).

٦١- المطلبي، محمد بن إسحاق بن يسار المدني (ت١٥١هـ). السير والمغازي: تحقيق: سهيل زكار. ط١. بيروت. دار الفكر. (١٣٩٨هـ).

٦٢- المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي، تقي الدين أبو محمد (ت٦٠٠هـ). الترغيب في الدعاء: تحقيق: فواز أحمد زمرلي. (د.ط). بيروت. دار ابن حزم. (د.ت).

٦٣- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، زين الدين محمد (ت١٠٣١هـ). التيسير بشرح الجامع الصغير. ط٣. الرياض. مكتبة الإمام الشافعي. (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٦٤- الموصلي، أحمد بن علي، أبو يعلى (ت٣٠٧هـ). المسند: تحقيق: حسين سليم أسد. ط٢. جدة. دار المأمون للتراث. (١٤١٠هـ).

٦٥- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن (ت٣٠٣هـ):

- السنن الكبرى: تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن. ط١. بيروت. دار الكتب العلمية. (١٤١١هـ).
- الضعفاء والمتروكين: تحقيق: محمود إبراهيم زايد. ط١. حلب. دار الوعي. (١٣٩٦هـ).
- عمل اليوم والليلة: تحقيق: د. فاروق حمادة. ط٢. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٤٠٦هـ).

٦٦- النمري، يوسف بن عبد الله، ابن عبد البر، أبو عمر (ت٤٦٣هـ). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري. (د.ط) المغرب. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية. (١٣٨٧هـ).

٦٧- النيسابوري، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر (ت٣١١هـ). صحيح ابن خزيمة: تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي. (د.ط) بيروت. المكتب الإسلامي. (١٣٩٠هـ).

٦٨- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، أبو الحسن (ت٢٦١هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت. دار إحياء التراث العربي. (د.ت).

٦٩- الهروي، حامد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن معاذ (ت٣٥٦هـ). فوائد أبي علي الرَّفَّاء: طبع ضمن مجموع فيه ثلاثة أجزاء حديثية. تحقيق: نبيل سعد الدين جرار. ط١. بيروت. دار البشائر الإسلامية. (١٤٣١هـ).

٧٠- الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري (ت٩٧٥هـ). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا. ط٥. مؤسسة الرسالة. (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٧١- الهيثمي، علي بن أبي بكر، نور الدين (ت٨٠٧هـ). كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط١. بيروت. مؤسسة الرسالة. (١٣٩٩هـ).

٧٢- اليونيني، علي بن محمد بن أبي الحسين البعلي، شرف الدين أبو الحسين (ت٧٠١هـ). مشيخة شرف الدين اليونيني: تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط١. بيروت. صيدا. المكتبة العصرية. (١٤٢٣هـ).

ثانياً : الفقه وأصوله

التَّسويق الشَّبكي

(حقيقته وحكمه)

إعداد

د. محمَّد بن عبدالله بن عابد الصواط

الأستاذ المشارك بقسم الشَّريعة، كليّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميّة

جامعة أمّ القرى ـ مكّة المكرّمة

التَّسويق الشَّبكي (حقيقته وحكمه)

د. محمَّد بن عبدالله بن عابد الصواط

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. أمَّا بعد:

فقد كثُرت النَّوازل الفقهيَّة في هذا العصر، وتشعّبت وتداخلت وتعقّدت؛ وذلك لكثرة الحوادث، وتوافر وسائل التَّواصل الحديثة الَّتي قاربت بين أطراف العالم، ممَّا يحتّم على الفقهاء وحملة الشَّريعة النَّظر في تلك الحوادث والنَّوازل وبيان حكمها.

وإنَّ من النَّوازل الَّتي كثُر السُّؤال عنها، من العامَّة والخاصَّة، ولا يوجد لها ذكر في كتب الفقه القديمة؛ مسألة ((التَّسويق الشَّبكيّ)). فأصبحت الحاجة ماسَّة لتجلية حقيقتها وبيان حكمها وآثارها.

وقد كُتبت في هذه المسألة كتابات كثيرة أغلبها فتاوى، ومقالات منشورة على الشَّبكة العنكبوتيّة، بالإضافة إلى بعض البحوث العلميَّة الَّتي اهتمَّت بجوانب معيّنة من هذه النَّازلة.

ولا زالت المسألة بحاجة إلى مزيد عناية وبحث وتحقيق وتدقيق.

وعليه فيمكن إجمال الأسباب الدَّاعية إلى بحث هذا الموضوع فيما يلي:

١ـ إنَّ هذا الموضوع من النَّوازل المعاصرة المهمة، حيث إنَّ شبكاته وعلاقاته تتمدّد عبر شبكة الإنترنت، مخترقة حدود الدُّول والمجتمعات، لتصبح ظاهرة عالميّة تجذب

إليها الزبائن والمسوّقين من شتّى أنحاء العالم.في قد جاء في إحدى الدراسات أن العاملين في هذا التسويق ٥٣ مليون شخص في العالم، وفي كل أسبوع ينضم ٣٠٠ ألف شخص جديد، ويحقق هذا النوع من التسويق مبيعات تصل إلى ٣٠ مليار دولار سنويا!!. [١]

٢ ـ شيوع هذه الشَّركات في المجتمع وكثرة السُّؤال عنها، ممَّا يستدعي بيان حكمها.

٣- كثرة صور هذا النوع من التسويق، وتبدل شركاته وتغيرها بين آونة وأخرى، فكلما أغلقت شركة فتحت شركات بأسماء جديدة ومضامين متقاربة، مما يستدعي أهمية بيان الفكرة التي قامت عليها هذه الشركات، بعيدا عن الأسماء والأشكال المستحدثة.

٤ـ إنَّ أغلب المتعاملين مع شركات التَّسويق الشَّبكيّ من الفقراء وذوي الدّخل المحدود، حيث تستغلّ هذه الشَّركات حاجة أولئك للمال، وجهلهم بأصول التَّسويق وخفاياه، لتوظّفهم في شبكاتها التَّسويقيَّة.

٥ـ تشابك علاقات التَّسويق الشَّبكيّ وتعقّدها، فهناك علاقة بيع بين الشَّركة والمشتري، وعلاقة تسويق مقترن بالبيع بين الشَّركة والمشتري، وعلاقة تسويق بين المشتري ومن ينضمّ إلى شبكته من المسوّقين، وهذا يستدعي أهميَّة دراسة هذه النازلة بالتفصيل.

٦ـ كثرة من كتب في هذا الموضوع من غير المتخصّصين ـ وخصوصًا على شبكة الإنترنت ـ، أمَّا الدِّراسات المتخصّصة المعمّقة فقليلة، وكلّ دراسة تهتمّ بجانب معيّن من الموضوع، ولا يوجد دراسة شاملة وافية أحاطت بهذا الموضوع من جميع جوانبه.

وقد حاولت في هذا البحث القيام ببيان حقيقة التَّسويق الشَّبكيّ، وذكر أمثلة معاصرة للشَّركات الَّتي تعمل بهذا النِّظام، وتحرير محلّ النِّزاع في المسألة، وبيان أسباب الخلاف فيها، وأقوال العلماء المعاصرين في المسألة، ثمَّ استقصاء الأدلّة وتحريرها ومناقشتها وصولاً إلى القول الرَّاجح وأسباب التَّرجيح، والبدائل الشَّرعيَّة لهذا التَّسويق.

خطّة البحث:

قسَّمت البحث إلى مقدّمة ومبحثين، وخاتمة.

المقدِّمة: في بيان أهميَّة الموضوع، وأسباب اختياره، وخطّته، ومنهجه.

المبحث الأول: حقيقة التَّسويق الشَّبكيّ. وفيه ستّة مطالب:

المطلب الأَوَّل: تعريف التَّسويق الشَّبكيّ.

المطلب الثَّاني: أركان التَّسويق الشَّبكيّ.

المطلب الثَّالث: أسماء التَّسويق الشَّبكيّ.

المطلب الرَّابع: أقسام التَّسويق الشَّبكيّ.

المطلب الخامس: تاريخ التَّسويق الشَّبكيّ، وأبرز شركاته.

المطلب السَّادس: خصائص التَّسويق الشَّبكيّ.

المبحث الثاني: حكم التَّسويق الشَّبكيّ. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأَوَّل: الأقوال في المسألة.

المطلب الثَّاني: الأدلّة والمناقشات.

المطلب الثَّالث: القول الرَّاجح وأسباب التَّرجيح.

ثمَّ الخاتمة، وفيها خلاصة بأهمّ نتائج البحث، وبعض التَّوصيات والمقترحات.

هذا، وقد سرت في هذا البحث على المنهج المتعارف عليه في كتابة البحوث العلميَّة، من عزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث والآثار من مدوناتها، مع نقل حكم نقّاد الحديث عليها، وعزو الأقوال إلى أصحابها، وتوثيق المعلومات من مصادرها.

واللّه أسأل التَّوفيق والسَّداد، والهدى والرَّشاد، وصلَّى الله على نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الباحث

المبحث الأول
حقيقة التَّسويق الشَّبكيّ

المطلب الأوَّل: تعريف التَّسويق الشَّبكيّ:

أوَّلاً: التَّعريف الإفرادي:

وفيه سيتمّ تعريف كلّ من التَّسويق، والشَّبكي على حدة.

تعريف التَّسويق:

التَّسويق، لغة:

تفعيل من السّوق، والسُّوق موضع البياعات.

قال في المقاييس: ((السِّين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقًا، والسَّيِّقَة: ما استيق من الدَّواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته، والسُّوق مشتقّة من هذا؛ لما يساق إليها من كلّ شيء، والجمع أسواق)) [٢].

والتَّسويق اصطلاحًا:

تعدّدت تعريفات التَّسويق عند أهل الاختصاص واختلفت اختلافًا كبيرًا، ولعلّ مردّ ذلك إلى اختلاف نظرتهم لهذا النَّشاط الإنساني الاقتصادي والاجتماعي.

ومن أجود التَّعريفات، تعريف الجمعيَّة الأمريكيّة للتَّسويق عام ١٩٨٥م، حيث قالت: ((هو تخطيط وتنفيذ عمليَّات تطوير وتسعير وترويج وتوزيع للسِّلع والخدمات، بغية خلق عمليَّات التَّبادل الَّتي تحقّق أهداف الأفراد والمنشآت))[٣].

وهذا التَّعريف يشمل جميع أنشطة العمليَّة التَّسويقيَّة، والَّتي اصطلح على تسميتها بـ ((المزيج التَّسويقي))، وهي: المنتج، والتَّرويج، والتَّسعير، والتَّوزيع [٤].

كما أنَّ في هذا التَّعريف عمومًا بحيث يشمل الأفراد والمؤسّسات، سواء أكانت ربحيّة أم غير ربحيَّة [٥].

تعريف الشَّبكيّ:

لغة:

الشِّين والباء والكاف أصل يدلّ على تداخل الشيء واختلاطه، ومنه: تشبيك الأصابع، وتشابكت الأمور: إذا اختلطت والتبست، وشبكت النجوم واشتبكت وتشابكت: دخل بعضها في بعض واختلطت [٦].

واصطلاحًا:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغويّ لهذا المصطلح.

ولكن بما أنَّ البحث يتعلّق بالتَّسويق، فمن المناسب التَّعريف بشبكات التَّسويق.

وشبكات التَّسويق هي:

((فكرة تسويقيّة نشأت لدعم تسويق منتجات شركة معيّنة عن طريق تحديد حاجات ورغبات المستهلكين المستهدفين، ثمَّ تصميم المزيج التَّسويقي الَّذي يتَّفق مع هذه الحاجات والرّغبات الَّتي تمّ تقديرها استنادًا إلى دراسات وبحوث)) [٧].

ثانيًا: التَّعريف اللقبيّ:

عرّف التَّسويق الشَّبكيّ باعتباره لقبًا على نوع معيَّن من أنواع التَّسويق بتعريفات عديدة، من أهمّها ما يلي:

١ ـ ((أسلوب تسويقي يعتمد على شبكة من العملاء، ويقوم النِّظام على أساس تجنيد شبكات من الأعضاء الجدد للتَّرويج لمنتجات شركة ما مقابل عمولات ماليَّة، ويعتمد النِّظام على شبكات في شكل شجرة ذات أفرع عديدة يتفرّع بعضها عن بعض، أو في شكل هرم ذي مستويات، ويحصل العضو الأَوَّل في تلك الشَّجرة أو ذلك الهرم على عمولات عن كلّ عضو جديد يدخل فيها)) [٨].

٢ـ ((نظام تسويقي مباشر يروّج لمنتجاته عن طريق المشترين، بإعطائهم عمولات ماليَّة مقابل كلّ من يشتري من طريقهم وفق شروط معيَّنة)) [٩].

٣ـ ((برنامج تسويقي يحصل فيه المسوِّق على عمولات أو حوافز ماليَّة نتيجة لبيعه المنتج أو الخدمة، إضافة لحصوله على عمولات عن كلّ شخص يتمّ اعتماده مساعدًا أو تابعًا للمسوّق، وفق أنظمة وبرامج عمولات خاصٍّ)) [١٠].

وهناك تعريفات أخرى لا تخرج في مضمونها عن التَّعريفات السَّابقة [١١].

نقد التَّعريفات السَّابقة:

إِنَّ التَّعريفات السَّابقة، مع تعريفات أخرى للتَّسويق الشَّبكيّ، هي محاولة جادّة من قِبل بعض الباحثين للوصول إلى حقيقة هذه النَّازلة، وتحديدها بما يميّزها عن غيرها.

ويلاحظ على ما سبق من تعريفات ما يلي:

١ـ أمَّا التَّعريف الأَوَّل، فيمتاز بالتَّفصيل، وبيان أركان التَّسويق الشَّبكيّ، والتَّفريق بين النِّظام الشَّبكيّ والهرمي، إِلاَّ أَنَّه غير جامع، حيث اقتصر على تسويق المنتجات، وأغفل تسويق الخدمات، كما أنَّ في التَّعريف طولاً لا يتناسب مع ما يُطلب في التَّعريفات من إيجاز واختصار.

٢ ـ وأمَّا التَّعريف الثَّاني، فيمتاز بالإيجاز والاختصار، والإشارة إلى أنَّ التَّسويق الشَّبكيّ نوع من أنواع التَّسويق المباشر، إلاَّ أن فيه دَوْرا؛ حيث ذكر كلمة التسويق في التعريف، ومعرفتها تتوقف على معرفة المعرَّف.

٣ ـ وأمَّا التَّعريف الثَّالث، فيمتاز بأنّه أشار إلى تسويق الخدمات، وكذلك زيادة العمولات بزيادة عدد المسوّقين، إلاَّ أنَّه لم يُشر إلى نوع التَّسويق، هل هو مباشر أو غير مباشر؟ كما أنَّ هناك تكرارًا لألفاظ يغني بعضها عن بعض، فالعمولات هي الحوافز، فلو استغنى عن أحدها لكان أولى.

وبناء على ما سبق يمكن تعريف التَّسويق الشَّبكيّ بأنّه:

((نظام ترويجي مباشر للسِّلع والخدمات عن طريق المشترين، بمنحهم عمولات ماليَّة عن كلّ شخص يشتري من طريقهم، وفق شروط معيَّنة)).

المطلب الثَّاني: أركان التَّسويق الشَّبكيّ:

من خلال التَّعريفات السَّابقة يمكن استخلاص أركان التَّسويق الشَّبكيّ، وهي ستَّة:

١ ـ المسوِّق:

وهو المروّج للسِّلعة أو الخدمة، ولا يمكن الدّخول في شبكة المسوّقين إلاَّ عن طريق مسوِّق سابق[١٢].

٢ ـ المسوَّق عنه:

وهي الشَّركة المنتجة للسِّلعة، أو المقدّمة للخدمة، وهذه الشَّركات تعتمد على شبكة من المسوّقين لإيصال المنتج أو الخدمة للمستهلك.

٣ ـ المسوَّق له:

وهو العميل الَّذي يُراد إيصال السِّلعة أو الخدمة له، والغالب أنَّه لا يحصل عليها إلاَّ بأضعاف سعرها؛ وذلك لأنَّهُ يضاف إلى قيمة السِّلعة العمولات الَّتي يحصل عليها المسوّقون.

٤ ـ عمليَّة التَّسويق:

حيث تعتمد هذه المعاملة أسلوب التَّسويق المباشر بين المنتج والمستهلك عن طريق الدّعاية الشَّفهيَّة، ويتمّ إلغاء جميع الوسطاء الآخرين، كوكيل البيع، وتجّار التَّجزئة وغيرهم[١٣].

٥ ـ المنتَج:

وهذه المنتجات إمَّا أن تكون سلعًا، كالسَّاعات والهدايا التِّذكاريَّة، والبرامج الحاسوبيَّة، والبطاقات مسبقة الدَّفع.

وإمَّا أن تكون خدمات، كحجوزات الفنادق والرّحلات السِّياحيَّة ونحوها.

وهناك من الشَّركات من لا يسوّق لمنتج أو خدمة، بل يقوم على الاشتراك النَّقديّ المجرّد، وسيتمّ بيان ذلك في أقسام التَّسويق الشَّبكيّ بإذن الله.

وممَّا يلاحظ: أنَّ السِّلع أو الخدمات المسوّقة تسويقًا شبكيًّا يفوق سعرها سعر مثيلاتها في السُّوق أضعافًا مضاعفة بنسبة ١٠٠% ـ ٢٠٠%؛ وذلك لأنّ السِّلعة ليست مقصودة في حدِّ ذاتها، وإنَّما المقصود العمولات والفوائد النَّاتجة عن هذا النِّظام[١٤].

٦ ـ العمولات:

حيث تدفع العمولات مقابل استقطاب مسوّقين جدد، وتحتسب هذه العمولات بطريقة تراكميَّة هرميَّة، بحيث يحصل المسوِّق الأوَّل على عمولات إضافيَّة عن كلّ مسوّق أتى من طريق شبكته.

المطلب الثَّالث: أسماء التَّسويق الشَّبكيّ:

اشتهر هذا النَّوع من التَّسويق باسم التَّسويق الشَّبكيّ (Network Marketing) نسبة إلى شبكات العملاء الَّذين يقومون بالدّعاية والتَّسويق لشركة ما، وليست التَّسمية راجعة إلى شبكة الإنترنت، كما قد يتبادر إلى الأذهان [١٥].

وهناك أسماء أخرى لهذا النَّوع من التَّسويق، منها:

١ ـ التَّسويق الهرمي.

٢ ـ المخطّط الهرمي[١٦].

٣ ـ السمسرة الهرميّة [١٧].

٤ ـ الاستثمار الهرمي [١٨].

٥ ـ التَّنظيم الهرمي [١٩].

٦ ـ التَّسويق بعمولة هرميّة [٢٠].

٧ ـ التَّسويق بعمولة احتماليَّة (شبكيَّة أو هرميّة) [٢١].

٨ ـ التَّسويق الطَّبقيّ، أو التَّسويق متعدّد المستويات أو الطَّبقات [٢٢].

٩ ـ التَّسويق بنظام الشَّجرة الثُّنائيَّة [٢٣].

١٠ ـ تسويق المصفوفة [٢٤].

١١ ـ التَّسويق العنقودي [٢٥].

١٢ ـ التَّسويق مقابل عمولة [٢٦].

١٣ ـ البنتاجون [٢٧].

لكن أشهر اسمين هما: التَّسويق الشَّبكيّ، والتَّسويق الهرمي. وأكثر الباحثين جرى على المصطلح الأَوَّل [٢٨]، ومنهم من اختار الثَّاني [٢٩]، وبعضهم جمع بين المصطلحين [٣٠].

الفرق بين التَّسويق الهرمي والشَّبكيّ:

هناك اتّجاهان في الفرق بينهما:

الاتِّجاه الأَوَّل: يرى أنَّه لا فرق بينهما، وأنَّهُما اسمان لمسمًّى واحد، فجوهر النِّظامين واحد، والهرميَّة وصف ملازم لجميع خطط التَّسويق الشَّبكيّ، حيث تبدأ الشَّبكة بشخص واحد في رأس الهرم، ثمَّ تتفرّع رأسيًّا وأفقيًّا في شبكات متعدّدة [٣١].

الاتِّجاه الثَّاني: يرى أنَّ بينهما فرقًا، ويدعم هذا الاتِّجاه المؤيّدون للتَّسويق الشَّبكيّ، وذكروا من الفروق بينهما ما يلي [٣٢]:

١ ـ إنَّ التَّسويق الشَّبكيّ قائم على أساس تسويق المنتجات أو الخدمات الَّتي تنتجها أو تقدّمها الشَّركة، أمَّا التَّسويق الهرمي، فهو تسويق خال من المنتجات والخدمات، بل هو قائم على الاشتراك النَّقديّ فقط.

٢ ـ إنَّ التَّسويق الهرمي محظور دوليًّا، ومصنَّف ضمن معاملات الغشّ التِّجاريّ، أمَّا التَّسويق الشَّبكيّ فمقبول دوليًّا، وموثَّق لدى هيئة الأمم المتَّحدة.

٣ ـ إنَّ هناك فرقًا بينهما من حيث الشَّكل، حيث إنَّ التَّسويق الشَّبكيّ مصمّم على شكل بناء هندسي (اثنان تحت كلّ شخص)، أمَّا الهرمي فهو مخروطي الشكل كالهرم، فيوجد شخص بأعلى الهرم وتحته عدّة أشخاص.

٤ ـ يشترط في التَّسويق الشَّبكيّ تساوي الكفّتين يمينًا ويسارًا، ولا يشترط ذلك في التَّسويق الهرمي.

٥ ـ يشترط للاشتراك في التَّسويق الشَّبكيّ الشِّراء مرّة واحدة، أمَّا في التَّسويق الهرميّ فيشترط الاشتراك في كلّ مرحلة للتأهّل.

ولعل الرَّاجح في ذلك أن يقال:

أن النِّظام الهرمي له صورتان [٣٣]:

الصّورة الأولى: تسويق هرمي بدون منتج، وفيه يتمّ بناء الهرم على الاشتراك النَّقديّ، وهذه الصّورة محظورة دوليًّا، ومصنَّفة ضمن معاملات الغشّ التِّجاريّ، ويقلّ وجودها اليوم.

الصّورة الثَّانية: تسويق هرمي قائم على وجود منتج، وهذا مرادف للتَّسويق الشَّبكيّ.

وهذا التَّفريق شكليّ لا أثر له في الحكم؛ لأنَّ جوهر النِّظامين واحد؛ كما أنَّ وجود السِّلعة غير مقصود لذاته، بل هو ستار وهميّ تتخفّى وراءه كثير من هذه الشَّركات خوفًا من الملاحقة القانونيَّة.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ الباحث يرى أنَّ التَّسمية بالتَّسويق الشَّبكيّ أولى؛ لأمرين:

الأمر الأَوَّل: إنَّ هذا المصطلح هو المشهور عند علماء الاقتصاد والتَّسويق.

الأمر الثَّاني: إنَّ كثيرًا من الشَّركات الَّتي تعمل بهذا النِّظام قامت بتغيير هذا المسمَّى إلى أسماء أخرى، كتسميته بنظام الشَّجرة الثُّنائيَّة، أو الحوافز التِّجاريَّة، أو التَّسويق العنقودي، أو تسويق المصفوفة؛ وذلك هروبًا من الملاحقة القانونيَّة، وإيهامًا لعامَّة النَّاس بمشروعيَّة معاملاتهم، فكان في العودة إلى المصطلح الأصلي وربط جميع المصطلحات اللاحقة به كشفًا لتلبيس هذه الشَّركات، وإزالة للوهم الَّذي قد يعلق بأذهان بعض النَّاس [٣٤].

المطلب الرَّابع: أقسام التَّسويق الشَّبكيّ:

للتَّسويق الشَّبكيّ أقسام متعدّدة باعتبارات مختلفة:

أوَّلاً: أقسامه باعتبار وجود المنتج أو الخدمة من عدمها.

ينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين[٣٥]:

القسم الأَوَّل: تسويق شبكي قائم على وجود منتج يُشترط شراؤه للانضمام لشبكة المسوّقين، وهذا القسم هو محلّ البحث.

القسم الثَّاني: تسويق شبكي بدون وجود منتج، وهو قائم على الدّفع النَّقديّ المجرَّد؛ لأجل الحصول على عمولات كلّ عميل أتيت به أو أتى عن طريق أحد أفراد شبكتك، وهذا النَّوع يُسمَّى كذلك بالتَّسويق الهرمي. وهو يُعدّ من معاملات الغشّ التِّجاريّ، ويعاقب عليه القانون، ولذلك فالتَّعامل به قليل، وهو ليس مقصودنا في هذا البحث.

ثانيًا: أقسامه باعتبار عدد مستوياته.

ينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين [٣٦]:

القسم الأَوَّل: التَّسويق بنظام المستويات الثُّنائيَّة:

حيث يُشترط في هذا النِّظام تحقيق التَّوازن بين الجانبين لكلّ عميل، فيجب عليه إحضار مشترِكَيْن اثنين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار، ويجب على كلّ مشترك جديد ما وجب على الأَوَّل، ولا تُستحقّ العمولة إِلاَّ بالتَّوازن بين الكفّتين، فلو رجحت كفّة على أخرى لم يستحقّ شيئًا.

والشَّكل التَّالي يوضِّح طريقة المستويات الثُّنائيَّة.

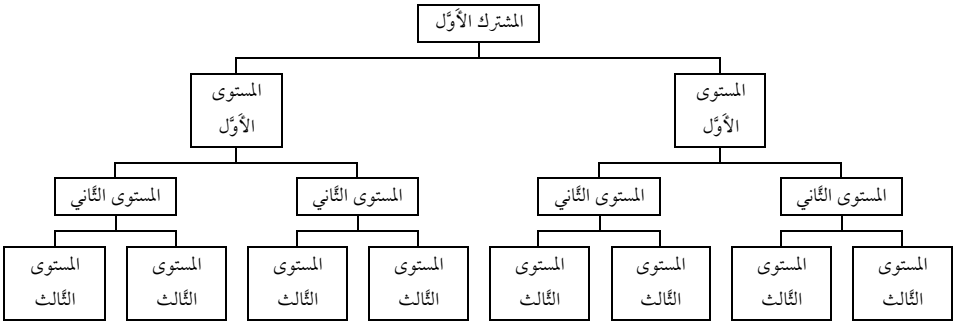

القسم الثَّاني: التَّسويق بنظام المستويات المتعدِّدة.

وفي هذا النِّظام يُشترط تكوين كفّتين متوازيتين في بدء الاشتراك، ثمَّ بعد ذلك لا يُشترط التَّساوي العدديّ في المستويات التَّالية.

والشَّكل التَّالي يوضِّح طريقة المستويات المتعدِّدة.

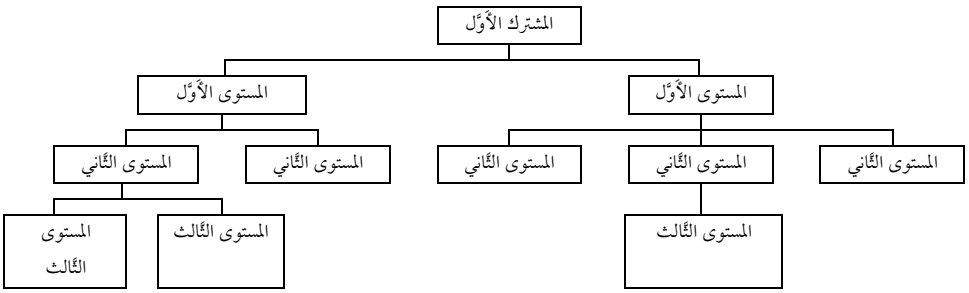

المطلب الخامس: تاريخ التَّسويق الشَّبكيّ، وأبرز شركاته:

تعود بدايات التَّسويق الهرمي والشَّبكيّ إلى العشرينيات من القرن الماضي، وكان أوَّل من استخدمه أحد التجّار الأمريكيين الَّذين عاشوا في الصِّين عام ١٩١٧م، وكانت السِّلعة المروّجة هي أدوية لتخفيض الوزن، وقد طلب هذا التَّاجر من زملائه أن يسوّقوا سلعته مقابل عمولة محدّدة ونظام خاص،ونتيجة لنجاح هذا الأسلوب التَّسويقي نقلت هذه الفكرة إلى الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، حيث تبنّته كثير من الشَّركات محقّقة من خلالها ملايين الدّولارات سنويًّا [٣٧].

وفي عام ١٩٢٠م قام مهاجر إيطالي في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة اسمه (تشارلز بونزي) بالمتاجرة في القسائم البريديَّة، حيث وعد من ينضمّ إلى شبكته التَّسويقيَّة بأرباح مقدارها ٥٠% وذلك خلال ٤٥ يومًا، وبنسبة ١٠٠% خلال ٩٠ يومًا، وقد بادر بونزي بدفع ٥٠% للمستثمرين الأوائل، ممَّا أضفى عليه قدرًا كبيرًا من المصداقيَّة؛ دفعت النَّاس إلى التَّهافت على شركته، وفي الوقت الَّذي كان النَّاس يتهافتون إلى المساهمة معه قام بإيقاف شراء الكوبونات البريديَّة، واتّجه لبناء مصالح خاصّة له، فانكشف رصيده المالي أمام البنوك الَّتي كان يتعامل معها، ممَّا حدا به إلى إيقاف صرف شيكات الأرباح الَّتي قام بالتَّوقيع عليها، فترتّبت عليه ديون مقدارها (٦) ملايين دولار أمريكي، ثمَّ قبض عليه ووجّهت له تهمة الاحتيال، وحكم عليه بالسّجن عشر سنوات [٣٨].

كانت تلك البدايات الأولى لنظام التَّسويق الشَّبكيّ، ثمَّ تعدّدت الصُّور بعد ذلك، وتنوّعت، وانتشرت أهرامات الوهم، وكلّما كانت الأنظمة والقوانين تتّجه لتضييق الخناق على هذه المعاملة، كانت تخرج في صور وأشكال جديدة لتتجاوز تلك القوانين.

وفي العصر الحاضر تكاثرت الشَّركات الَّتي تستخدم نظام التَّسويق الشَّبكيّ لتربو على (٣٠) ألف شركة حسب إحصائيَّة نشرت عام ٢٠٠٤م، إلاَّ أنَّ كثيرًا من هذه الشَّركات بدأت تنهال عليها الملاحقات القضائيَّة والقانونيَّة، وأغلق بعضها، ولا زال بعضها باقيًا، وكلّما أغلقت بعض الشَّركات خرجت إلى الوجود شركات أخرى بأسماء مختلفة وتسويق شبكيّ مختلف في الشَّكل متّفق في المضمون [٣٩].

وفيما يلي بيان بنماذج من الشَّركات القديمة والحديثة الَّتي تستخدم أسلوب التَّسويق الشَّبكيّ.

أوَّلاً: الشَّركات القديمة:

من أشهرها ما يلي:

أ ـ شركة جولد كويست (Goldquest) [٤٠].

وهي شركة عالميَّة محدودة، تأسّست عام ١٩٩٨م من رجال أعمال آسيويين بالاتّحاد مع مجموعات استثماريَّة من بريطانيا ودول اسكندنافيَّة، ومؤسِّس هذه الشَّركة هو (أوليس جوهانا ماكيتالو)، ومقرّها الرئيس في هونج كونج، ولها فروع في أكثر من مائة دولة، وأكثر من ٣٥٠,٠٠٠ عميل، ورأس مال الشَّركة عند التأسيس مليونا دولار، وبلغت مبيعاتها حتى منتصف عام ٢٠٠٢م نصف مليار دولار.

ومنتج هذه الشَّركة الرئيس هو العملات والسَّاعات والميداليَّات والمجوهرات الذهبيَّة التّذكاريّة الَّتي تباع عن طريق الإنترنت.

وتشترط الشَّركة للدّخول ضمن شبكة المسوّقين عدّة شروط، منها:

١ ـ أن يكون عمر المسوّق ثمانية عشر عامًا فأكثر.

٢ ـ شراء منتج واحد على الأقلّ من منتجات الشَّركة.

٣ ـ الإشتراك عن طريق معرِّف (عميل سابق لدى الشَّركة)، حيث يتمّ تقييده لصالح المشترك السَّابق، ويحصل بذلك على عمولة مقابل كلّ مشترك جديد.

ونظام التَّسويق في هذه الشَّركة هو نظام الخطّة الثّنائيّة (Binary)، بمعنى أنَّه يُشترط في كلّ مشترك أن يكون تحته طرفين (أيمن وأيسر)، ولا بُدَّ من تساوي الطَّرفين، فإذا تمّ بيع خمسة مبيعات عن يمين المشترك، وخمسة مبيعات عن يساره، فإنَّه يستحقّ العمولة، ومقدارها (٤٠٠ دولار) وإذا تكرّرت هذه العمليَّة ستّ مرّات، يحصل المشترك على عمولة مقدارها (٢٤٠٠ دولار)، وبهذا يكون المشترك قد أكمل

ما يُسمّى بالدّورة في مصطلح الشَّركة، وبإكمالها يستحقّ المشترك الدّخول في دورة جديدة.

ب ـ شركة بزناس (Biz Nas) [٤١].

وهذه الكلمة مكوّنة من مقطعين أحدهما إنجليزي والآخر عربي، ومعناها: فرصة عمل للنَّاس، وهي شركة أسّسها كلّ من عليّ الشّرجي من عُمان، وعمران خان من باكستان عام ٢٠٠١ م، وقد وصل عدد المشتركين بها إلى أكثر من ٣١٥,٠٠٠ مشترك من أكثر من مائة دولة.

والمنتج الرئيس لهذه الشَّركة عبارة عن حزمة من المبيعات التِّجاريَّة الخاصَّة بالحاسب الآلي، وتشمل خمسة مواقع على الإنترنت، وثمانية برامج تعليميَّة للحاسب الآلي، وبريد إلكتروني، وبطاقة بزناس الإلكترونيَّة، مسبقة الدَّفع، وجميعها بمبلغ (٩٩) دولارًا، ويشترط شراء الشَّخص للمنتَج ليدخل ضمن شبكة المسوّقين. ولهم ثلاث خطط للتَّسويق:

١ ـ الخطّة الثنائيَّة: ويشترط للدّخول فيها امتلاك مركز عمل، والتَّسويق لاثنين من الزبائن الجدد أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، وتسويق تسعة مبيعات، ويعتبر هذا في عرف الشَّركة (خطوة Step)، ويحصل المسوِّق مقابل كلّ خطوة على (٥٥) دولارًا.

٢ـ خطّة الحوافز: وتعني إعطاء حافز مقداره خمس دولارات للشَّخص عن كلّ مشترك جديد يدخل عن طريق العميل بعد أوَّل مشتركَيْن مباشرَيْن.

٣ ـ خطّة الدّخل من يونيلفل (Uni - Level):

وفي هذه الخطّة يسجّل كافّة الزبائن الَّذين اشتروا منتج الشَّركة تلقائيًّا، ويعتبرون في المستوى الأَوَّل، والأشخاص الَّذين اشتروا منهم يحلّون في المستوى الثَّاني، وهكذا إلى عشر مستويات كحدّ أقصى، ويعطى المشترك دولارًا واحدًا عن كلّ زبون إلى عشر مستويات.

جـ ـ شركة هبة الجزيرة [٤٢].

وكان مقرّ هذه الشَّركة في مدينة الرِّياض، وافتتحت عام ٢٠٠٣م، ومنتجها عبارة عن قرص حاسب آلي (CD) يحوي برامج علميَّة لعلوم شرعيَّة متنوّعة من فقه وتفسير وحديث وغيرها. بسعر (٥٠٠) ريال.

ويُشترط شراء المنتج للدّخول ضمن شبكة المسوّقين، فإذا اشترى العميل السِّلعة يمنح بعد مدّة (مرتبطة بقوّة السُّوق) حافزًا تجاريًّا مقداره (٧٠٠ ريال) عن كلّ سلعة قام بشرائها، ويمنح كذلك بعد مدّة (مرتبطة بقوّة السُّوق) هبة مقدارها (١٥٠٠٠ ريال)، وكذلك تصرف له الشَّركة عمولة فوريَّة قدرها (٧٥ ريالاً) عن كلّ سلعة تُسوّقت عن طريقه، كما يصرف له مبلغ (٢٥ ريالاً) عن كلّ سلعة إضافيَّة يقوم المتسوّق بشرائها بعد السِّلعة الأولى.

وأمَّا آليَّة توزيع الحوافز والهبات، فتقوم الشَّركة بتسجيل أسماء المسوّقين وبياناتهم آليًّا، ثمَّ يتمّ توزيع هذه العمولات والهبات على العملاء بالتّرتيب، فيعطى الأسبق في الشِّراء والاشتراك، ثمَّ الَّذي يليه، وهكذا. ولا تحدّد الشَّركة فترة زمنيَّة محدّدة لتوزيع الحوافز والهبات؛ لأنّ ذلك مرتبط بحجم المبيعات، ونشاط السُّوق، فعند ارتفاع المبيعات تقلّ المدّة، وعند انخفاضها تزداد.

وتؤكّد الشَّركة أنَّ ما توزّعه ليست أرباحًا ولا حقوقًا للمتسوّقين، بل حوافز وهبات توزّعها الشَّركة من أرباحها الخاصَّة، ولا يحقّ المطالبة بها.

ثانيًا: الشَّركات الحديثة: ومن أمثلتها ما يلي:

أ ـ شركة زادلي (Zadly) [٤٣].

وهي شركة متخصِّصة لتسويق عصير فاكهة (الأساي) [٤٤]، وتشترط الشَّركة للدّخول ضمن شبكة المسوّقين شراء المنتج ولو لمرّة واحدة، والدّخول عن طريق مسوِّق سابق.

وبعد موافقة الشَّركة على أن تكون مندوبًا ومسوّقًا لها، تشترط عليك شراء ما لا يقلّ عن أربع عبوّات من هذا العصير، قيمة كلّ عبوّة (٢٠٠ ريال) (مع أنَّ سعرها في السُّوق لا يتجاوز ٣٠ ريالاً)، وعند بيعها تحصل على ربح مقداره (٥٠ ريالاً) في أوَّل مرّة، ثمَّ (١٠٠) ريال في المرَّات اللاحقة.

وطريقة التَّسويق في هذه الشَّركة هي بنظام المستويات الثُّنائيَّة، حيث يُشترط أن تبني شبكتك التَّسويقيَّة بحيث يكون تحتك شخصان أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، وأن تكون مبيعات كلّ جانب لا تقلّ عن (٣٠٠ نقطة) حيث يتمّ احتساب (١٠٠ نقطة) عن كلّ عمليَّة بيع، وعند اكتمال هذه الخطوة تستحقّ على ذلك عمولة بمقدار (١٥٠ ريالاً)، وكلّما تكرّرت هذه الخطوات ارتقى المسوِّق إلى درجة أعلى، وحصل على عمولات أكثر.

ب ـ شركة أوبيس (Opes) [٤٥].

وهي شركة تونسيَّة الأصل، أنشئت عام ٢٠١٢ م، ولها فروع في الجزائر ومصر وغيرها.

والمنتج الرئيس لهذه الشَّركة هو بيع وتسويق الأجهزة الكهربائيَّة، والهواتف المحمولة، والحاسبات، والكاميرات، وغيرها.

وتشترط الشَّركة للدّخول ضمن شبكة المسوّقين الدّخول عن طريق مسوّق سابق، ودفع مبلغ معيَّن مقدّمًا، وكلّما زاد المبلغ المدفوع مقدّمًا زاد حجم العمولات.

وتتبع الشَّركة في التَّسويق نظام المستويات الثُّنائيَّة، فبعد دفع المبلغ المعيَّن عليك أن تأتي بمسوّقين تحتك أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، وكلَّما دخل عميل جديد من طريقك المباشر أو طريق شبكتك كلَّما حصلت على عمولات إضافيَّة تختلف بحسب مقدار المشتريات الَّتي اشتراها العميل الجديد، ولتفادي تضخّم عمولات المسوّقين وضعت الشَّركة حدًّا أقصى للعمولات، بحيث لا تزيد عن (٥٠٠٠ دولار) أسبوعيًّا.

جـ ـ شركة شركتنا (Shirkitna) [٤٦].

وهي شركة مصريّة تأسّست عام ٢٠١١م بمدينة القاهرة بجمهوريّة مصر العربيَّة.

وأمَّا المنتج الَّذي تقوم الشَّركة بتسويقه فهو غير معروف، فاكتفوا بالقول بأنّها ((منتجات مصريّة ١٠٠%))، وتشترط الشَّركة للدّخول ضمن شبكة المسوّقين شراء أي منتج من منتجات الشَّركة، وكذلك الدّخول عن طريق مسوّق سابق.

وتتبع الشَّركة أسلوب التَّسويق بنظام المستويات الثُّنائيَّة، فإذا قام المسوّق بإدخال أوَّل شخصين (أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار) صرفت له الشَّركة عمولة بمقدار (١٠٠ جنيه مصري)، ثمَّ إذا قام كلّ واحد من هؤلاء المشتركين بإدخال شخصين، تقوم الشَّركة بإعطائك عمولة مقدارها (١٠٠ جنيه مصري) بشرط تساوي الكفّتين يمينًا ويسارًا.

المطلب السَّادس: خصائص التَّسويق الشَّبكيّ:

من خلال الرَّصد السَّابق لنماذج من شركات التَّسويق الشَّبكيّ القديمة والحديثة تبيّن أن للتَّسويق الشَّبكيّ خصائص من أهمّها [٤٧]:

١ ـ لا يمكن الانضمام لشبكة المسوّقين إلاَّ بعد دفع مبلغ مالي، سواء أكان ثمنًا لشراء المنتج، أو قسطًا للاشتراك في العضويَّة.

٢ ـ لا يمكن للمشترك الدّخول في شبكة التَّسويق إلاَّ عن طريق مسوِّق سابق؛ ليستفيد المسوِّق الأوَّل ويحصل على العمولات من جهد المسوِّق الثَّاني، والثَّاني من الثَّالث، وهكذا...

٣ ـ أنَّ المسوِّق كلَّما كان أسبق وأعلى درجة كلَّما كانت عمولاته أكثر، وكلَّما كانت درجته أدنى كان احتمال تعرّضه للخسارة أكبر، أمَّا الطَّبقات الأخيرة فالخسارة لاحقة بهم لا محالة؛ لعدم قدرتهم على استقطاب مسوّقين جدد.

٤ ـ أنَّ هدف هذه الشَّركات هو تسويق التسويق، لا تسويق السلع، فلا يهمّها نوع المنتج وتسويقه، وإنَّما يهمّها توظيف أكبر عدد من المسوِّقين في نظام التَّسويق الشَّبكيّ، وحصد أكبر قدر من العمولات والأرباح.

٥ ـ معظم منتجات الشَّركة تستهلك من قبل المسوِّقين لا المستهلكين، ويتمّ شراء المنتج لأجل الدّخول في شبكة التَّسويق وليس رغبة في المنتج.

٦ ـ تضع جميع شركات التَّسويق الشَّبكيّ سقفًا أعلى للعمولات حتى لا تتضخّم عمولات رؤساء الهرم فتلتهم جميع أموال الشَّركة، وتختلف طريقة كبح هذا التَّضخّم من شركة لأخرى.

المبحث الثاني
حكم التَّسويق الشَّبكيّ

المطلب الأوَّل: الأقوال في المسألة:

أوَّلاً: تحرير محلّ النِّزاع:

١ ـ لا أعلم خلافًا بين فقهاء العصر على تحريم التَّسويق الهرمي الخالي من وجود منتج؛ وذلك لأنَّهُ بيع نقد بنقد مع التَّفاضل والتأجيل وهو ربا، ولما فيه من القمار، وأكل أموال النَّاس بالباطل [٤٨].

٢ ـ يجوز للسّمسار أن يأخذ عمولة تسويق حر وذلك عمَّن اشترى من طريقه مباشرة دون من اشترى من طريق غيره؛ لأنّ ذلك من باب السَّمسرة المباحة [٤٩].

٣ ـ اتّفق الفقهاء المعاصرون على عدم جواز تسويق المنتجات المحرّمة مطلقًا، كالخمر والخنزير ونحوها [٥٠].

٤ ـ اختلف الفقهاء المعاصرون في حكم التَّسويق الشَّبكيّ القائم على تسويق المنتجات في شكل هرمي لغرض أخذ العمولات عن كل من دخل تحت شبكته، على قولين رئيسين.

ثانيًا: الأقوال في المسألة:

القول الأَوَّل: تحريم التَّسويق الشَّبكيّ:

وهذا قول كثير من الهيئات الشَّرعيَّة، حيث صدرت به فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيّة السعوديّة [٥١]، وقرار مجمع الفقه الإسلامي بالسّودان [٥٢]، ودار الإفتاء المصرية[٥٣]، ودار الإفتاء الأردنيَّة [٥٤]، ودار الإفتاء

والتَّدريس الدِّينيّ بحلب [٥٥]، ولجنة الفتوى بجماعة أنصار السُّنَّة المحمّديّة [٥٦]، ومركز الإمام الألباني للدِّراسات المنهجيّة والبحوث العلميَّة [٥٧]، وقرار مؤتمر كليّة الشَّريعة السَّادس في جامعة الزّرقاء الأهليَّة [٥٨].

وإلى هذا القول ذهب جمهور الفقهاء والباحثين المعاصرين [٥٩].

القول الثَّاني: جواز التَّسويق الشَّبكيّ:

والقائلون بالجواز على اتّجاهات:

ـ منهم من أطلق الجواز [٦٠].

ـ ومنهم من أجازها بشرط عدم الغشّ والتَّدليس [٦١].

ـ ومنهم من أجازها بشرطين [٦٢]:

أحدهما: أن لا تقدّم خدمات صوريّة.

والثَّاني: أن يكون المشتري قاصدًا شراء السِّلعة لا التَّسويق.

ـ ومنهم من أجازها بثلاثة شروط [٦٣]:

أحدهما: أن تكون السِّلعة مباحة في نفسها.

والثَّاني: مراعاة متطلّبات العقد العام، من أهليّة العاقد، والوصف التام للبضائع، ووضوح عمليَّة التَّسليم والدّفع.

والثَّالث: أن يكون هيكل العمولة مفصحًا بكل شفافية.

ـ ومنهم من أجازها بثلاثة شروط [٦٤]:

أحدهما: أن لا يكون الدّخول في التَّسويق مشروطًا بشراء المنتج.

والثَّاني: أن لا يكون الدّخول في التَّسويق مشروطًا بدفع مبلغ معيَّن.

والثَّالث: أن تباع بسعر السُّوق.

ـ ومنهم من أجاز التَّسويق الشَّبكيّ دون الهرمي [٦٥].

ثالثًا: سبب الخلاف في المسألة:

بالنَّظر والتأمّل في أدلّة الفريقين يظهر لي أنَّ سبب الخلاف يعود إلى الآتي:

١ ـ الخلاف في تكييف هذه النَّازلة، فمن كيّفها على أنَّها سمسرة، أو جعالة، أو وكالة بأجرة، أو هبة، ذهب إلى جوازها، و من كيّفها على أنَّها بيع نقد بنقد، أو أنَّها من باب القمار والغرر والضرر والغش والتدليس، ذهب إلى تحريمها.

٢ ـ هل العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني أو بالألفاظ والمباني [٦٦]؟

فمن نظر إلى المقاصد والمعاني ذهب إلى تحريم التَّسويق الشَّبكيّ؛ لأنّ القصد منه الحصول على العمولة من بيع النَّقد بالنَّقد متفاضلاً مؤجّلاً، ووجود السِّلعة ما هو إلاَّ حيلة للتوصّل إلى المحرّم. ومن نظر إلى الألفاظ والمباني ذهب إلى جوازها.

المطلب الثَّاني: الأدلّة والمناقشات:

أوَّلاً: أدلّة القائلين بالتَّحريم:

١ ـ قوله تعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ النساء: ٢٩.

وجه الدِّلالة: أنَّ التَّسويق الشَّبكيّ يعدّ من أكل أموال النَّاس بالباطل، حيث لا يستفيد من هذا العقد إلاَّ أصحاب الشَّركة والمسوّقين الَّذين على رأس الهرم، وذلك على حساب الطَّبقات الدّنيا، فيربح القليل مقابل خسارة الكثير، وهذا من أكل أموال النَّاس بالباطل [٦٧].

ونوقش من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إنَّه ليس في هذا العقد أكل لأموال النَّاس بالباطل؛ لأنّ الزَّبائن دفعوا نقودًا مقابل الحصول على منتجات متميّزة، والشَّركة تأخذ حقّها من السِّعر الَّذي بذلته في الإنتاج، وتعطي المشاركين حقّهم الَّذي بذلوه في الدِّعاية والإعلان(٦٨).

الوجه الثاني: إنَّ الخسارة ليست ملازمة للمستويات الأخيرة كما يقولون، فإنَّ المستويات الأخيرة قد تربح بجهدها المتوالي أضعاف ما ربحته المستويات العليا (٦٩).

الوجه الثالث: إنَّ المسوِّق يأخذ عمولته من الشَّركة وليس من المشترين، فليس فيه أكل لأموال النَّاس بالباطل (٧٠).

ويمكن أن يجاب عن هذه الأوجه بما يلي:

أمَّا الوجه الأوَّل: فيسلّم لهم إذا كان المقصود بالتَّسويق هو السِّلعة، ولكن الواقع أنَّ المقصود هو العمولات والفوائد الَّتي يولّدها النِّظام الهرمي، والسِّلعة حيلة للوصول إلى الحرام (٧١).

وأمَّا الوجه الثَّاني: فيمكن أن يجاب عنه بأنَّ ربح المستويات الأخيرة نادر، والعبرة للغالب الشَّائع لا القليل النَّادر (٧٢).

وأمَّا الوجه الثَّالث: فإنَّ المسوِّق وإن كان يأخذ عمولة من الشَّركة، إلاَّ أنَّ الشَّركة تأخذ المال من المشترين ثمَّ تعطي المسوّق جزءًا منه وتأخذ الباقي، فعاد الأمر إلى أكل أموال النَّاس بالباطل.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩.

وجه الدلالة: إنَّ عقد التَّسويق الشَّبكيّ يتضمَّن الرِّبا بنوعيه، ربا الفضل، وربا النسيئة، حيث يدفع المشترك مبلغًا من المال ليحصل على أكثر منه، فهو بيع نقد بنقد مع التَّفاضل والتأخير، وهذا من الرِّبا المحرّم بالإجماع[٧٣]، والمنتج الَّذي تبيعه الشَّركة للعميل ما هو إلاَّ ستار للمبادلة، فهو غير مقصود للمشترك فلا تأثير له في الحكم[٧٤].

ونوقش: بعدم التَّسليم بأنّ السِّلعة غير مقصودة، بل إنَّ البيع تمّ على سلعة مقصودة لذاتها، وثبت جدواها ونفعها، والبيع إذا تمّ بشروطه المعروفة صحّ وثبت أثره من انتقال الثَّمن إلى البائع والسِّلعة إلى المشتري[٧٥].

ويمكن أن يجاب: بأنّ السِّلعة لو كانت مقصودة، لما تمّ اللجوء لطريقة التَّسويق الشَّبكيّ، بل يمكن بيعها بطريقة التَّسويق العاديّة ويحصل المسوّق على عمولة من دخل من طريقه مباشرة دون من دخل من طريق غيره، فاللجوء لأسلوب التَّسويق الشَّبكيّ قرينة قوية على أنَّ المقصود هو العمولات وليس السِّلعة، وهذا ضرب من التَّحايل المحرّم الَّذي جاءت النّصوص بالمنع منه، فعن جابر ﷺ أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: ((إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: لاَ، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا، جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ))[٧٦].

قال الإمام الخطّابيّ ـ رحمه الله ـ: ((في هذا الحديث بيان بطلان كلّ حيلة يحتال بها للتوصّل إلى المحرّم، وأنَّهُ لا يتغيّر حكمه بتغيير هيئته وتبديل اسمه))[٧٧].

وممَّا يدلّ على عدم اعتبار وجود السِّلعة إذا كان القصد منها الاحتيال للوصول إلى الحرام، ما ثبت عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه سئل عن حريرة بيعت إلى أجل ثمَّ اشتريت بأقلّ، فقال: ((دراهم بدراهم دخلت بينهما حريرة))[٧٨].

كما أن كثيرا من المسوقين يشترون سلعا لا حاجة لهم بها إطلاقا، أو يشترون سلعا بكميات كبيرة تفوق حاجاتهم بأضعاف مضاعفة، طمعا في العمولات[٧٩].

٣ ـ قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة: ٩٠.

وجه الدلالة: إنَّ التَّسويق الشَّبكيّ داخل في الميسر والقمار؛ وذلك لأنّ المشترك يدفع مبلغًا محقّقًا مقابل الحصول على مبلغ أكبر موهوم، ولا يكون ذلك إلاَّ بالحظّ، وهذا هو القمار.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ـ رحمه الله ـ: ((فأصل القمار أن يؤخذ مال إنسان وهو على مخاطرة، هل يحصل له عوض أم لا يحصل؟))[٨٠].

وبيان ذلك: أنَّ المشترك لا يمكن أن يحقّق دخلاً إلاَّ إذا تكوّنت تحته ثلاث طبقات، والمستويات الأخيرة في البناء الهرمي خاسرة لا محالة؛ لأنَّهَا تدفع عمولات قمّة الهرم رجاء أن تصعد إلى القمّة، ولكن لا يمكنها ذلك إلاَّ باستقطاب أعضاء جدد يكوِّنون قاعدة الهرم، فتكون تلك المستويات الجديدة معرّضة للخسارة دائمًا، والتَّعرّض للخسارة لازم لنموّ الهرم، ولا يمكن أن يربح الجميع، وإنَّما يربح القليل مقابل خسارة العدد الأكبر، وهذا هو القمار [٨١].

ونوقش من أربعة أوجه:

الوجه الأَوَّل: عدم التَّسليم بوجود القمار في هذه المعاملة، فالسِّلعة معلومة وموجودة، وفيها منفعة للمشتري، وشروط الدّخول في العقد معلومة، فالمسوّق دخل على علم بشروط التَّسويق، والمسلمون على شروطهم[٨٢].

الوجه الثَّاني: إنَّ القمار مخاطرة من جميع الأطراف، بحيث يدفع كلّ واحد جزءًا من المال رجاء غنم متوقّع بدون أيّ عمل من الطّرفين، بل الأمر يرجع إلى الحظّ والنَّصيب، وليس هذا في معاملة التَّسويق الشَّبكيّ؛ فإِنَّ المسوِّق يقوم بعمل وجهد، وبقدر جهده تكون عمولاته وأرباحه(٨٣).

الوجه الثَّالث: إنَّ التَّسويق الشَّبكيّ ليس مخاطرة وقمارًا، بل هو علم يدرس له أسسه وقوانينه(٨٤).

الوجه الرَّابع: إنَّه لا يُسلَّم أنَّ كلّ مخاطرة قمار، بل إِنَّ المخاطرة هي أساس في كثير من المعاملات(٨٥).

ويمكن أن يجاب عن هذه الأجوبة بما يلي:

أمَّا الوجه الأَوَّل: فقد سبق الجواب عن شبهة وجود المنتج، وأنّ وجوده كعدمه، إذ المقصود هو العمولات الَّتي ينتجها هذا النِّظام الهرمي، وأمَّا السِّلعة فهي غطاء لبيع نقد بنقد مع التَّفاضل والتأجيل، وهذا عين الرِّبا(٨٦).

وأمَّا كون المسوِّق عالمًا بشروط التَّسويق فلا يُسلَّم ذلك؛ إذ لو علم أنَّه سيكون من المستويات الأخيرة حين انهيار الهرم لم يقبل الدّخول إلى هذا البرنامج أبدًا، ولو علم أنَّه سيكون في المستويات العليا لرغب في الدّخول فيه ولو بأضعاف الثَّمن(٨٧).

أمَّا الوجه الثَّاني: فإِنَّ المسوّقين الَّذين في رأس الهرم يأخذون العمولات من المسوّقين الَّذين تحتهم، وهم لم يقدِّموا أيّ عمل وجهد، ولذلك فكثير من هؤلاء يجني أرباحًا طائلة من جهة المسوِّقين الَّذين تحته وهو جالس في بيته.

أمَّا الوجه الثَّالث: فليس كلّ علم يدرَّس مباح شرعًا، فالسِّحر علم يدرّس وله مناهجه ومعاهده، وهو حرام شرعًا، وكذلك الموسيقى والرَّقص يدرَّسان ولهما معاهدهما المتخصّصة وهما محرّمان(٨٨).

وأمَّا الوجه الرَّابع: فإِنَّ المخاطرة الَّتي يغلب عليها تعريض المال للنماء والكسب بالطُّرق المشروعة فهي جائزة، وهي الَّتي لا تخلو منها تجارة. وأمَّا المخاطرة الَّتي يغلب عليها تعريض المال للهلاك والتَّلف، وأكل أموال النَّاس بالباطل فهي محرّمة. والتَّسويق الشَّبكيّ من النَّوع الثَّاني(٨٩).

كما أنَّ المخاطرة في البيوع والتِّجارات المشروعة غير مقصودة في العقود، وإنَّما هي تبع، أمَّا المخاطرة في التَّسويق الشَّبكيّ فهي مقصودة، فتحرم(٩٠).

والقاعدة أنَّه: ((يثبت تبعًا ما لا يثبت استقلالاً))(٩١).

٤ ـ حديث أبي هريرة ﷺ قال: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ))(٩٢).

وجه الدلالة: إنَّ التَّسويق الشَّبكيّ من الغرر المنهيّ عنه شرعًا فيحرم. وبيان ذلك:

أنَّ الغرر ما كان مجهول العاقبة(٩٣)، وجهالة العاقبة في هذا العقد ظاهرة، فإِنَّ المشترك لا يدري هل ينجح في تحصيل العدد المطلوب من المشتركين أم لا؟ ولا يدري حين انضمامه إلى الهرم هل سيكون في الطَّبقات العليا فيكون رابحًا، أو في الطَّبقات السُّفلى فيكون خاسرًا؟، والواقع أنَّ معظم أعضاء الهرم خاسرون إِلاَّ القلّة القليلة في أعلاه، فالغالب هو الخسارة(٩٤).

ونوقش من وجهين:

الوجه الأوَّل: بعدم التَّسليم بأنّ في التَّسويق الشَّبكيّ غررًا؛ وذلك لأنّ العقد معلوم، والعمولات محدّدة أو معلومة، والمراحل معروفة، وآليَّة العمل مكتوبة وواضحة، بل وتقوم الشَّركة بإرسال كشف شهري يبيّن مستوى العميل، وعدد نقاطه، ومستوى أرباحه، والنّسبة المئويَّة لأرباح كلّ عضو، ويمكن للعضو أن يحسب أرباحه بنفسه حسب النِّظام المبيَّن، ويمكن مراجعة الشَّركة حال وجود خطأ في الحساب، فأين الغرر إذًا؟[٩٥].

الوجه الثَّاني: على التَّسليم بوجود غرر، فإنَّه غرر يسير مغتفر، بجانب الفوائد الكثيرة لهذا العقد[٩٦].

ويجاب عن ذلك:

أمَّا الوجه الأوَّل: فقولهم: إنَّ الغرر منتف ببيان مقدار العمولات؛ قول غير صحيح؛ وذلك لأنّ المسوِّق دخل من بداية العقد مخاطرًا بالمبلغ الَّذي دفعه، فإمَّا أن يكسب أكثر من خلال تحقيق عدد من المبيعات يعطيه عمولات تفوق ما دفعه من مبالغ، أو يخسر إذا لم يحقّق العدد المرجوّ من المبيعات، وهذا عين الغرر[٩٧].

وأمَّا الوجه الثَّاني: فلا يُسلّم أنَّ الغرر يسير في هذه المعاملة، بل الغرر كبير والخسارة ملازمة لأغلب طبقات الهرم، ففي دراسة حديثة أجريت على ثلاثة من شركات التَّسويق الهرمي، أشارت تلك الدِّراسة إلى أنَّ أفضل نسبة رابحين في هذه الشَّركات بلغت ١٣ , ٠%، وبلغت نسبة الخاسرين ٩٩,٧٨%، وفي هذا بيان واضح لارتفاع نسبة الغرر في هذه الشَّركات[٩٨].

٥ ـ حديث أبي سعيد الخدريّ ﷺ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: ((لاَ ضَرَرَ ولاَ ضِرَارَ))[٩٩].

وجه الدلالة: إنَّ عقد التَّسويق الشَّبكيّ يحدث أضرارًا كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع، وقد جاءت الشَّريعة بمنع الضَّرر، فمن أضراره على مستوى الأفراد: تعطيل طاقات الشَّباب وتعويدهم على البطالة، والتَّغرير بذوي الدّخل المحدود، واستغلال عوزهم وحاجتهم للدّخُول في هذه المعاملة المحرّمة، وتربية أفراد المجتمع على ثقافة فاسدة قوامها التكسّب بالخطر والمقامرة، ومن أضراره على مستوى المجتمع: تصدير ملايين العملات المحليَّة إلى مقرّ رئاسات تلك الشَّركات، وإضعاف الاستثمار الحقيقي القائم على تدويل المال بشكل سليم من أفراد المجتمع، ليصبح حكرًا على طائفة مخصوصة لا تعمل ولا تنتج، وإنَّما تنهب أموال الآخرين تحت غطاء التَّسويق الشَّبكيّ [١٠٠].

ونوقش: بعد التَّسليم بهذه الأضرار، بل هناك فوائد لهذا العقد، منها: أنَّها مصدر دخل لذوي الدّخل المحدود، وإيجاد فرص عمل للشّباب العاطلين، والقضاء على احتكار المورّدين وتجّار التّجزئة[١٠١].

ويمكن أن يجاب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأوَّل: إنَّ المنافع المزعومة للتَّسويق الشَّبكيّ لا تعني إباحته؛ فالقاعدة: أنَّه عند تعارض المصالح والمفاسد في محلّ واحد، فإن أمكن تحصيل المصالح وتعطيل المفاسد فُعل، وإلاَّ كان الحكم للغالب[١٠٢]، والغالب هنا المفسدة، فتدرأ مفسدة التَّسويق الشَّبكيّ الرَّاجحة، ولا نبالي بفوت المصلحة المرجوحة فيه.

يقول ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: ((كذلك سنّته في شرعه وأمره، فهو يقدّم الخير الرّاجح وإن كان في ضمنه شرّ مرجوح، ويعطّل الشرّ الرّاجح وإن فات بتعطيله خير مرجوح، هذه سنّته فيما يحدثه ويبدعه في سماواته وأرضه وما يأمر به وينهى عنه))[١٠٣].

الوجه الثَّاني: إنَّ النَّفع المزعوم إنما هو للطَّبقات الأولى في رأس الهرم، أمَّا الطبقات الأخيرة فالخسارة لاحقة بهم بلا شكّ، وقد سبق بيان ذلك.

الوجه الثَّالث: إنَّ المنع من التَّسويق الشَّبكيّ فيه ضرر بطائفة خاصَّة، وهم أصحاب الشَّركة والمسوّقون في رأس الهرم، وإباحته فيه ضرر بالأغلبيَّة السَّاحقة وبالمجتمع من ورائهم، والقاعدة الفقهيَّة: أنَّه يتحمّل الضَّرر الخاصّ لدفع الضَّرر العامّ[١٠٤].

٦ ـ حديث أبي هريرة ﷺ قال: ((نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ))[١٠٥].

وجه الدلالة: إنَّ عقد التَّسويق الشَّبكيّ داخل في النَّهي عن بيعتين في بيعة؛ وذلك لأنَّهُ يشتمل على عقدين في عقد واحد، وهما: عقد شراء المنتج، وعقد تسويقه، ولا يمكن الفصل بينهما أو الاكتفاء بأحدهما[١٠٦].

ونوقش: بعدم التَّسليم بأنّ المراد ببيعتين في بيعة هو اشتراط عقد في عقد، بل الصَّحيح أنَّ المقصود بذلك هو مسألة العينة، وهذا قول جمع من المحقّقين كشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة وتلميذه ابن القيِّم، والشَّيخ عبد الرَّحمن السّعدي، والشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين رحمهم الله [١٠٧].

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في تفسير هذا الحديث: ((هو منزّل على العينة بعينها، قاله شيخنا؛ لأنَّهُ بيعان في بيع واحد، فأوكسهما الثَّمن الحالّ، وإن أخذ بالأكثر وهو المؤجّل أخذ بالرِّبا، فالمعنيان لا ينفكّان من أحد الأمرين، إمَّا الأخذ بأوكس الثَّمنين أو الرِّبا، وهذا لا يتنزّل إلاَّ على العينة)) [١٠٨].

فعلى هذا فاشتراط الشَّركة في عقد بيع المنتج الإجارة على تسويقه جائز، ولا يعدّ من باب بيعتين في بيعة. والله أعلم [١٠٩].

٧ ـ حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)) (١١٠).

وجه الدلالة: إنَّ معاملة التَّسويق الشَّبكيّ داخلة في الغشّ والتَّدليس المنهيّ عنه، وذلك من وجهين:

الوجه الأَوَّل: من جهة إظهار المنتج وكأنَّه المقصود من المعاملة، والواقع خلاف ذلك.

الوجه الثَّاني: من جهة إغراء المشتركين بالعمولات الكبيرة الَّتي لا تتحقّق غالبًا (١١١).

ونوقش: بأنّ الغشّ والخداع قد يكون من سلوك بعض المروّجين المشتركين وليس وصفًا لازمًا لطبيعة هذه الشَّركات، فالحكم بالتَّحريم على أفعالهم لا على أصل الشَّركة (١١٢).

ويمكن أن يجاب: بعدم التَّسليم بأنّ الغشّ ليس من سلوك الشَّركة، بل إِنَّ كثيرًا من الشَّركات تعمد إلى أسلوب الدِّعاية المكثّف وخداع المشتركين بالوعود الوهميَّة الَّتي لا حقيقة لها.

جاء في دعاية شركة بزناس: ((سوف تخسر الكثير إذا تأخّر انضمامك إلينا ليوم واحد، كلَّما انتظرت أكثر كلَّما خسرت أكثر، ابدأ الآن)) (١١٣).

وجاء في دعاية شركة (DXN): ((الأحلام أحيانًا قد تكون صعبة الوصول، لكن عليك بالاستمرار، إن كنت تؤمن بحلمك أو كنت تؤمن بذاتك، فاعلم بأنّك ستجعل الحلم حقيقة)) (١١٤).

٨ ـ إنَّ هذا العقد يتضمَّن غبنًا ظاهرًا، فإِنَّ المنتجات الَّتي تروّجها شركات التَّسويق الشَّبكيّ تتّسم بالغلاء الفاحش، وقد كشفت عدد من الدِّراسات أنَّ أسعار منتجات التَّسويق الشَّبكيّ تتجاوز سعر مثيلاتها في السُّوق بنسبة ١٠٠% ـ ٣٠٠% (١١٥).

ونوقش: بأنّ ارتفاع الأسعار لا أثر له في التَّحريم ما دام أنَّ المشتري والمسوِّق قد دخل في العقد بإرادته دون إكراه [١١٦].

ويمكن أن يجاب: بأنّ دخول المشتري في هذا العقد لغرض العمولات وليس لشراء المنتج، ولذلك تضاعف سعر المنتج بسبب العمولات الَّتي أضيفت إلى قيمته، ولو سلم المنتج من هذه العمولات لما كان هناك غلاء.

ثانيًا: أدلّة القائلين بالجواز:

١ ـ قاعدة الأصل في العقود الصحّة والجواز، ولا يبطل منها إلاَّ ما دلَّ الشَّرع على إبطاله وتحريمه[١١٧]، والتَّسويق الشَّبكيّ داخل تحت هذا الأصل[١١٨].

ونوقش: بأنّه دخل على هذا العقد جملة من المحظورات كالرِّبا، والقمار، والغرر، وأكل أموال النَّاس بالباطل، والغبن، والغشّ، وكلّ واحد منها يكفي لنقل العقد من أصل الإباحة إلى التَّحريم، فكيف بها مجتمعة؟[١١٩].

٢ ـ القياس على السَّمسرة، بجامع أنَّ كلاًّ منهما يبيع لغيره بالأجرة.

قال السرخسي: ((السمسار: اسم لمن يعمل للغير بالأجر بيعًا وشراء)) [١٢٠].

وبيان ذلك: إنَّ الشَّركة تمنح المشترك عمولة مقابل إتيانه بمشترين لمنتجاتها، فإذا أتى بعدد محدّد من المشترين استحقّ عمولة محدّدة، وهذا من قبيل السَّمسرة الجائزة[١٢١].

ونوقش: بأنّ هناك فروقًا جوهريَّة بين السَّمسرة المشروعة والتَّسويق الشَّبكيّ، منها[١٢٢]:

أ ـ إنَّ السَّمسرة عقد يحصل بموجبه السّمسار على أجر لقاء توسّطه في إتمام عمليَّة بيع السِّلعة أو شرائها، بينما التَّسويق الشَّبكيّ عبارة عن بناء شبكة من العملاء في

شكل متوالية هندسيَّة، يشكِّل كلّ عميل فيها قمّة هرم داخل الشَّبكة، وتأتي السِّلعة كوسيط للدّخول في الشَّبكة.

ب ـ إنَّ السَّمسرة لا يُشترط فيها شراء السِّمسار للسِّلعة، فهو مجرّد وسيط بين صاحب السِّلعة والمشتري، وأمَّا في نظام التَّسويق الشَّبكيّ فشراء المسوِّق للسِّلعة شرط في قبوله مسوِّقًا.

جـ ـ إنَّ السِّمسار في السَّمسرة الشَّرعيَّة يحصل على عمولته بناء على جهده وما بذله من وقت ومال، وأمَّا في التَّسويق الشَّبكيّ فيحصل المسوِّق على عمولات متزايدة بناء على جهود غيره من الزَّبائن الَّذين أتوا بعده.

د ـ إنَّ تسويق السِّلعة مقصود في عمل السِّمسار، وسقوطها يخلّ بعقد السَّمسرة، بينما تسويق السِّلعة غير مقصود في التَّسويق الشَّبكيّ، فالقصد هو الحصول على العمولات،سواء وجدت السِّلعة أو لم توجد.

هـ ـ إنَّ علاقة السّمسار بالمشتري تنتهي بمجرّد الشِّراء، أمَّا في التَّسويق الشَّبكيّ فإنَّها تبدأ بالشِّراء، ولا يحصل المسوِّق على عمولة إلاَّ إذا سوّق لمسوّقين آخرين، وهؤلاء بدورهم يسوِّقون لغيرهم، ولا يحصل على عمولة إلاَّ بهذه الطَّريقة.

٣ ـ القياس على الجعالة، بجامع أنَّ كلاًّ منهما التزام بعمل معلوم، أو مجهول يعسر ضبطه، مقابل عوض معلوم[١٢٣].

وما يعطاه المسوِّق نظير تسويقه مثل الجَعْل الَّذي يعطى في عقد الجعالة[١٢٤].

ونوقش بالفرق بين الجعالة والتَّسويق الشَّبكيّ، وذلك من وجوه[١٢٥]:

أ ـ إنَّ عقد الجعالة عقد جائز عند جمهور العلماء[١٢٦]، فيجوز لكلا الطَّرفين فسخه، وأمَّا عقد التَّسويق الشَّبكيّ فلازم من جهة الشَّركة فقط.

ب ـ إنَّ عقد الجعالة يصحّ من غير تعيين عامل، كما لو قال: من جاءني بضالّتي فله كذا[١٢٧]، وأمَّا التَّسويق الشَّبكيّ فيشترط للدّخول فيه تعيين المسوِّق من قِبل الشَّركة وفق ضوابط معيَّنة.

جـ ـ إنَّ العامل في عقد الجعالة لا يدفع مالاً مقابل عمله، وإنَّما يستحقّ جعله بعد فراغه من العمل[١٢٨]، أمَّا المسوِّق في التَّسويق الشَّبكيّ فلا يستحقّ الحصول على العمولات حتى يشتري المنتج من الشَّركة، وبعض الشّركات تشترط عليه أن يجدّد اشتراكه سنويًّا حتى يحافظ على مركزه ضمن شبكة المسوِّقين.

د ـ لا يستحقّ العامل الجعل في الجعالة إلاَّ إذا أدَّى العمل بنفسه، فلو أدَّاه غيره لم يستحقّ شيئًا[١٢٩]، أمَّا في التَّسويق الشَّبكيّ فإنَّ المسوِّق يأخذ عمولة على عملاء لم يدخلوا من طريق مباشرة.

٤ ـ القياس على الهبة، بجامع أنَّ كلاًّ منهما تمليك للمال بلا عوض في الحال[١٣٠].

وبيان ذلك: أنَّ ما تعطيه الشَّركة للمشترين منها المسوِّقين هو من باب الهبة، والهبة جائزة شرعًا[١٣١].

ونوقش من ثلاثة أوجه:

الوجه الأوَّل: عدم التَّسليم بأنّ هذه الحوافز هبات ـ ولو سمّتها الشَّركة بهذا الاسم ـ بل هي جزء من المعاوضة؛ لأنّ حقيقة التَّسويق الشَّبكيّ مبادلة مال بمال على وجه التَّفاضل والتأجيل، والسِّلعة غير مقصودة، وإنَّما المقصود الحوافز والهبات، وهذا هو عين الرِّبا، فإذا أضيف إلى ذلك أنَّ هذه الهبات موهومة غير متحقّقة، كان ذلك من قبيل الميسر والقمار المحرّم شرعًا[١٣٢].

الوجه الثَّاني: إنَّه قد جرت عادة التجّار في الهدايا والهبات الَّتي تعطى مع المنتجات أن تكون قيمتها يسيرة بالنّسبة إلى قيمة المنتج، لا أن تكون قيمتها أضعاف قيمة المنتج، وهذه قرينة قويَّة على المقصود الأعظم في التَّسويق هو الحوافز وليس السِّلعة (١٣٣).

الوجه الثَّالث: إنَّه على التَّسليم بأنّ ما تمنحه الشَّركة للمشترين منها هبة، فليس كلّ هبة جائزة، فالهبة إذا وجدت لسبب أخذت حكم ذلك السَّبب، فكلّ من وُهب له شيء بسبب فإنَّه يثبت له حكم ذلك السَّبب(١٣٤).

والهبة الَّتي تمنحها الشَّركة لعملائها في التَّسويق الشَّبكيّ سببها المعاوضة، ويشترط لها الشِّراء، وحينئذٍ تنتقل من كونها تبرّعًا لتصبح معاوضة نقد بنقد متفاضلاً مؤجَّلاً، وهذا عين الرِّبا(١٣٥).

٥ـ القياس على الوكالة بأجر، بجامع أنَّ كلاًّ منهما تفويض للوكيل فيما تقبله النِّيابة (١٣٦)، فالمسوّق وكيل للشَّركة، والوكالة تصبح بأجر وبدون أجر (١٣٧).

ونوقش بالفرق من وجهين:

الوجه الأَوَّل: إنَّ الوكيل غير ملزم بشراء المنتج، بل يحصل على أجر مقابل الوكالة، أمَّا المسوِّق في التَّسويق الشَّبكيّ فشراء المنتج شرط للدّخول في شبكة التَّسويق(١٣٨).

الوجه الثَّاني: إنَّه على التَّسليم بأنّه عقد وكالة بأجر، فمن شرط صحّة الوكالة أن يكون العمل معلومًا لا يعظم فيه الغرر(١٣٩)، وأمَّا العمل في التَّسويق الشَّبكيّ ففيه غرر فاحش؛ لأنّ المشترك لا يدري هل ينجح في تحصيل العدد المطلوب أم لا (١٤٠).

٦ ـ من المعقول:

إنَّ منتجات هذه الشَّركات ثبتت فوائدها الصحيَّة والعمليَّة لكلّ من استخدمها، فهي ممَّا يجوز بيعه وشراؤه، والتَّسويق وسيلة إلى ذلك، والوسيلة إلى المباح مباحة [١٤١].

ونوقش: بأنّ المقام ليس في جدوى هذه المنتجات، وفائدتها، بل عن طريقة تسويقها، وهل هي مقصودة بالعقد أم لا؟ والواقع يثبت أنَّها ليست مقصودة بالعقد، وإنَّما المقصود هو العمولات الَّتي يولّدها هذا النِّظام الشَّبكيّ المشتمل على الرِّبا والقمار وأكل أموال النَّاس بالباطل [١٤٢].

٧ ـ من المعقول كذلك:

إنَّ في التَّسويق الشَّبكيّ نفعًا للفقراء، ومصدر رزق لذوي الدَّخل المحدود، جرّاء انخراطهم في شبكة التَّسويق والتَّرويج لهذه المنتجات المباحة، ممَّا يؤدّي إلى زيادة دخلهم، ورفع المعاناة وضيق العيش عنهم[١٤٣].

ونوقش: بأنّه وإن كان في التَّسويق الشَّبكيّ منافع؛ إلاَّ أنَّ مضارّه أكثر، ومن ذلك: ربح الأقليَّة على حساب الأكثريَّة، وأكل أموال النَّاس بالباطل، والتَّحايل على الرِّبا، وإذا تعارضت المصالح والمفاسد في موضع واحد؛ قدّم أرجحهما، وقد سبق بيان ذلك.

المطلب الثَّالث: القول الرَّاجح وأسباب التَّرجيح:

بعد عرض الأقوال في هذه المسألة، والنَّظر فيما استدلّ به أصحاب كلّ قول، والمناقشات الواردة على أدلّة كلّ قول، يتبيَّن بجلاء أنَّ القول الصَّحيح في هذه المسألة هو القول الأَوَّل، القائل بتحريم التَّسويق الشَّبكيّ. وذلك للأسباب التَّالية:

١ ـ قوَّة أدلّة هذا القول، وسلامتها من المعارض الرَّاجح.

٢ ـ استناد القائلين بالتَّحريم إلى الأدلّة الشَّرعيَّة من الكتاب والسُّنَّة والنَّظر الصَّحيح. أمَّا القول الآخر فأغلب أدلّتهم أقيسة غير صحيحة، و مصالح موهومة وملغاة.

٣ ـ إنَّ هذا العقد اشتمل على كثير من المحرّمات والمفاسد، كالرِّبا، والميسر، والقمار، والغرر الفاحش، وأكل أموال النَّاس بالباطل، والغبن، والتَّغرير، والغشّ، والخداع، ويكفي واحد من هذه الأمور لتحريم هذا النَّوع من التَّسويق، فكيف بها مجتمعة.

٤ ـ إنَّه ليس هناك حاجة داعية إلى هذا العقد، حتى يمكن إباحته للحاجة، فالمنتجات الَّتي يتمّ التَّسويق لها موجودة في السُّوق بأسعار تنافسيَّة، بل وبعضها يبذل مجّانًا ـ كما هو الحال في بعض برامج الإنترنت ـ، ممَّا يدلّ على عدم الحاجة إليها، وإنَّما الدَّافع لهذا التَّسويق هو جشع بعض المسوِّقين للحصول على عمولات أكبر، على حساب الأكثرية الخاسرة[١٤٤].

٥ ـ إنَّ التَّسويق الشَّبكيّ لَمَّا كان قائمًا على أكل أموال النَّاس بالباطل أورث الشَّحناء والعداوات بين المسوِّقين؛ لأنّ العمولات محصورة في رأس الهرم، أمَّا الطَّبقات السُّفلى فلا يحصلون على شيء، ممَّا سبَّب الحقد بينهم[١٤٥]، وما كان هذا شأنه فقد جاءت الشَّريعة بالمنع منه، فالحلال رحمة وبركة بأهله، والحرام شؤم وبلاء على أصحابه.

٦ ـ إنَّ التَّسويق الشَّبكيّ لا يحقّق التَّنمية الاقتصاديَّة للمجتمع، وإنَّما يكرّس البطالة والخمول والاعتماد على الغير.

((فالإسلام في مقاصده يسعى أن يكون حجم الإنتاج واقعيًّا منسجمًا مع الحاجات الحقيقيَّة للمستهلك عن طريق استئصال الأدوار الطّفيليَّة للوسطاء والدِّعايات والتَّقليل منها ما أمكن؛ لأنّ كثرتهم تؤدِّي إلى تضخّم مصطنع دون اعتبار

لحاجات حقيقيَّة للمستهلكين، وتداول للمال في أيدي قلّة محتكرة من أبناء المجتمع))[١٤٦].

ويقول د. حسن شحاته: ((لا يحقّق التَّسويق الشَّبكيّ التَّنمية الاقتصاديَّة من المنظور الإسلامي، بل يحقّق بيئة استهلاكيَّة ومقنَّعة، تستنزف نسبة عالية من الأموال والجهود، كان يمكن توجيهها إلى مشروعات استثماريَّة تشغّل العاطلين)) [١٤٧].

٧ ـ إنَّ كثيرًا من خبراء الاقتصاد والتَّسويق قد أدركوا خطر هذه الأنظمة الهرميَّة وخطرها على الاقتصاد، وحذَّروا منها، ودعوا إلى منعها، والمرجع في مثل هذه الأمور إلى أهل الخبرة، فكان قولهم أولى بالاعتماد والقبول.

يقول بيل برانسيوم: ((النِّظام الهرمي هو احتيال، يجب أن يكون كذلك، طالما أنَّ النِّظام يقوم على توزيع الأموال، والتَّوزيع المستمرّ يتطلّب قائمة من المشاركين تنمو بسرعة، ولا توجد أموال جديدة تخلق في أيّ جانب من العمليَّة...، فالقيمة الَّتي يشارك بها أشخاص اليوم توزّع ليتمّ الدَّفع لأولئك الَّذين انضمُّوا بالأمس)) [١٤٨].

٨ ـ إنَّ كثيرًا من القوانين والأنظمة المعاصرة جعلت التَّسويق الشَّبكيّ من جرائم الغشّ التِّجاريّ المعاقب عليها قانونًا، وأغلقت أكثر الشَّركات الَّتي تتعامل بهذا النَّوع من التَّسويق.

ـ فقد قامت الغرفة التِّجاريَّة الباكستانيَّة بإغلاق نشاط شركة (بزناس)، وحذّرت من الاشتراك فيها [١٤٩].

ـ وحذَّر البوليس الكندي من نظام الشَّجرة الثُّنائيَّة الَّذي يتبع نظم التَّسلسل الهرمي الممنوعة. وأضافت في قوانين الجرائم جزءًا خاصًّا بتجريم كلّ من يمارس نظام أهرامات الوهم [١٥٠].

ـ ورفعت وزارة التِّجارة الأمريكيَّة قضيَّة ضدّ إحدى شركات التَّسويق الهرمي العاملة على الأراضي الأمريكيَّة، وهي شركة سكاي بز (Skybiz) تتّهمها بالغشّ والاحتيال. وصدر قرار محكمة ولاية أوكلاهوما بإيقاف عمليَّات الشَّركة وتجميد أصولها، تمهيدًا لإعادة أموال العملاء الَّذين انضمُّوا إليها [١٥١].

ـ كما حذَّرت وزارة التِّجارة والصناعة في المملكة العربيَّة السّعوديَّة من التَّسويق الشَّبكيّ واعتبرته نشاطًا مضلّلاً، مطالبة بعدم الاشتراك في هذه الشَّركات، والتَّبليغ عنها فورًا [١٥٢].

ـ كما أصدرت وزارة الصِّناعة والتِّجارة بالبحرين قرارًا وزاريًّا عام ٢٠١٥ م تمّ بموجبه حظر الإعلان عن بيع المنتجات من خلال التَّسويق الشَّبكيّ أو الهرمي، واتّخاذ إجراءات قانونيَّة لمعاقبة المخالفين[١٥٣].

٩ ـ إنَّ كثيرًا ممَّن ذهب إلى إباحة هذا العقد بناه على أسئلة أرباب هذه الشَّركات الَّذين صوّروا العقد على غير حقيقته، ولذلك لَّما تبيَّن لهم الأمر وعرفوا مفاسده وآثاره الوخيمة؛ رجعوا عن قولهم إلى القول بالتَّحريم[١٥٤].

١٠ـ إنَّ في الحلال غنية عن الحرام، وفي سلوك الطُّرق الشَّرعيَّة من التِّجارة المباحة والسَّمسرة المشروعة ما يغني عن سلوك طريق الحيل وأهرامات الوهم والخداع.

يقول ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: ((إنَّ الله سبحانه أغنانا بما شرعه لنا من الحنيفيَّة السَّمحة، وما يسَّره من الدِّين على لسان رسوله ﷺ، وسهَّله للأمَّة عن الدُّخول في الآصار والأغلال، وعن ارتكاب طرق المكر والخداع والاحتيال، كما أغنانا عن كلّ باطل ومحرّم وضارّ، بما هو أنفع لنا منه من الحقّ، والمباح النافع... وأغنانا بوجوه التِّجارات، والمكاسب الحلال عن الرِّبا والميسر والقمار [١٥٥].

وبناء على ذلك فيمكن تصحيح هذه المعاملة لتصبح سمسرة شرعيّة وتسويقًا عاديًّا، وذلك كالتَّالي:

أوَّلاً: الفصل بين عمليَّة شراء المنتج وتسويقه، فلا يُلزم من أراد التَّسويق بالشِّراء، أو بدفع مبلغ للدّخول في التَّسويق، فاشتراط شراء المنتج شرط فاسد مخالف لمقتضى العقد.

ثانيًا: أن لا يأخذ عمولة إلاَّ عمَّن دخل من طريقه مباشرة دون من دخل من طريق غيره ممَّن هم في شبكته؛ وذلك لأنّ العمولات الَّتي تأتيه من طريق غيره من أكل أموال النَّاس بالباطل.

ثالثًا: أن تكون العمولة معلومة محدّدة، ولا يجوز له أخذ مبالغ أخرى تحت مسمَّى (حافز أو هبة)؛ لأنّ ذلك في معنى القمار المحرّم.

رابعًا: أن تباع السِّلعة بثمن المثل؛ وذلك لأنّ الزِّيادة عن ثمن المثل ليست إلاَّ مقابل الدّخول في عقد التَّسويق الشَّبكيّ، وذلك احتيال على الحرام.

فإذا تمّت هذه الشّروط انتقل العقد من كونه تسويقًا شبكيًّا إلى تسويق حرّ تجري عليه أحكام السَّمسرة الشَّرعيَّة. والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمَّا بعد:

فهذه خلاصة لأهم نتائج هذا البحث:

١ـ التَّسويق الشَّبكيّ: نظام ترويجي مباشر للّسلع والخدمات عن طريق المشترين، يمنحهم عمولات ماليَّة عن كلّ شخص يشتري من طريقهم وفق شروط معيَّنة.

٢ـ للتَّسويق الشَّبكيّ ستَّة أركان وهي: المسوِّق، المسوَّق عنه، والمسوَّق له، عمليَّة التَّسويق، المنتَج، العمولات.

٣ ـ للتَّسويق الشَّبكيّ أسماء متعدّدة، كالتَّسويق الهرمي، والتَّسويق الطَّبقيّ، والتَّسويق العنقودي.

٤ـ الفرق بين التَّسويق الهرمي والتَّسويق الشَّبكيّ، أنَّ الأَوَّل تسويق بدون منتّج، والثَّاني تسويق بمنتَج، وهذا لا أثر له في الحكم؛ لأنّ جوهر النِّظامين واحد، ووجود السِّلعة غير مقصود لذاته، بل ستار تتخفّى وراءه هذه الشَّركات؛ هربًا من الملاحقة القانونيَّة.

٥ ـ للتَّسويق الشَّبكيّ أقسام متعدِّدة، فينقسم باعتبار وجود المنتج إلى تسويق شبكي، وتسويق هرمي، وينقسم باعتبار مستوياته إلى تسويق بنظام المستويات الثُّنائيَّة، وتسويق بنظام المستويات المتعدّدة. وينقسم باعتبار العمولات إلى شركات تشترط شراء المنتَج لتحصيل العمولات، وشركات تشترط إدخال عدد معيَّن من الأعضاء وتحقيق قدر معيَّن من المبيعات، وغير ذلك. وتنقسم باعتبار نوع المنتج إلى قسمين: منتَج سلعة، ومنتج خدمة.

٦ـ هناك شركات كثيرة تعمل بنظام التَّسويق الشَّبكيّ، وكلَّما اختفت شركات نتيجة الملاحقة القانونيَّة ظهرت شركات أخرى بديلة عنها.

٧ـ اتَّفق الفقهاء المعاصرون على تحريم التَّسويق الهرمي الخالي من وجود منتَج؛ لأنَّهُ من باب الرِّبا والميسر والقمار. وكذلك اتّفقوا على جواز التَّسويق العادي إذا لم يشتمل على محرّم؛ لأنَّهُ من باب السَّمسرة الشَّرعيَّة.

٨ ـ اختلف الفقهاء المعاصرون في حكم التَّسويق الشَّبكيّ إلى قولين: قول بالتَّحريم، وهو قول جماهير العلماء والهيئات الشَّرعيَّة، وقول بالجواز، والقائلون به على اتّجاهات، منهم من أطلق الجواز، ومنهم من قيَّده بشروط وضوابط.

٩ـ سبب الخلاف في هذه المسألة يرجع إلى تكييف المسألة، فمن كيّفها على أنَّها سمسرة أو جعالة أو وكالة بأجر أو هبة، ذهب إلى الجواز، ومن كيّفها على أنَّها ربا أو قمار، أو غرر، أو غشّ وتدليس ذهب إلى تحريمها.ويرجع كذلك إلى المغلب في العقود، هل هو القصد أم ظاهر اللفظ والتصرف؟

١٠ـ استدلّ المانعون للتَّسويق الشَّبكيّ بأدلّة كثيرة من الكتاب والسُّنَّة والمعقول، حاصلها يرجع إلى أنَّ هذا العقد اشتمل على أكل أموال النَّاس بالباطل، والرِّبا، والقمار، والغرر، والضَّرر، والغش، واشتماله على بيعتين في بيعة.

١١ـ استدلّ المجيزون للتَّسويق الشَّبكيّ بأدلَّة أغلبها من القياس، كالقياس على السَّمسرة، والجعالة، والهبة، والوكالة بأجر.

١٢ـ الرَّاجح في هذه المسألة تحريم التَّسويق الشَّبكيّ لأسباب كثيرة جرى ذكرها في البحث.

١٣ـ يمكن تصحيح هذه المعاملة لتصبح تسويقًا عاديًّا، وذلك بالفصل بين عمليَّة شراء المنتَج وتسويقه، فلا يلزم المشتري بالتَّسويق، ولا يلزم المسوِّق بالشِّراء. ولا يأخذ المسوِّق عمولة إلاَّ على من دخل من طريقه وجهده هو دون طريق غيره. كما يشترط أن تكون العمولة معلومة محدّدة، وأن تباع السِّلعة بثمن المثل.

وقبل أن أطوي بساط هذا البحث أتقدم بالتوصيات التالية:

أولا: أوصي عموم المعاملين بهذا النوع من التسويق بتقوى الله تعالى، والبعد عن ما يريب إلى ما لا يريب، وفي الحلال غنية عن الحرام والمشتبه.

ثانيا: كما أوصي عموم الناس بعدم الاغترار بهذه الشركات، مهما كثفت دعاياتها،وغيرت أسماءها.

ثالثا: أوصي الجهات الرقابية – كوزارة التجارة، وجمعيات حقوق المستهلك– بمزيد من الرقابة والمنع لنشاط هذه الشركات، لا سيما وأنها سريعة الانتشار والتغلغل، والتبدل والتحول.

رابعا: أوصي الأقسام العلمية بمزيد دراسة حول القضايا الفقهية المتعلقة بالتسويق، وكذلك النوازل المتعلقة بالغرر والجهالة، لما فيها من فائدة للمجتمع بأسره.

وختامًا، فهذا ما تيسّر بحثه وتقريره حول هذه المسألة المهمَّة، فما كان من صواب فمن الله الواحد المنَّان، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشَّيطان، والله ورسوله منه بريئان.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الهوامش والتعليقات:

(١) انظر: http://ahtiajy.blogspot.com/2011/11/dxn_27.html

(٢) مقاييس اللُّغة (٣/ ١١٧).

وانظر: لسان العرب (١٠/ ١٦٧)؛ المصباح المنير (٢٩٦)؛ القاموس المحيط، (٨٩٥) مادَّة (سوق).

(٣) مبادئ التَّسويق، د. محمَّد صالح مؤذِّن (٣٠).

(٤) انظر: التَّسويق، كاترين فيو (٨)؛ مبادئ التَّسويق، د. حبيب الله تركستاني (١٩).

(٥) انظر: التَّسويق مفاهيم معاصرة، د. نظام سويدان، د. شفيق حدَّاد (٢٩).

(٦) انظر: مقاييس اللُّغة (٣/ ٢٤٢)؛ الصِّحاح (٥٣٣)؛ القاموس المحيط (٩٤٤)، مادَّة (شبك).

(٧) التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (١٤).

(٨) التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (١٤ ـ ١٥).

(٩) التَّسويق التِّجاريّ وأحكامه، د. حسين الشَّهراني (٥٠٢).

(١٠) التَّسويق الشَّبكيّ من المنظور الفقهيّ، د. أسامة الأشقر (٣ ـ ٤).

(١١) انظر مزيدًا من التَّعريفات في: حكم التَّسويق الهرمي، د. شويش المحاميد (٥)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٣٠)؛ التَّسويق الشَّبكيّ تحت المجهر، زاهر بلفقيه (١٢)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٢٢).

(١٢) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ تحت المجهر، زاهر بلفقيه (١٠).

(١٣) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٥٤)؛ التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشهراني (٥٠١).

(١٤) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، د. سامي السُّويلم (٨)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٥٤).

(١٥) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (١٦).

(١٦) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٢٧).

(١٧) انظر: المرجع السَّابق.

(١٨) انظر: المرجع السَّابق.

(١٩) انظر: التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشهراني (٥٠١).

(٢٠) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٢٧).

(٢١) انظر: المرجع السَّابق.

(٢٢) انظر: المرجع السَّابق.

(٢٣) انظر: الوساطة الماليَّة، د. محمَّد أمين بارودي (٤٠١).

(٢٤) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة (٢٨).

(٢٥) انظر: التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي.

(٢٦) انظر: التِّجارة الإلكترونيَّة، زايد دويري (٤٥).

(٢٧) انظر: التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشهراني (٥٠١).

(٢٨) انظر مثالاً على ذلك: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي، التَّسويق الشَّبكيّ، د. سامي السُّويلم، التَّسويق الشَّبكيّ من المنظور الفقهي، د. أسامة الأشقر، التَّسويق الشَّبكيّ، عبد الرَّشيد حاجي (رسالة ماجستير بجامعة المدينة العالميَّة بماليزيا)؛ التَّسويق الشَّبكيّ، محمَّد حزواني، التَّسويق الشَّبكيّ دراسة شرعيّة، رياض فرج عبدات، التَّسويق الشَّبكيّ في ميزان القواعد الشَّرعيَّة، د. حسين شحاته، التَّكييف الفقهي لشركات التَّسويق الشَّبكيّ، إبراهيم الضّرير، مزيل الالتباس عن حكم التعامل مع شركة بزناس، مرهف سقا، التِّجارة الإلكترونيَّة، علي أبو العزّ (٢٦٢)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤١٧)؛ قرار مجمع الفقه السّوداني (ضمن فتاوى التَّسويق ١٣٥)، وغيرها.

(٢٩) انظر: حكم التَّسويق الهرمي، د. شويش المحاميد، التَّسويق التِّجاريّ وأحكامه، د. حسين الشَّهراني (٥٠١)؛ فقه المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. سعد الخثلان (٢١٣)؛ حقائق حول التَّسويق الهرمي وحكمه، د. فوز كردي، وغيرها.

(٣٠) انظر: فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء في السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)، وتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٥ هـ، والفتوى رقم (٤٧٨٨) منشورة في فتاوى اللجنة الدائمة ١٥/ ٢١٣ ـ ٢١٦؛ التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي وأحكامه في الفقه الإسلامي، د. محمَّد اليمني؛ شرح عمدة الفقه، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين (٢/ ٨٣٣)؛ مسائل معاصرة ممَّا تعمّ به البلوى في فقه المعاملات، د. نايف جريدان (٤٢٦)؛ التسويق الشبكي (الهرمي) من وجهة نظر إسلامية، خالد الجهني http://www.alukah.net/library/0/76823/

(٣١) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ تحت المجهر، زاهر بلفقيه (٨ ـ ٩)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٣٦).

(٣٢) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٤٧ ـ ٥٢)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبدالرحمن الخميس (٤٣٧).

(٣٣) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، د. سامي السُّويلم (٣)؛ التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (١٥).

(٣٤) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (١٦).

(٣٥) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (١٥).

(٣٦) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ تحت المجهر، زاهر بلفقيه (٧).

(٣٧) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، د. أسامة الأشقر (٤).

(٣٨) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٣٠ ـ ٣١).

ونظام (بونزي) كان له أكبر الأثر في الأزمة الماليَّة العالميَّة الأخيرة، حيث انكشف أكبر مخطَّط هرمي في التَّاريخ والَّذي كان يديره (بيرنارد مادوف) رئيس بورصة ناسداك، والَّذي تجاوز

حجمه ٦٠ مليار دولار، وكان انهياره سببًا من أسباب نشوء هذه الأزمة الماليَّة الَّتي عصفت باقتصاديَّات دول كثيرة.

انظر: الأزمة الماليَّة العالميَّة، د. علي القره داغي (٩١)؛ التَّسويق الشَّبكيّ، د. سامي السُّويلم (٢).

(٣٩) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٣٢)؛ حكم التَّسويق الهرمي، د. شويش المحاميد، (٦).

(٤٠) لم أجد لهذه الشركة موقعا على الإنترنت ويظهر أنه أغلق،وانظر معلومات عنها في: التَّكييف الفقهي لشركات التَّسويق الشَّبكيّ، إبراهيم الضّرير (١)؛ التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٩٣)؛ التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥٠٢).

(٤١) لم أجد للشَّركة موقعًا على الإنترنت، ويبدو أنَّها أغلقته.

ولمزيد من المعلومات عنها، انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٨٩)؛ التَّسويق التِّجاريّ وأحكامه، د. حسين الشَّهراني (٥٠٨)؛ التِّجارة الإلكترونيَّة، علي أبو العزّ (٢٦٥).

(٤٢) لم أجد للشَّركة موقعًا على الإنترنت، ويظهر أنَّها أغلقته.

ولمزيد من المعلومات عنها، انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٩١)؛ التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥١٢)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٣٦).

(٤٣) انظر موقع هذه الشَّركة على الإنترنت www.myzadly.com.

(٤٤) الأساي: فاكهة صغيرة الحجم، كرويَّة الشَّكل، تشبه العنب، إلاَّ أنَّها أصغر منه قليلاً، تنبت في البرازيل على ضفاف نهر الأمازون، ولها عدّة فوائد صحيّة لاحتوائها على مضادّات عالية للأكسدة، وعلى فيتامينات ومكمّلات غذائيَّة، ومن فوائدها: أنَّها تساعد على تقوية جهاز المناعة، ومحاربة الخلايا السَّرطانيَّة، وزيادة الطَّاقة، وتحسين الهضم، وغير ذلك. انظر: الموسوعة الحرة (ويكبيديا) https://ar.wikipedia.org

(٤٥) انظر: موقع الشَّركة على الإنترنت http://www.opes-store.com/en/

(٤٦) انظر: موقع الشَّركة على الإنترنت. http://shirktna-bola.blogspot.com/

(٤٧) انظر: التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥١٤)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٤٥ ـ ٤٧)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٢٤).

(٤٨) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، د. أسامة الأشقر (٤)؛ التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (١٥).

(٤٩) انظر: الوساطة الماليَّة، د. محمَّد أمين بارودي (٤١٨).

(٥٠) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، د. أسامة الأشقر (٨).

(٥١) انظر: فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)، وتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٥ هـ، انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ١٥/ ٢١٣ ـ ٢١٦.

(٥٢) انظر: فتوى مجمع الفقه الإسلامي بالسُّودان رقم (٣/ ٥٤)، وتاريخ ١٧/ ٤/ ١٤٢٤ هـ.
وهي منشورة في موقع المجمع على الإنترنت
http://aoif.gov.sd/ao/uploads/ftawy/eco/1.pdf
ومنشورة في كتاب ((فتاوى التَّسويق)) إصدار مجموعة البركة المصرفيَّة (١٣٥ ـ ١٤٠)، واعتنى بتحقيقها وشرحها والتَّعليق عليها الشَّيخ علي حسن عبد الحميد في كتاب ((تعريف عقلاء النَّاس بحكم معاملة بزناس)) (١١ ـ ٣٣).

(٥٣) انظر الفتوى مطولة في موقع دار الإفتاء المصرية
http://dar-alifta.org.eg/AR/ViewFatwa.aspx?ID=3861

(٥٤) انظر: فتوى دار الإفتاء الأردنيَّة رقم (٦٤٤)، وتاريخ ٢٢/ ٤/ ٢٠١٠، وهي منشورة على موقع دار الإفتاء على الإنترنت.
http://www.aliftaa.jo/Question.aspx?QuestionId=644#.Vmcew3arRD8

(٥٥) انظر: فتوى دار الإفتاء والتَّدريس الدِّيني بحلب بتاريخ ٣٠/ ٨/ ١٤٢٨ هـ، وهي منشورة على موقعهم على شبكة الإنترنت.
http://www.eftaa-aleppo.com/index.jsp?inc=21&type=1&id=113

(٥٦) نسب ذلك لهم زاهر بلفقيه في: التَّسويق الشَّبكيّ تحت المجهر (٢٠). ولم أجده في موقعهم على الشبكة العنكبوتية.

(٥٧) انظر: فتوى مركز الإمام الألباني رقم (١٠٧/ ق/ ٦٦) وتاريخ (٢٦/ ٨/ ١٤٢٤ هـ)، وهي مصوّرة ومنشورة في آخر كتاب: تعريف عقلاء النَّاس بحكم معاملة بزناس (٣٤).

(٥٨) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، د. أسامة الأشقر (١٢)؛ التِّجارة الإلكترونيَّة، علي أبو العزّ (٢٦٩).

(٥٩) ممَّن قال بذلك من العلماء المعاصرين:

د. عبد الملك السَّعدي في كتابه مسائل فقهيَّة معاصرة (١٤٠)؛ د. محمَّد سعيد البوطي (وقد نسبه له د. محمد أمين بارودي في الوساطة المالية (٤١٨) ولم أستطع الوصول إليها في موقعه على الإنترنت لإغلاقه)؛ د. أحمد الحجّي الكردي (انظر شبكة الفتاوى الشرعية بإشرافه http://www.islamic-fatwa.com)؛ د. علي محيي الدِّين القره داغي (وقد نسبه له د. أسامة الأشقر في التسويق الشبكي(١٢)، وعلي أبو العز في التجارة الألكترونية (٢٦٩)، وأحمد قرني في التسويق بعمولة هرمية(٦٥)، ولم أجده في موقعه على الإنترنت)؛ د. عبد الله الطيَّار (في فتوى له على موقعه الرسمي منار الإسلام http://www.m-islam.com/news.php?action=show&id=2360)؛ د. سعد الخثلان في كتابه فقه المعاملات الماليَّة المعاصرة (٢١٩)؛ د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في كتابه شرح العمدة (٢/ ٨٣٣)؛ د. علي السَّالوس (كما في موقعه على الإنترنت http://www.alisalous.com/fatwa/category/54)؛ د. محمود عكَّام مفتي حلب (كما في موقع دار الإفتاء بحلبhttp://www.eftaa-aleppo.com/)؛ والشَّيخ محمد بن صالح المنجّد (كما في موقع الإسلام سؤال وجواب بإشرافه http://islamqa.info/ar/179122)؛ د. أحمد السَّهلي (كما في موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/fatwa/f41.htm)؛ والشَّيخ عبد الحيّ يُوسف (كما في موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/fatwa/f41.htm)؛ والشَّيخ حامد العلي(كما في موقعه على الإنترنت http://www.h-alali.net/f_open.php?id=fc3a6486-

dc2d-1029-a62a-0010dc91cf69)؛ د.علاء الدِّين زعتري (انظر:حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني٦٦)

وممَّن رجَّحه من الباحثين:

الشَّيخ إبراهيم الضَّرير في التَّكييف الفقهي لشركات التَّسويق الشَّبكيّ (٨ ـ ٩)؛ د. سامي السُّويلم في التَّسويق الشَّبكيّ في ضوء قواعد المبادلات الشَّرعيَّة (٢)؛ الشَّيخ علي حسن عبد الحميد في تعريف عقلاء النَّاس بحكم معاملة بزناس (٧)؛ والشَّيخ مرهف سقّا في مزيل الإلتباس عن حكم التَّعامل مع شركة بزناس (٦٨)؛ والشَّيخ بندر الذِّيابي في التَّسويق الشَّبكيّ تكييفه وأحكامه الفقهيَّة (٦٣)؛ د. حسين الشهراني في التَّسويق التِّجاريّ (٥٨٦)؛ د. حسين شحاتة في التسويق الشبكي في ميزان القواعد الشرعية http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=4855؛ د. شويش المحاميد في حكم التَّسويق الهرمي (١٦)؛ د. أسامة الأشقر في التَّسويق الشَّبكيّ من المنظور الفقهي (١٩)؛ د. محمَّد اليمني في التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي (٣٦)؛ د. عبد الرَّحمن الخميس في المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة (٤٥٨)؛ د. محمود إرشيد في مخاطر السَّمسرة (٢٦٦)؛ والباحث أحمد سمير قرني في حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة (٦٦)؛ د. رياض عبدات في التسويق الشبكي دراسة شرعية (٢٤٩)؛ د. وصفي أبو زيد في التسويق الشبكي في ضوء مقاصد البيوع(مقال منشور بمجلة الوعي الأسلامي بالكويت)، وغيرهم.

(٦٠) منهم: الدّكتور وهبة الزُّحيلي (كما نسب ذلك له أحمد قرني في حكم التسويق بعمولة هرمية (٥٧)، ولم أجد الفتوى في موقعه لإغلاقه)؛ والشَّيخ عبد الكريم الكحلوت (مفتي غزَّة) في فتواه بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٤٢٥ هـ، (وقد نسب ذلك له: د. ذيب موسى ناصيف في بحثه التِّجارة الإلكترونيَّة ١٨)؛ د. وجيه الشيمي في بحثه التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة ٢/ ٥٧٢).

(٦١) ممَّن ذهب إلى ذلك: لجنة الفتوى بالأزهر (بناء على فتوى خطيَّة منشورة بآخر كتاب: تعريف عقلاء النَّاس ص ٣٥)؛ والدّكتور عبد الله الحمادي في كتابه نظريَّة السَّمسرة (٢/ ٩٧٣)؛ والباحث زايد الدويري في كتابه بحوث فقهيَّة (٥٨، ٦٣، ٧٠).

(٦٢) ممَّن ذهب إلى ذلك: الدّكتور سلمان العودة كما نسب ذلك له: علي أبو العزّ في كتابه التِّجارة الإلكترونيَّة (٢٨٠).ولم أجد هذه الفتوى في موقع (الإسلام اليوم)، وذلك لإغلاق قسم الفتاوى فيه.

(٦٣) ممَّن ذهب إلى ذلك الدّكتور منذر قحف كما نسب ذلك له د. عبدالرحمن الخميس في كتابه المخاطرة في المعاملات المالية المعاصرة (٤٥٧).

(٦٤) ذهب إلى ذلك الشَّيخ محمَّد تقيّ العثماني في كتابه فقه البيوع على المذاهب الأربعة وتطبيقاته المعاصرة (٢/ ٨١٣)

(٦٥) ممَّن ذهب إلى ذلك: د. نايف جريدان في كتابه مسائل معاصرة ممَّا تعمّ به البلوى في فقه المعاملات (٤٤٤).

(٦٦) انظر هذه القاعدة في:الأشباه والنظائر، السيوطي (٣٠٤)؛ الأشباه والنظائر، ابن نجيم (٥٧)؛ مجلّة الأحكام العدليَّة، مادَّة (٣)؛ شرح القواعد الفقهيّة، أحمد الزرقا (٥٥).

(٦٧) انظر: فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)، وتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٥ هـ.

(٦٨) انظر: مسائل معاصرة ممَّا تعمّ به البلوى في فقه المعاملات، د. نايف جريدان (٤٤١)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٧٥).

(٦٩) انظر: التِّجارة الإلكترونيَّة، علي أبو العزّ (٢٧٧) نقلاً عن الباحث إبراهيم الكلثم.

(٧٠) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (٤٥).

(٧١) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ في ضوء قواعد المبادلات الشَّرعيَّة، د. سامي السُّويلم (٨)؛ التسويق الشبكي في ميزان القواعد الشرعية د. حسين شحاتة

.http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=4855

(٧٢) انظر هذه القاعدة في: زاد المعاد، ابن القيّم (٥/ ٣٧٨)؛ مجلّة الأحكام العدليَّة، مادَّة (٤٢)؛ موسوعة القواعد الفقهية، د. محمَّد صدقي البورنو (٦/ ٣٨٢).

(٧٣) انظر: المغني، ابن قدامة (٦/ ٥١)؛ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، د. فيصل الوعلان (٤/ ٢١).

(٧٤) انظر: فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)، وتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٥ هـ، وفتوى مجمع الفقه السُّوداني رقم (٣/ ٢٤) وتاريخ ١٧/ ٤/ ١٤٢٤ هـ.

(٧٥) انظر: التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي (٥٥٢)؛ مسائل معاصرة ممَّا تعمّ به البلوى في فقه المعاملات، د. نايف جريدان (٤٤٢).

(٧٦) أخرجه البخاري رقم (٢٢٣٦)؛ ومسلم رقم (١٥٨١).

(٧٧) معالم السُّنن (٥/ ١٢٩)، وانظر: بيان الدَّليل على بطلان التَّحليل، ابن تَيْمِيَّة (٩١).

(٧٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه رقم (٢٠٤٠٩). ومن طريقه ابن حزم في المحلّى (٩/ ١٠٦)، وذكر ابن القيِّم في تهذيب السُّنن (٥/ ١٠١) أنَّ هذا الأثر ثابت عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

(٧٩) انظر: التسويق الشبكي دراسة شرعية، د.رياض عبدات (٢٦٢).

(٨٠) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٨٣).

(٨١) انظر: فتوى مجمع الفقه السُّوداني رقم (٣/ ٢٤)، وتاريخ ١٧/ ٤/ ١٤٢٤ هـ. ضمن كتاب: تعريف عقلاء النَّاس بحكم معاملة بزناس (١٩ ـ ٢٣)؛ التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٧٤).

(٨٢) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٧٩).

(٨٣) انظر: التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي (٥٥٨).

(٨٤) انظر: شرح وافٍ عن شركة DXN والتسويق الشبكي، للباحث حمزة البلوشي
http://ahtiajy.blogspot.com/2011/11/dxn_27.html

(٨٥) انظر: حكم التَّسويق الهرمي، د. شويش المحاميد، (١٠).

(٨٦) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ في ضوء قواعد المبادلات الشَّرعيَّة، د. سامي السُّويلم (٨).

(٨٧) انظر: المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٥٠).

(٨٨) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (٤١).

(٨٩) انظر: المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (١١٤).

(٩٠) انظر: القمار حقيقته وأحكامه، سليمان الملحم (٤٥٣).

(٩١) تقرير القواعد وتحرير الفوائد، المعروف بقواعد ابن رجب (٣/ ١٥)؛ القواعد والأصول الجامعة، السَّعدي(٨٠)

(٩٢) أخرجه مسلم برقم (١٥١٣).

(٩٣) انظر: المبسوط، السرخسي (١٣/ ١٩٤)؛ مجموع الفتاوى، ابن تَيْمِيَّة (٢٩/ ٢٢).

(٩٤) انظر: فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)، وتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٥ هـ؛ التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥١٩).

(٩٥) انظر: مسائل معاصرة ممَّا تعمّ به البلوى في فقه المعاملات، د. نايف جريدان (٤٤١)؛ التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي (٥٤٩).

(٩٦) انظر: حكم التَّسويق الهرمي، د. شويش المحاميد، (١٠).

(٩٧) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (٤٦).

(٩٨) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (١١).

(٩٩) أخرجه الدَّار قطني رقم (٢٨٨)؛ والحاكم في مستدركه رقم (٢٣٤٥)؛ والبيهقي في السُّنن الكبرى رقم (٦/ ١١٤).

وفي الباب عن ابن عبّاس وعبادة بن الصَّامت وأبي هريرة وعائشة وثعلبة بن مالك وغيرهم ﷺ.

والحديث صحّحه الحاكم ووافقه الذَّهَبيّ (٢/ ٦٦)؛ وحسّنه النَّووي في الأربعين، وكذا ابن الصَّلاح وابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٠٧ ـ ٢١١)؛ والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٤٠٨).

(١٠٠) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ من المنظور الفقهي، د. أسامة الأشقر (١٢ ـ ١٤)؛ الوساطة الماليَّة، د. محمَّد أمين بارودي (٢٣٢ـ ٢٣٣)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٥٢).

(١٠١) انظر: التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي (٥٧٣)؛ نظريَّة السَّمسرة، د. عبد الله الحمادي (٢/ ٩٧٣).

(١٠٢) انظر: قواعد الأحكام، العز بن عبدالسَّلام (١/ ١٣٦)؛ شرح مختصر الرَّوضة، الطوفي (٣/ ٢١٤).

(١٠٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل (٢/ ٦٨٢).

(١٠٤) انظر هذه القاعدة في: الأشباه والنظائر، ابن نجيم (٩٦)؛ مجلَّة الأحكام العدليَّة، مادَّة (٢٦)؛ شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا (١٩٧).

(١٠٥) أخرجه الترمذي رقم (١٢٣١)؛ والنسائي رقم (٤٦٤٦)؛ وابن حبّان رقم (٤٩٧٣).

وقال عنه الترمذي: ((حديث حسن صحيح))؛ وصحّحه ابن حبّان، وابن حزم في المحلَّى (٩/ ١٦)؛ د. عبد الحقّ الإشبيلي في الأحكام الصُّغرى (٦٧٦)؛ والبغوي في شرح السُّنَّة (٨/ ١٤٢)؛ والألباني في صحيح الجامع الصَّغير (٦٩٤٣)، وفي الباب عن ابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

(١٠٦) انظر: التَّكييف الفقهي لشركات التَّسويق الشَّبكيّ، إبراهيم الضّرير (٩)؛ حكم التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (٣٠)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٩٣).

(١٠٧) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٩/ ٤٣٢)؛ تهذيب السنن، ابن القيم (٥/ ١٠٦)؛ المختارات الجليَّة من المسائل الفقهيَّة، السعدي (٨٨)؛ الشرح الممتع، ابن عثيمين (٨/ ٢٣٩).

(١٠٨) تهذيب السُّنن (٥/ ١٠٩).

(١٠٩) انظر: استحداث العقود، محمَّد حزواني (١١٤).

(١١٠) أخرجه مسلم برقم (١٠١).

(١١١) انظر: فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)، وتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٥ هـ؛ التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥٢٠).

(١١٢) انظر: حكم التَّسويق الهرمي، د. شويش المحاميد، (١٠).

(١١٣) انظر: تعريف عقلاء النَّاس بحكم معاملة بزناس (١٨).

(١١٤) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٤٤).

(١١٥) انظر: مخاطر السَّمسرة، د. محمود إرشيد (٢٢٥)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد سمير قرني (٦٨)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٥٣).

(١١٦) انظر: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد سمير قرني (٧٩).

(١١٧) انظر هذه القاعدة في: مجموع الفتاوى (٢٩/ ٣٢، ١٤٦، ٤٦٦)؛ إعلام الموقّعين(١/ ٣٤٤)؛ الأشباه والنظائر، ابن السّبكيّ (١/ ٢٥٣)؛ الأشباه والنظائر، ابن نجيم (٢٠٧).

(١١٨) انظر: التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي (٥٦٠)؛ التِّجارة الإلكترونيَّة، زايد دويري، ضمن كتابه بحوث فقهيَّة (٥٨).

(١١٩) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (٤٢، ٤٣)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٥٦).

(١٢٠) المبسوط، السرخسي (١٥/ ١١٥).

وانظر إلى تعريفات أخرى للسمسار في: الوساطة التِّجاريَّة في المعاملات الماليَّة، شيخنا د. عبد الرَّحمن الأطرم (٤٥ ـ ٤٧).

(١٢١) انظر: نظريَّة السَّمسرة، د. عبد الله الحمادي (٢/ ٩٧٦)؛ التِّجارة الإلكترونيَّة، زايد دويري، ضمن كتابه بحوث فقهيَّة (٥٨).

(١٢٢) انظر هذه الفروق في:

فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)، وتاريخ ١٤/ ٣/ ١٤٢٥ هـ، فتوى مجمع الفقه السُّوداني رقم (٣/ ٢٤)، وتاريخ ١٧/ ٤/ ١٤٢٤ هـ. ضمن كتاب: تعريف عقلاء النَّاس بحكم معاملة بزناس (٢٦)؛ التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الدِّيابي (٣٤ ـ ٣٥)؛ التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥٢٣ ـ ٥٢٧)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٣٩ ـ ٤٤٢).

(١٢٣) انظر: مغني المحتاج، الشربيني (٢/ ٤٢٩).

(١٢٤) انظر: التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي (٥٧١)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد سمير قرني (٥٧).

(١٢٥) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الدِّيابي (٤١)؛ الوساطة الماليَّة، د. محمَّد أمين بارودي (٤١٧)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٤٣ ـ ٤٤٤).

(١٢٦) وهو مذهب الشَّافعيّة والحنابلة، أمَّا المالكيَّة فالجعالة عندهم عقد جائز قبل شروع العامل، أمَّا بعد الشّروع فهو لازم في حقّ الجاعل دون العامل.

وأمَّا الحنفيَّة فلا يرون أنَّ الجعالة عقد مستقلّ أصلاً، وإنَّما أجيز استحسانًا على غير القياس في صور معيَّنة. انظر: بدائع الصنائع، الكاساني (٦/ ٢٠٣)؛ الذخيرة، القرافي (٦/ ١٧)؛ نهاية المحتاج، الرملي (٥/ ٤٧٦)؛ كشَّاف القناع، البهوتي (٤/ ٢٠٦).

(١٢٧) انظر: عقد الجواهر الثَّمينة، ابن شاس (٣/ ٥)؛ مغني المحتاج (٢/ ٤٢٩)؛ كشَّاف القناع (٤/ ٢٠٢).

(١٢٨) انظر: شرح الخرشي (٧/ ٧٣)؛ نهاية المحتاج (٤/ ٣٤٩)؛ كشَّاف القناع (٤/ ٢٠٣).

(١٢٩) انظر: عقد الجواهر الثَّمينة (٣/ ٧)؛ مغني المحتاج (٢/ ٤٢٩)؛ كشَّاف القناع (٤/ ٢٠٣).

(١٣٠) انظر: البحر الرائق، ابن نجيم (٧/ ٣٠٩)؛ حاشية ابن عابدين (٤/ ٥٣٠).

(١٣١) انظر: نظريَّة السَّمسرة، د. عبد الله الحمادي (٢/ ٩٧٧).

(١٣٢) انظر: التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥٣١).

(١٣٣) انظر: المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٤٥).

(١٣٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٢٩/ ٣٣٥)؛ فتح الباري، ابن حجر (٥/ ٢٦١).

(١٣٥) انظر: فتوى اللجنة الدائمة بهيئة كبار العلماء بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة رقم (٢٢٩٣٥)؛ التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥٣٢).

(١٣٦) انظر: بدائع الصنائع، الكاساني (٦/ ٣٣)؛ الإنصاف، المرداوي (٥/ ٣١٨).

(١٣٧) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٤٩)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد سمير قرني (٥٦).

(١٣٨) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٥٠).

(١٣٩) انظر: المغني، ابن قدامة (٧/ ٢٠٥)؛ نهاية المحتاج، الرملي (٥/ ٢٣).

(١٤٠) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ، بندر الذِّيابي (٥٠).

(١٤١) انظر: نظريَّة السَّمسرة، د. عبد الله الحمادي (٢/ ٩٧٣).

(١٤٢) انظر: التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي، د. محمَّد اليمني (٤٣).

(١٤٣) انظر: التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه الشيمي (٥٧٣)؛ نظريَّة السَّمسرة، د. عبد الله الحمادي (٢/ ٩٧٣).

(١٤٤) انظر: المخاطرة في المعاملات المالية المعاصرة، د. عبدالرحمن الخميس (٤٦٠)؛ التسويق الشبكي في ميزان القواعد الشرعية، د. حسين شحاتة.

http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=4855

(١٤٥) انظر: فقه المعاملات الماليَّة، د. رفيق المصري (٣٠٧)؛ التسويق الشبكي دراسة شرعية، د. رياض عبدات (٢٦٧).

(١٤٦) جزء من فتوى دار الإفتاء والتَّدريس الدِّيني بحلب، ملحق بكتاب: حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (١٢١).

(١٤٧) شبهات حول التَّسويق الشَّبكيّ في موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية: http://www.kantakji.com/ .

وانظر: التسويق الشبكي دراسة شرعية، د. رياض عبدات (٢٦٣).

(١٤٨) حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (١٠١).

(١٤٩) انظر: http://www.secp.gov.pk/otherlinks/Biznas/Biznas.com.htm

(١٥٠) انظر: http://www.rcmp-grc.gc.ca/scams/pyramid.htm

(١٥١) انظر: حكم التسويق بعمولة هرمية (١٠٠).

(١٥٢) انظر: موقع وزارة التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية

https://mci.gov.sa/MediaCenter/News/Pages/n01Sep.aspx?AspxAutoDetectCookieSupport=1

(١٥٣) انظر: موقع وزارة الصناعة والتجارة بمملكة البحرين

http://www.moic.gov.bh/Ar/Main/News/Pages

(١٥٤) انظر: التَّسويق التِّجاريّ، د. حسين الشَّهراني (٥١٦ ـ ٥١٧ ـ ٥٣١)؛ حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد قرني (٣٣، ٥٦)؛ المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن الخميس (٤٥٨ ـ ٤٥٩)، مزيل الالتباس عن حكم التعامل مع شركة بزناس، مرهف سقا

http://www.kantakji.com/media/174901/biznas.pdf

(١٥٥) إغاثة اللّهفان (٢/ ٦٩)؛ وانظر: إعلام الموقّعين (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

ثبت المصادر والمراجع

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، علي بن بلبان الفارسي (٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، عام ١٤١٤هـ.

٢. الأحكام الشرعية الصُّغرى، عبد الحقّ الإشبيلي (٥٨١)، تحقيق: أم محمد الهليس، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، عام ١٤٣١هـ.

٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، الطبعة الأولى، بيروت: المكتب الإسلامي، عام ١٣٩٩هـ.

٤. الأزمة الماليَّة العالميَّة، د. علي محي الدين القره داغي، الطبعة الأولى، بيروت: دار البشائر الإسلامية، عام ١٤٣٠هـ.

٥. استحداث العقود، محمد حزواني، الطبعة الأولى، دمشق: دار النهضة، عام ١٤٢٧هـ.

٦. الأشباه والنظائر، زين الدين بن إبراهيم ابن نجيم (٩٧٠)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر، عام ١٤٠٣هـ.

٧. الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١)، تحقيق: محمد المنتصر بالله البغدادي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، عام ١٤٠٧هـ.

٨. الأشباه والنظائر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١١هـ.

٩. إغاثة اللّهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الفكر.

١٠. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي (٨٨٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

١١. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم ابن نجيم (٩٧٠هـ)، الطبعة الثالثة، بيروت: دار المعرفة، عام ١٤٣١هـ.

١٢. بحوث فقهيَّة، زايد نواف الدويري، الطبعة الأولى،عمّان: دار يافا، ٢٠٠٧ م.

١٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود الكاساني (٥٨٧هـ)، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤٠٦هـ.

١٤. بيان الدَّليل على بطلان التَّحليل، أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة (٧٢٨هـ)، تحقيق: فيحان المطيري، الطبعة الثانية، مصر: مكتبة لينة، عام ١٤١٦هـ.

١٥. التِّجارة الإلكترونيَّة وأحكامها في الفقه الإسلامي، علي محمد أبو العزّ، الطبعة الأولى، عمّان: دار النفائس، عام ١٤٢٨هـ.

١٦. التَّسويق، كاترين فيو، ترجمة: وردية راشد، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، عام ١٤٢٨هـ.

١٧. التَّسويق التِّجاريّ وأحكامه في الفقه الإسلامي، د. حسين بن معلوي الشَّهراني، الطبعة الأولى، الرياض: دار التدمرية، عام ١٤٣١هـ.

١٨. التَّسويق الشَّبكيّ تحت المجهر، زاهر سالم بلفقيه، بحث منشور بموقع صيد الفوائد saaid.net/book/12/4677.pdf

١٩. التَّسويق الشَّبكيّ تكييفه وأحكامه الفقهية، بندر بن صقر الذِّيابي، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٤٢٥هـ. (غير مطبوع).

٢٠. التَّسويق الشَّبكيّ دراسة شرعيّة، د.رياض فرج عبدات، بحث منشور بمجلة جامعة الناصر، العدد الثاني، يناير ٢٠١٤م.

٢١. التَّسويق الشَّبكيّ في ضوء قواعد المبادلات الشرعية، د. سامي بن إبراهيم السُّويلم، بحث مقدم لندوة مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة، عام ١٤٣٣هـ. (غير مطبوع).

٢٢. التسويق الشبكي في ضوء مقاصد البيوع، د. وصفي عاشور أبو زيد. مقال بمجلة الوعي الإسلامي بالكويت، العدد (٥٥٣) أغسطس ٢٠١١م.

٢٣. التَّسويق الشَّبكيّ في ميزان القواعد الشَّرعيَّة، د. حسين شحاته، بحث منشور في موقع الملتقى الفقهي.:/ / fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=4855

٢٤. التَّسويق الشَّبكيّ من المنظور الفقهي، د. أسامة عمر الأشقر، بحث منشور في مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات، المجلد الثامن، العدد الأول، عام ١٤٢٧هـ.

٢٥. التسويق الشبكي (الهرمي) من وجهة نظر إسلامية، خالد محمود الجهني، بحث منشور بموقع الألوكة http://www.alukah.net/library/0/76823/

٢٦. التَّسويق الشَّبكيّ والهرمي وأحكامه في الفقه الإسلامي، د. محمَّد بن عبد العزيز اليمني،الطبعة الأولى، الرياض: دار كنوز إشبيليا، عام ١٤٣٤هـ.

٢٧. التَّسويق مفاهيم معاصرة، د. نظام موسى سويدان، د. شفيق إبراهيم حدَّاد، عمّان: دار الحامد، عام ٢٠٠٦م.

٢٨. تعريف عقلاء النَّاس بحكم معاملة بزناس وما شابهها في الفرع والأساس، علي حسن عبد الحميد، الأردن: الدار الأثرية، دار الجنان، ٢٠٠٤ م.

٢٩. تقرير القواعد وتحرير الفوائد، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، الطبعة الأولى، الخبر: دار ابن عفان، عام ١٤١٩ هـ.

التَّكييف الفقهي لشركات التَّسويق الشَّبكيّ، إبراهيم الضّرير، بحث منشور في شبكة المشكاة الإسلامية.http://ftp.meshkat.net/node/23060

٣٠. التَّكييف الفقهي للتَّعامل مع الشَّركات العنقوديَّة، د. وجيه عبد القادر الشيمي، بحث منشور بحولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، السنة الثانية، العدد الثاني، عام ١٤٢٨هـ.

٣١. تلخيص المستدرك، محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، مطبوع بهامش المستدرك للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١١هـ.

٣٢. تهذيب السُّنن، محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، وأحمد شاكر، القاهرة: مكتبة السنة المحمدية، عام ١٣٦٨هـ.

٣٣. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، الطبعة السادسة، بيروت: مؤسسة الرسالة، عام ١٤١٥هـ.

٣٤. حقائق حول التَّسويق الهرمي وحكمه، د. فوز كردي، مقال منشور بموقع طريق الإسلام http://ar.islamway.net

٣٥. حكم التَّسويق الهرمي في الفقه الإسلامي، د. شويش هزاع المحاميد، بحث منشور بمجلة مؤتة للدراسات والبحوث، العدد الرابع، عام ٢٠١٢ م.

٣٦. حكم التَّسويق بعمولة هرميَّة، أحمد سمير قرني، الطبعة الأولى، عمّان: دار النفائس، عام ١٤٣٣هـ.

٣٧. الذخيرة، أحمد بن إدريس القرافي (٦٨٤هـ)، تحقيق: د. محمد حجي وآخرين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، عام ١٩٩٤م.

٣٨. رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين ابن عابدين (١٢٥٢هـ)، الطبعة الثانية، بيروت: دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ.

٣٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، عام ١٤٣٢هـ.

٤٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق: عزت الدعاس، تركيا: المكتبة الإسلامية.

٤١. سنن الدَّار قطني، علي بن عمر الدار قطني (٣٨٥هـ)، تحقيق: عبد الله هاشم يماني، القاهرة: دار المحاسن للطباعة، عام ١٣٨٦هـ.

٤٢. السنن الصغرى، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، بيروت: دار البشائر الإسلامية، عام ١٤٠٩هـ.

٤٣. السُّنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١٤هـ.

٤٤. شبهات حول التَّسويق الشَّبكيّ، د. حسين شحاتة، مقال منشور بموقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية. http://www.kantakji.com/fatawa

٤٥. شرح الخرشي على مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشي (١١٠١هـ)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

٤٦. شرح السُّنَّة، الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، بيروت: المكتب الإسلامي، عام ١٤٠٣هـ.

٤٧. شرح عمدة الفقه، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة الرشد، عام ١٤٢٩هـ.

٤٨. شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا (١٣٥٧هـ)، الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم، عام ١٤٠٩هـ.

٤٩. شرح مختصر الرَّوضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي (٧١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، عام ١٤١٠هـ.

٥٠. الشرح الممتع على زاد المستقنع، الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، الطبعة الأولى، الدمام: دار ابن الجوزي، عام ١٤٢٢هـ.

٥١. شرح وافٍ عن شركة DXNوالتسويق الشبكي، حمزة البلوشي

http://ahtiajy.blogspot.com/2011/11/dxn_27.html

٥٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل، محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف باين قيم الجوزية (٧٥١ هـ)، تحقيق: عمر الحفيان، الرياض: مكتبة العبيكان، عام ١٤٢٠هـ.

٥٣. الصِّحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق: خليل شيحا، الطبعة الرابعة، بيروت: دار المعرفة، عام ١٤٣٣هـ.

٥٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الرابعة، القاهرة: المكتبة السلفية، عام ١٤٠٨هـ.

٥٥. صحيح الجامع الصَّغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، الطبعة الثانية، بيروت: المكتب الإسلامي، عام ١٤٠٦هـ.

٥٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (٢١٦هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

٥٧. عقد الجواهر الثَّمينة في مذهب عالم المدينة، عبد الله بن نجم ابن شاس (٦١٦هـ)، تحقيق: د. محمد أبو الأجفان، وعبدالحفيظ منصور، الطبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، عام ١٤١٥هـ.

٥٨. فتاوى التَّسويق،جمع وتنسيق: د. عبد الستار أبو غدة، إصدار مجموعة البركة المصرفيَّة.

٥٩. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع ترتيب: أحمد الدويش، الطبعة الأولى، الرياض: دار العاصمة، عام ١٤١١هـ.

٦٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الرابعة، القاهرة: المكتبة السلفية، عام ١٤٠٨هـ.

٦١. فقه البيوع على المذاهب الأربعة مع تطبيقاته المعاصرة مقارنا بالقوانين الوضعية،محمَّد تقيّ العثماني، الطبعة الأولى، كراتشي: مكتبة معارف القرآن، عام ١٤٣٦هـ.

٦٢. فقه المعاملات الماليَّة، د. رفيق يونس المصري، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، عام ١٤٢٦هـ.

٦٣. فقه المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. سعد بن تركي الخثلان، الطبعة الثانية، الرياض: دار الصميعي، عام ١٤٣٣هـ.

٦٤. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ)، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، عام ١٤٠٧هـ.

٦٥. القمار حقيقته وأحكامه، سليمان بن احمد الملحم، الطبعة الأولى، الرياض: دار كنوز إشبيليا، عام ١٤٢٩هـ.

٦٦. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (٦٦٠هـ)، تحقيق: د. نزيه حماد، د. عثمان ضميرية، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، عام ١٤٢١هـ.

٦٧. القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: د. خالد المشيقح، الطبعة الأولى، الدمام: دار ابن الجوزي، عام ١٤٢١هـ.

٦٨. كشَّاف القناع عن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي (١٠٥١هـ)، بيروت: عالم الكتب، عام ١٤٠٣هـ.

٦٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر، عام ١٤١٤هـ.

٧٠. مبادئ التَّسويق، د. حبيب الله محمد رحيم التركستاني، جدة: دار إعلام، عام ١٤٢٧هـ.

٧١. مبادئ التَّسويق، د. محمَّد صالح مؤذِّن، عمّان: دار الثقافة، عام ٢٠٢م.

٧٢. المبسوط، محمد بن أبي سهل السرخسي (٤٩٠هـ)، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١٤هـ.

٧٣. مجلّة الأحكام العدليَّة، لجنة من علماء الدولة العثمانية، كراتشي: قديمي كتب خانه.

٧٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، إشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، الرباط: مكتبة المعارف.

٧٥. المحلَّى، علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم (٤٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧٦. مخاطر السَّمسرة وعلاقتها بالوساطة وتحديد أجور السمسار في الأسواق، د. محمود عبد الكريم إرشيد، الطبعة الأولى، عمّان: دار النفائس، عام ١٤٣٦هـ.

٧٧. المخاطرة في المعاملات الماليَّة المعاصرة، د. عبد الرَّحمن بن عبد الله الخميس، الطبعة الأولى، الرياض: دار كنوز إشبيليا، عام ١٤٣٤هـ.

٧٨. المختارات الجليَّة من المسائل الفقهيَّة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن حسن محمود، الرياض: المؤسسة السعيدية.

٧٩. مزيل الإلتباس عن حكم التَّعامل مع شركة بزناس، د. مرهف سقّا، منشور في موقع مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية.

http://www.kantakji.com/media/174901/biznas.pdf

٨٠. مسائل فقهيَّة معاصرة، د. عبد الملك السَّعدي، الطبعة الأولى، عمّان: دار النور المبين، عام ١٤٣٢هـ.

٨١. مسائل معاصرة ممَّا تعمّ به البلوى في فقه المعاملات، د. نايف جمعان جريدان، الطبعة الأولى، الرياض: دار كنوز إشبيليا، عام ١٤٣٣هـ.

٨٢. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١١هـ.

٨٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي (٧٧٠هـ)، بيروت: المكتبة العلمية.

٨٤. المصنَّف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١٦هـ.

٨٥. معالم السُّنن، حمْد بن محمد البستي الخطابي (٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، وأحمد شاكر، القاهرة: مكتبة السنة المحمدية.

٨٦. المغني، عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي، د. عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، عام ١٤٠٦هـ.

٨٧. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، محمد الشربيني الخطيب (٩٧٧هـ)، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، عام ١٣٧٧هـ.

٨٨. مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، عام ١٤١١هـ.

٨٩. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (مسائل الإجماع في المحرمات المالية وعقود المداينات والتوثيقات والإطلاقات والتقييدات والمشاركات)، د. فيصل بن محمد الوعلان، الطبعة الأولى، الرياض: دار الفضيلة، عام ١٤٣٥هـ.

٩٠. موسوعة القواعد الفقهية، د. محمَّد صدقي البورنو، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، عام ١٤٢٤هـ.

٩١. نظريَّة السَّمسرة وتطبيقاتها العصرية، الدّكتور عبد الله بن محمد الحمادي، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد، عام ١٤٣٣هـ.

٩٢. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، محمد بن أحمد الرملي (١٠٠٤هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، عام ١٤١٤هـ.

٩٣. الوساطة التِّجاريَّة في المعاملات الماليَّة، د. عبد الرَّحمن بن صالح الأطرم، الطبعة الثانية، الرياض: دار إشبيليا، عام ١٤١٨هـ.

٩٤. الوساطة الماليَّة أبرز التطبيقات المعاصرة، د. محمَّد أمين بارودي، الطبعة الأولى، دمشق: دار النوادر، عام ١٤٣٣هـ.

مواقع الإنترنت:

٩٥. الإسلام سؤال وجواب: http://islamqa.info

٩٦. الألوكة: http://www.alukah.net

٩٧. دار الإفتاء الأردنية: http://www.aliftaa.jo/

٩٨. دار الإفتاء والتدريس الديني بحلب: http://www.eftaa-aleppo.com/

٩٩. دار الإفتاء المصرية: http://dar-alifta.org.eg/

١٠٠. شبكة الفتاوى الشرعية بإشراف د. أحمد الحجي الكردي:

http://www.islamic-fatwa.com

١٠١. شبكة المشكاة الإسلامية: http://ftp.meshkat.net/

١٠٢. شركة أوبيس: http://www.opes-store.com/en/

١٠٣. شركة زادلي: www.myzadly.com

١٠٤. شركة شركتنا: http://shirktna-bola.blogspot.com/

١٠٥. صيد الفوائد: http://www.saaid.net

١٠٦. مجلة الوعي الإسلامي بالكويت: http://alwaei.gov.kw/site/new/default.aspx

١٠٧. مجمع الفقه الإسلامي السوداني: http://aoif.gov.sd/au/

١٠٨. مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية: http://www.kantakji.com/

١٠٩. الملتقى الفقهي: http://fiqh.islammessage.com/Default.aspx

١١٠. منار الإسلام: http://www.m-islam.com/

١١١. موقع الدكتور علي السالوس: http://www.alisalous.com/

١١٢. موقع الشيخ حامد العلي: http://www.h-alali.net

١١٣. وزارة التجارة والصناعة بالسعودية: https://mci.gov.sa

١١٤. وزارة الصناعة والتجارة بالبحرين:

http://www.moic.gov.bh/Ar/Main/News/Pages

١١٥. ويكيبيديا (الموسوعة الحرة): https://ar.wikipedia.org

السِّر الطبيِّ في الشريعة الإسلامية

إعداد

د. ماهر ذيب أبو شاويش

أستاذ الفقه المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة - قسم الدراسات الإسلامية

السِّر الطبيِّ في الشريعة الإسلامية

د. ماهر ذيب أبو شاويش

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفضل الخلق والرسل، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ علم الطب من العلوم المهمة في الحياة البشرية، وبتطبيقه تتحقق كثير من المصالح العظيمة والمنافع الجليلة؛ التي منها حفظ الصحة، ودفع الأسقام والأمراض عن بدن الإنسان، ولعظيم ما فيه من المصالح والمنافع أباحت الشريعة الإسلامية تعلمه وتعليمه، وتطبيقه.

والناس في مختلف العصور والأزمنة محتاجون إلى وجود الطبيب الذي يسعى في معالجة مرضاهم، فيقوم برعايتهم، ودفع ضرر الأسقام والأمراض والجراحات عن أبدانهم بإذن الله تعالى، بل لا يمكن لمجتمع أن يعيش سالماً أو يستغني عن الطبيب خاصة في حال انتشار الأمراض.

إنَّ علاقة الطبيب بالمريض تمثل جوهر أخلاقيات مهنة الطب، فالمجتمع قد لا يتأثر كثيراً بعلاقة الأطباء بعضهم ببعض، ولكنه سيتأثر بشدة عند اختلال علاقة الطبيب بالمريض؛ إذ إنَّ العلاقة بينهما يجب أن تكون علاقة شخصية ومهنية تقوم على الثقة والاحترام المتبادل، المنبثقة من أخلاقيات الإسلام وتعاليمه، وإنَّ تلك الثقة تُلزم الطبيب أخلاقياً الحفاظ على خصوصيات المريض، وأسراره، والتعامل بصدق وأمانة في عرض المعلومات الطبيّة عليه.

ومهنة الطبيب تحتم عليه الاطّلاع على أسرار الناس وخصوصياتهم، بل قد يتكرر ذلك مرات عدة؛ حتى يستطيع الطبيب تشخيص الداء لوصف الدواء، وما دام أنّه سيطّلع على هذه الأسرار والخصوصيات، فمعنى ذلك أنّه سيطّلع على عوراتهم وأدق خصوصياتهم.

وقد تكون هذه الأسرار أحياناً لا تتعلق فقط بالمريض، بل قد تتعدى للآخر؛ لارتباطهم بها كالزوجة مثلاً.

ويهدف البحث يهدف إلى دراسة هذا الجانب، وهو ما يتعلق بالسِّر الطبيّ، وبيان فقهه وأحكامه من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.

واقتضى البحث في هذه القضية أن يكون في مقدمة، وستة مطالب، وخاتمة، على النحو الآتي:

المطلب الأول: معنى السِّر الطبيِّ

المطلب الثاني: كتمان السِّر الطبيّ من أخلاقيات الطبيب

المطلب الثالث: حكم إفشاء السِّر الطبيّ

المطلب الرابع: مسؤولية إفشاء السِّر الطبيّ وآثارها

المطلب الخامس: الحالات التي يجوز فيها إفشاء السِّر الطبيّ

المطلب السادس: الحالات التي يجب فيها إفشاء السِّر الطبيّ

الخاتمة

والله من وراء القصد، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، موجباً لرضوانه، والله أعلم.

المطلب الأول

معنى السِّر الطبيِّ

يتضمن هذا المطلب تعريفاً بالسِّرِ الطبيِّ باعتباره مركباً إضافياً، وعده لقباً، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: معنى السِّر الطبيِّ باعتباره مركباً إضافياً:

إن مصطلح "السِّر الطبيِّ" بِعَدِّه مركباً إضافياً يتكون من لفظين: السِّر، والطبيِّ، ولا بد من بيان معنى هذه الألفاظ في اللغة والاصطلاح على حدة، وذلك أن معرفة المركب الإضافي تتوقف على معرفة كل جزءٍ منه على حدة، وبيان ذلك على النحو الآتي:

السِّر لغة واصطلاحاً:

- السِّرُّ لغةً:

واحد الأسرار، وهو ما يكتم[١]، والسريرة مثله، وهو خلاف الإعلان، يقال: أسررت الشيء إسراراً، خلاف أعلنته[٢]، ومنه قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾[٣]، أي يوم القيامة تختبر الأسرار وتعرف، وهي ما يسر في القلوب من النيات والاعتقادات وغيرها، فيعرف الحسن منها من القبيح، وتختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه[٤].

وسارَّه: إذا أوصاه بأن يُسرَّه، وتَسارَّ القوم، وتقول: أسررتُ إلى فلانٍ إسراراً وساررته سراراً، إذا أعلمك بسرك، وكنَّى عن النكاح بالسِّرِّ من حيث إنه يخفى[٥].

- السِّرُّ اصطلاحاً:

لا يختلف معنى السر في الاصطلاح عنه في اللغة العربية؛ فقد عرَّفه العلماء بتعريفات تدور حول ما يكتم من حديثٍ في النفس، أو ما يسره المرءُ في نفسه مما قد عزم عليه.

يقول الراغب الأصفهانيّ[٦]: "السِّرُّ هو: الحديث المكتم في النَّفس"[٧].

ويقول الكفويُّ[٨]: "هو ما يسِّرهُ المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها"[٩].

الطب لغة واصطلاحاً:

- الطب لغة:

الطب: بطاء مثلثة هو علاج الجسم، والنفس، يقال: طَبَّهُ، طَبًّا، إذا داواه[١٠]، وأصل الطب: الحذق في الأشياء، والمهارة فيها، ولذلك يقال لمن حذق الشيء وكان عالماً به: طبيباً[١١].

وجمع الطبيب: أطباء، وأطِبَّةً، الأول جمع كثرة، والثاني جمع قلة[١٢].

- الطب اصطلاحاً:

عرَّف ابن سينا[١٣] الطب بأنه: "علم يُتَعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة؛ ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة"[١٤].

والمراد بأحوال البدن: أي الصحة والمرض[١٥].

والمراد بقوله: "ويزول عن الصحة": المرض الذي يعرض للبدن فيخرجه عن حالة الصحة.

وقوله: "ويستردها زائلة": أي يسترد الصحة حال فقدها.

والمراد بقوله: "ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة": بيان الغاية من النظر في بدن الإنسان، وهي المحافظة على صحة الإنسان حال وجودها، والسعي في ردها حال فقدها، وذلك بتعاطي الأسباب المشروعة بإذن الله.

الفرع الثاني: معنى السِّر الطبيِّ باعتباره لقباً[١٦]:

إنَّ المقصود بالسِّرِ الطبيِّ بعدَّه لقباً كما جاء في الموسوعة الطبيّة الفقهيّة: "كل أمرٍ اطلع عليه الطبيب بحكم عمله، سواء أفضى به المريض، أو غيره، أو علم به نتيجة الفحص، أو التشخيص أثناء ممارسته لمهنته، وكان للمريض أو لذويه مصلحة مشروعة في كتمانه"[١٧].

ويُقصد بذلك الالتزام المفروض على جميع أعضاء الهيئة الطبيَّة بأن لا يفشوا ما اطلعوا عليه، وما علموه أثناء ممارسة مهنتهم.

وتوضيح ذلك:

إنَّ مهنة الطب تُحتمُ على أهلها الاطلاع على أسرار الناس وخصوصياتهم، وقد يتكرر ذلك من الطبيب عدة مراتٍ؛ حتى يستطيع تشخيص الداء[١٨] لوصف الدواء، بل إنَّه في بعض الأحيان قد يكون من أهم وسائل التشخيص: إدلاء المريض بمعلوماتٍ دقيقةٍ تتعلق بحياته الماضية، وعلاقته بالآخرين في مواقف شتى، وبيان للأحداث التي تأثر بها، كما هو الحال في الأمراض النفسيّة[١٩].

ومعنى ذلك أن الطبيب سيطلع على أسرار المريض، وعلى عوراته، وخصوصياته، وكما أنَّه مؤتمنٌ على جسم المريض، وصحته، والعلاج الذي يصفه أو يقدمه له، فهو كذلك مؤتمنٌ على أسراره التي اطَّلع عليها، أو اكتشفها أثناء ممارسته لمهنته، أو أُبيحَ له بها من قِبَل المريض أو ذويه.

والأصل في ذلك كلِّه أن يحافظ الطبيب على هذه الأسرار، ولا يبوح بها للآخرين؛ إذ إنّ ذلك من خيانة الأمانة، وقد يتوقف على إفشاء هذه الأسرار أضرار نفسيَّة ومعنويّة، أو بدنيّة، أو مهنيّة، أو ماليّة، أو اجتماعيّة، إلا في مسائل أو حالات مستثناة سيأتي بيناها.

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول: إنَّ السِّـرَ الطـبيَّ لا يكـون سـراً طبيـاً إلا إذا توفرت فيه ثلاثة قيود[٢٠]:

القيد الأول: أن يعلم به الطبيب بصفته طبيباً، فلو علم به من باب الصداقة أو غير ذلك فلا يعدُّ سراً طبيّاً.

القيد الثاني: أن يتوصل الطبيب إلى هذه المعلومات أثنـاء ممارسـته لمهنتـه، مـن تشخيص للداء، أو علاجٍ، أو مباشرة لجسد المريض، أو من خلال ما أدلى به المـريض أو ذووه لتشخيص المرض ونحو ذلك.

وعليه فما يصل إلى الطبيب من معلوماتٍ خـارج مهنتـه فإنـه لا يـدخل فيمـا يسمى بالسِّر الطبيّ، ولا يعني ذلك جواز إفشائه، وإنّما القصد تحديد السِّر الطبيِّ.

القيد الثالث: أن يكون المرض وما يتعلق به سرياً، بحيث يترتـب علـى إفشـائه ضرر أو مفسدة تلحق بالمريض أو ذويه، وهذا لا يتحقق في كـل مـرضٍ، والأمـراض التي يتحقق فيها هذا القيد معروفة عند أهل الخبرة من الأطباء، فهي لا تحتاج إلى كثير

المطلب الثاني

كتمان[٢١] السِّر الطبيّ من أخلاقيات الطبيب

اعتنت الشريعة الإسلامية بجانب الآداب والأخلاق، فجاءت نصوص الكتاب والسنة داعية للتحلي بها والتزامها؛ لما يترتب على ذلك من العواقب الحميدة، وما تتضمنه من المصالح الجليلة التي لا يقتصر خيرها ونفعها على الفرد وحده، بل يتعداه إلى غيره من سائر أفراد المجتمع، كما أن ترك هذه الأخلاق، والتخلق بضدها يتضمن العواقب السيئة والمفاسد العظيمة، التي لا يقتصر ضررها على الفرد وحده بل يتعداه إلى غيره من سائر أفراد المجتمع.

ومهنة الطبيب من المهن الهامة جداً، التي تفتقر إلى التحلي بجملةٍ من الآداب والأخلاقيات الحميدة، التي تُعين على الوصول للأهداف المقصودة من هذه المهنة النبيلة.

ومن أهم هذه الأخلاقيات: المحافظة على أسرار المرضى، وكتمانها، وعدم إفشائها[٢٢]، فالطبيب من خلال مزاولته لمهنته يقف على أسرارٍ عديدة للمريض، قد يبوح بها – في كثير من الأحيان – تحت قسوة وشدة ألم المرض، بينما يكتمها المريض عن أقرب الناس إليه، ولا يجعلهم يطّلعون عليها.

وهذه الأسرار منها ما يتعلق بالعيوب الخَلْقية، ومنها ما يتعلق بالعورة التي لا يرغب أن يطَّلع عليها أحد غيره، ولكون هذا الطبيب يباشر جسد المريض فإنه يطلع على أشياء يختص بها المريض.

والواجب على هذا الطبيب أن يحافظ على هذه الأسرار، ويكتمها، وهي من الأخلاقيات الطبيّة الإسلاميّة التي ينبغي للطبيب أن يتحلى بها، وهي كذلك من

الأمانة التي وصف الله بها عباده المؤمنين بأنهم حافظون لها، إذ قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[٢٣].

يقول ابن الحاجّ الفاسيّ[٢٤]: " ينبغي أن يكون – أي الطبيب – أميناً على أسرار المريض، فلا يطلع أحداً على ما ذكره المريض؛ إذ إنَّه لم يأذن له في إطلاع غيره على ذلك"[٢٥].

إنَّ من الأسس التي تقوم عليها مهنة الطب؛ لتحقيق الأهداف المرجوة المقصودة منها: ثقة المريض بطبيبه، وهي أساس للتعامل بينهما، فإذا وثق المريض بطبيبه فإنه سيفشي له أسراراً هامة – في كثير من الأحيان – قد يكون لها الدور الأهم للوصول إلى التشخيص الصحيح لحالته، وبالتالي الوصف الصحيح للدواء، ويجب على هذا الطبيب أن يحافظ على هذه الأسرار، ويكتمها عن الآخرين، يقول ابن مفلح[٢٦]: " كما يحرم تحدّثه – أي غاسل الميت – وتحدّث طبيب وغيرهما بعيب "[٢٧].

وإذا شعر المريض بأنَّ الطبيب يفشي سِرَّه فإنه قد يُحجم عن التعامل معه، أو قد لا يُطْلِعُهُ بالقدر الكافي عمّا يريدُ الاطلاع عليه، وبذلك يفقدُ الطبيب سبباً هاماً من أسباب نجاح مهنته، أو قد يؤثر ذلك على التشخيص الصحيح للداء أو الدواء.

إنَّ مسألة حفظ أسرار المرضى ذات مدلولٍ شرعيٍّ أخلاقيّ؛ فإن حُسْنَ معاملة الطبيب للمريض تقتضي منه أن يُحافظ على سره الطبيّ، وكما أن الإنسان لا يحب أن تُفْشَى أسراره، فكذلك الآخرون لا يحبون ذلك، وقد قال– عليه الصلاة والسلام –: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[٢٨].

وبناءً على ما تقدم فإنَّه لا يُشَكُّ بأنَّ الشريعة الإسلامية تَعُدُّ حفظ سرِّ المريض من جملة الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب تجاه مريضه، يقول الحسن البصري[٢٩]: "إنَّ من الخيانة أن تحدّث بسر أخيك"[٣٠].

وقد دأبت جميع القوانين والأنظمة المنظمة لهذه المهنة النبيلة، وكذا منظمات حقوق الإنسان، إلى اعتبار حفظ سرِّ المريض من أخلاقيات الطبيب التي ينبغي التحلي بها، فجاء في المادة (الثلاثون) من الميثاق الإسلامي العالميّ للأخلاقيات الطبيّة والصحية ما نصه: " لا يجوز للطبيب أن يفضي سراً وصل إلى عمله بسبب مزاولته المهنة، سواء أكان مريضه قد عهد إليه بهذا السر، أو كان الطبيب قد اطلع عليه بحكم عمله"[٣١].

المطلب الثالث

حكم إفشاء السِّر الطبيّ

أجمع الفقهاء على أن الأصل هو وجوب كتمان السِّر عموماً، وأنَّه يحرم إفشاؤه دون سببٍ معتبرٍ، أو مسوغٍ شرعيّ، خاصةً إذا تضمن ذلك إلحاق الضرر بصاحب السر[٣٢].

وهذا الأصل العام من وجوب كتمان السِّر، وحرمة إفشائه دون سببٍ معتبرٍ، يتخرَّج عليه، أو يدخل فيه وجوب كتمان السِّر الطبيِّ وحرمة إفشائه؛ بل يتأكد هذا الوجوب من حفظٍ للسِّر ممن يعمل في المهن الطبيَّة – وعلى رأسهم الطبيب –؛ إذ إنَّ إفشاء سِرِ المريض قد يعود على أصل المهنة بالخلل؛ فإن العلاقة بين المريض والطبيب – في كثيرٍ من الحالات – قد تكون من أقوى العلاقات وأعمقها، وقد يطّلع الطبيب على أمورٍ لا يمكن لغيره أن يطّلع عليها.

ويدلُّ على وجوب كتمان السَّر الطبيّ من حيث الأصل عدد من الأدلة من الكتاب والسنة، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولاً: أدلة القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٣٣]

وجه الدلالة: أن حفظ السِّر أمانة، وحفظ الأمانة واجب، وإفشاء السِّر من الخيانة، وما يكون من سرٍ بين الطبيب والمريض يجب حفظه، ولا يجوز إفشاؤه[٣٤].

يقول الغزاليّ[٣٥]: "إفشاء السِّر خيانة، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار"[٣٦].

ويقول الماوردي[٣٧]: " إظهار الرجل سِرَّ غيره أقبح من إظهار سرَّ نفسِهِ؛ لأنه يبوء بإحدى وصمتين: الخيانة إن كان مؤتمناً، والنميمة إن كان مستخبراً، فأما الضَّررُ فربما استويا فيه أو تفاضلا، فكلاهما مذموم، وهو فيهما ملوم "[٣٨].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[٣٩]

وجه الدلالة: أن الله – سبحانه وتعالى – نهى في هذه الآية الكريمة عن أذية المؤمنين والمؤمنات، ومن ذلك أذيتهم إفشاء أسرارهم الطبيّة، التي قد تلحق بهم الأذى الماديّ، أو المعنويّ، أو الجسديّ[٤٠].

٣- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤١]

وجه الدلالة: أن الله – سبحانه وتعالى – نهى في هذه الآية الكريمة عن الغيبة، والغيبة ذكر أخاك المسلم لما يكره، وقد بيّن – عليه الصلاة والسلام – حد الغيبة في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – بقوله: " أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قال: أفرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته "[٤٢]، وإفشاء الطبيب سر المريض – بغير مسوغ شرعيّ – لا شك أنّه يدخل في هذا الباب[٤٣].

ثانياً: أدلة السنة الشريفة:

١- حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: " لا ضرر ولا ضرار "[٤٤].

وجه الدلالة: أنَّ الحديث يدلُّ على أنَّ أيَّ فعل يتسبب بضر الآخرين منهيٌّ عنه، ومحرَّم، وإفشاء الطبيب سرَّ المريض دون مسوغ شرعي لا شك أنَّ فيه ضرر لا يجوز التسبب فيه.

٢- حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: "إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة"[٤٥].

وجه الدلالة: أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – عدَّ في الحديث السِّر من الأمانة، والأمانة يجب الحفاظ عليها، وعدم خيانتها وإضاعتها[٤٦]، وكذلك أسرار المرضى فيجب الحفاظ عليها وعدم إفشائها.

٣- حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه، قال: أسرَّ إليَّ النبي – عليه الصلاة والسلام سراً فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به"[٤٧].

وجه الدلالة: أن أنس بن مالك كتم سرَّ رسول الله – عليه الصلاة والسلام – حتى عن أقرب الناس إليه، وهي أمه، مما يدلُّ على وجوب حفظ السِّر، وعدم إفشائه، وكذلك الحال بالنسبة للطبيب مع مريضه، فيجب عليه أن يحافظ على سرَّه الطبيّ[٤٨].

٤- حديث عبدالله بن عمر – رضي الله عنه – أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: "من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة"[٤٩].

وجه الدلالة: أنَّ حفظ سرِّ المسلم من الستر عليه، وهو واجب، ومن ذلك: حفظ الطبيب سر المريض، وهو من الستر عليه.

٥- حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: "إنَّما المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مالٍ بغير حق"[٥٠].

وجه الدلالة: أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – جعل في هذا الحديث المجالس وما يُقال بها من الأمانة، إلا تضمَّن السِّرُّ أذىً للآخرين من تبييت لنوايا القتل، أو تدبير أمر سيء من سرقة أو انتهاك أعراض ونحو ذلك، والأمانة يجب حفظها، وكذلك سر المريض، فإنَّ الأصل حفظه، وعدم إفشائه؛ لما يتضمن ذلك من ضررٍ يلحق بالمريض.

المطلب الرابع
مسؤوليّة إفشاء السِّر الطبيّ وآثارها

الفرع الأول: معنى المسؤوليّة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: المسؤوليّة في اللغة:

المسؤوليّة مصدر صناعي، ومعناه كون الإنسان محلاً للمؤاخذة مسؤولاً عن أعماله، أو هي اسم مفعول منسوب إليه مأخوذ من سأل يسأل سؤالاً، واسم من سأل سائلاً وهم سائلون، واسم المفعول مسؤول، وهم مسؤولون[٥١]، وتطلق المسؤولية في اللغة على معانٍ، منها: المطلوب الوفاء به، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[٥٢]، أي مطلوباً الوفاء به، ومنها: الشيء المحاسب عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٥٣]، أي مسؤولاً عنه صاحبه ومحاسباً عليه.

وهي في اللغة تعني ما يكون به الإنسان مسؤولاً ومطالباً عن أمور وأفعال أتاها[٥٤].

ثانياً: المسؤوليّة في الاصطلاح:

لم يستعمل الفقهاء القدامى لفظ المسؤوليّة في هذا المعنى – أي الذي نحن بصدد بيانه – وإنّما جاءت في استعمالات بعض الفقهاء المعاصرين ورجال القانون، وقد ورد على لسان فقهاء الشريعة الإسلامية التعبير بلفظ الضمان، للدلالة على مسؤولية الشخص تجاه غيره، وما يلتزم به في ذمته من مال أو عمل.

وقد عرّف الفقهاء الضمان بتعريفات عدّة، منها: "الضمان عبارة عن غرامة التالف"[٥٥]، ومنها: "الضمان رد مثل الهالك أو قيمته"[٥٦]، ومنها: "إعطاء مثل الشيء إن كان من المثليات، وقيمته إن كان من القيميات"[٥٧]، ومنها: "التزام بتعويض مالي عن ضرر للغير"[٥٨]

وقد اختار عددٌ من الفقهاء المعاصرين التعبير بلفظ المسؤولية؛ لشموليته وعمومه، بل إنَّ التعبير بلفظ المسؤولية يستغرق جميع ما جاء في التعاريف السابقة للضمان، وممن عبَّر بهذا المصطلح: الشيخ مصطفى الزرقا[٥٩]، والشيخ عبد القادر عودة[٦٠]، والشيخ وهبة الزحيلي[٦١]، والشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي[٦٢] وغيرهم.

ويُقصد بالمسؤولية: "تحمل الشخص تبعة تصرفه في الدنيا والآخرة"[٦٣].

وأطراف المسؤولية في مسألة إفشاء السِّر الطبيّ: الفاعل (الطبيب)، والمتضرر (المريض)، والتصرف (إفشاء السِّر الطبيّ).

الفرع الثاني: الشروط الواجب توفرها لتحقق المسؤولية في إفشاء السِّر الطبيّ:

تقدم بيان القيود التي ينبغي توفرها لتكون الواقعة سراً طبياً إلا أنَّ المسؤولية إنّما تترتب حال إفشاء الطبيب لذلك السِّر، ولذلك فإنَّ إعلان تلك الأسرار وإظهارها لا تأخذ صفة المسؤولية ما لم تتحقق في إفشاء السِّر الشروط الآتية:

أولاً: أن يتحقق في المرض المكتوم دواعي السريّة:

ليس كل مرض يعدُّ سراً طبيّاً يجب كتمانه، وليس كل ما يفضي به الطبيب ويظهره عن المريض يعدُّ سراً، والمعول عليه في تحديد ما يعدُّ سراً طبيّاً ذلك هو العرف

من الأمراض التي لا يجوز إعلانها للغير، والتي يلحق من جرّاء إعلانها ضرر معنويّ أو ماديّ أو اجتماعيّ يلحق بالمريض أو ذويه، كمرض الزهريّ والجذام والبرص والسيلان وغير ذلك[٦٤].

ثانياً: فعل الإفشاء:

ويُقصدُ بذلك الإعلان والكشف عن السِّر الطبيّ، وإطلاع الغير عليه، بأي وسيلة كانت مع تحديد الشخص صاحب المصلحة في كتمانه وهو المريض، ويتحقق فعل الإفشاء سواء أكان إعلانه بطريقة مباشرة، أم غير مباشرة، شفاهةً أو كتابةً، وقد يكون الإفشاء بالنشر بالصحف أو المجلات أو الرسائل أو غير ذلك[٦٥].

ويتحقق الإفشاء ولو بأنْ يفضي الطبيبُ بذلك السِّر لزوجة المريض، كما لا يجوز للطبيب أن يذكر واقعةً وإن مرَّ عليها زمن بعيد؛ لأن ذلك لا يُخرج السِّر الطبيّ عن كونه سراً؛ إذ قد يُلحق الضرر بالمريض وإن مرَّ عليه زمن بعيد.

ثمَّ إن إفشاء السِّر الطبيّ مرةً واحدةً لا يعني إعفاء صاحبه عن المسؤولية أو حرمة تكرار الإفشاء مرة أخرى؛ ولذا فإن تكرار الإفشاء يتكرر معه تكرار المسؤولية والإثم الشرعيّ.

كما تُعدُّ إشارة اللجنة الطبية المكلفة بإصدار تقارير اللياقة الصحية للمتقدمين للوظائف لتفاصيل المرض كشفاً، لذا يتوجب على مثل هذه اللجان الاكتفاء بالإشارة إلى لياقة المتقدم للوظيفة أم لا، دون الخوض في تفاصيل حالته المرضية.[٦٦]

ثالثاً: القصد الجنائيّ من الإفشاء:

ويقصد بذلك أنْ يعمد الطبيبُ أو من اطّلع ممن يتصل بحكم مهنته مع الطبيب إلى إفشاء السِّر وإعلانه عن قصد، سواء أقصد منه الإساءة أم لا، بخلاف ما لو كان الأمر سهواً بغير قصد، فالعنصر الجنائيّ في جريمة إفشاء السِّر الطبي، هما: العلم،

والإرادة، فعنصر العلم يقتضي أن يكون الطبيب عالماً بأن للواقعة صفة السرية، وأنَّ لهذا السِّر الطبيّ خصوصيته، وأنَّ مهنته هي السبب في علمه بهذا السِّر، فإذا جهل الطبيبُ أن المرض اليسير ليس سراً فأذاعه فإن عنصر القصد يعد منتفياً لديه، وكذلك إذا اعتقد أنّ هذا السِّر لا يتعلق بمهنته أو أنَّ المريض أَذِنَ بإباحة السِّر، فإن عنصر القصد كذلك يعد منتفياً لديه(٦٧).

أمّا الإرادة كعنصر لتوافر القصد الجنائيّ فيجب أن تتجه إرادة الطبيب إلى فعل الإفشاء، وإلى النتيجة التي تترتب عليه، بمعنى أن يعلم الغير بالواقعة التي لها صفة السرية، وذلك بأن تتجه إرادته إلى إتيان الفعل الذي من شأنه أن يعلم الغير بالواقعة، وأن تتجه إرادته إلى توفير هذا العلم لديه.

الفرع الثالث: الآثار المترتبة عند ثبوت مسؤولية إفشاء السِّر الطبيّ:

إذا ثبتت مسؤولية الطبيب عند إفشائه السِّر الطبيّ بعد تحقق الشروط السابقة الذكر، فإنَّ ذلك ينبني عليه جملة من الآثار، وبيانها على النحو الآتي:

أولاً: الإثم:

إنَّ الطبيب بإفشائه السِّر الطبيّ ارتكب محظوراً شرعياً، وهو آثم شرعاً على ذلك، وقد خان ما أوتمن عليه، وقد جاء في حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: " إنَّما المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مالٍ بغير حق"(٦٨)، ويجب على من أفشى السِّر الطبيّ أن يتوب إلى ربه، وينوب إليه من هذه المعصية.

ثانياً: التعزير:

التعزير لغة: مصدر عزَّر من العزر، وهو الرّدّ والزجر والمنع، يقال عزّر فلان فلاناً أي نصره؛ لأنه منعه من أن يؤذيه أحد[٦٩]، وسمّيت العقوبة تعزيراً؛ لأن من شأنها أن تدفع الجاني وتردّه عن ارتكاب الجرائم، أو العودة إليها.

والتعزير اصطلاحاً: التأديب دون الحدّ[٧٠]، وهي عقوبة غير مقدرة شرعاً، تجب حقاً لله أو للعبد في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة"[٧١].

يقول ابن فرحون[٧٢]: " والتعزير تأديب استصلاح وزجر، على ذنوب لم يشرع فيها حدود ولا كفارات.... ولما كان الناس لا يرتدعون عن ارتكاب المحرمات والمنهيات إلا بالحدود والعقوبة والزواجر، شرع ذلك على طبقات مختلفة"[٧٣].

إنَّ التعزير على إفشاء السِّر الطبيّ له ارتباط وثيق بمفهوم السياسة الشرعيّة وتصرفات الإمام، والتي تعني: أنَّ تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة[٧٤]، وأنّ وظيفة الإمام هي القيام على شؤون الأمة بما يحقق لها المصالح الشرعية، وينفي عنها المضار، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق المصالح العامة للأمة.

إذا تقرر هذا، وتبين أنَّ إفشاء السِّر الطبيّ محرمٌ شرعاً، وهو معصية، والتعزير يشرع في كل معصية ليست فيها عقوبة مقدرة شرعاً، فإنَّ هذه المعصية يُشرع فيها التعزير، حينئذ عملاً بأصل مشروعية قيام الإمام بمصالح الأمة عن طريق السياسة الشرعية.

وتصرف الإمام في باب العقوبات التعزيرية ينبغي أن يكون منضبطاً بضوابط شرعية تتحق فيها ثمرة التصرف والعقوبات؛ منعاً لتطرق الزيغ والفساد على تصرفات الإمام في هذه العقوبات، ومن أهم هذه الضوابط: أن يكون القصد من هذه العقوبة تحقيق مصالح العباد وحمايتها، وألّا يترتب على العقاب التعزيري ضرر أكبر أو فساد أشد.

ويجتهد الإمام أو من ينوب عنه - كالقاضي - في تقدير العقوبة التعزيرية للطبيب إذا أفشى السِّر الطبيّ، كفرض غرامة ماليّة، أو السجن، أو غير ذلك، وهو متروك للقاضي يقدره حسب ظروف الجاني، وملابسات القضية المعروضة عليه، وبحسب الضرر الذي أحدثه للمريض، وقد يقضي عليه بمنعه من مزاولة مهنة الطبّ لمدة معينة، وكل ذلك تحقيقاً لمصلحة العباد.

ويرى أبو حنيفة[٧٥] مشروعية الحَجْرَ على الطبيب الجاهل[٧٦]، الحَجْرُ هنا بمعنى المنع والحبس وعدم السماح له بمزاولة مهنته، بسبب الضرر الذي يحدثه للعباد، وكذلك الحكم بالنسبة للطبيب الذي أفشى سر المريض فإنّه قد أحدث له ضرراً، فيشرع الحَجْرُ عليه كذلك.

وينبغي على القاضي أن يردّ ذلك – أي ما فعله الطبيب من إفشاء للسِّر الطبيّ – إلى أهل الخبرة، ويتعرف عن طريقهم على عظيم جرم الطبيب في إفشائه للسِّر الطبيّ، ومن ثَمَ يقرر ما يراه مناسباً لعقوبته، وزجر غيره.

ثالثاً: الضمان:

فالطبيب الذي تعدى بإفشاء السِّر الطبيّ، وترتب على ذلك الإفشاء ضرر بدنيّ أو ماليّ أو نفسيّ أو معنويّ، فإنَّه ملزم بالضمان، ومما يدل على ذلك ما ثبت في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: " من تطبب، ولا يعلم منه طب، فهو ضامن "[٧٧].

وقد نصَّ في الحديث الشريف على تضمين الطبيب الجاهل؛ لأنه تصدى لما ليس له بأهل، فأضرَّ بالناس، وفي حكم ذلك الطبيب الذي أفشى سرَّ المريض فتسبب ذلك بضررٍ له معنويّ أو اجتماعيّ أو ماديّ أو غير ذلك.

وقد بوَّب أبو داود[٧٨] لهذا الحديث بقوله: " باب فيمن تطبب بغير علم، فأعنت، أي أضرّ المريض، وأفسد "[٧٩]، وهذه الترجمة يستفاد منها: وجوب الضمان عند حصول الضرر مع الجهل، وكذا بالنسبة لمن أفشى السِّر الطبيّ فألحق الضرر بصاحب السِّر، فوجب عليه الضمان.

وقد نقل ابن القيم[٨٠] عن الخطابيّ[٨١] الإجماع على تضمين الطبيب المتعدي، بقوله:

" قال الخطابي: لا أعلم خلافاً في أنّ المعالج إذا تعدى، فتلف المريض كان ضماناً "[٨٢] ولا شك أن الطبيب بإفشائه للسِّر الطبيّ قد تعدى.

ومردُ تقدير الضرر الذي لحق بالمريض، ومقدار ضمانه، إنَّما هو للقاضي، بعد أن يثبت عنده ذلك الضرر، وينبغي للقاضي أن يرد ذلك إلى أهل الخبرة، ومن ثم يقرر ما يراه مناسباً.

المطلب الخامس

الحالات التي يجوز فيها إفشاء السِّر الطبيّ

تقدم أنَّ الأصل هو وجوب كتمان سر المريض، وأنَّ الطبيب يحرمُ عليه إفشاء سره، إلَّا أنَّه ثمة حالات يجوز فيها إفشاء سر المريض، وهي بمثابة الاستثناء من الأصل العام.

وقد قررَّ الفقهاءُ أنَّه يجوز إفشاء السر لمصلحة أو دفع مفسدة[٨٣]، ويدلُّ على ذلك عدد من الأدلة من الكتاب والسنة والقياس والقواعد الفقهيّة، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولاً: دليل القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[٨٤].

وجه الدلالة: أنَّ سيدنا يوسف – عليه الصلاة والسلام – لم يرد ذِكر ذلك لو لم تقذفه، فقال ذلك ليدفع عن نفسه ما تعرض له من قتل أو عقوبة، ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها[٨٥].

يقول العز بن عبد السلام[٨٦]: "الستر على الناس شيمة الأولياء، ويجوز إفشاء السِّر إذا تضمن مصلحة أو دفع ضرر، وقد كشف يوسف - عليه السلام – سرَّ المرأة التي راودته، فقال: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾[٨٧] ليدفع عن نفسه ما قد يتعرض له من قتل أو عقوبة"[٨٨].

ثانياً: أدلة السنة النبويّة:

١- حديث زينب - رضي الله عنها -[٨٩]، أنَّها قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي – عليه الصلاة والسلام – فقال: "تصدقن ولو من حليكن" وكانت زينب تنفق على عبدالله وأيتام في حجرها قال: فقالت لعبدالله سل رسول الله – عليه الصلاة والسلام – أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة، فقال سلي أنت رسول الله – عليه الصلاة والسلام – فانطلقت إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال فقلنا: سل النبي – عليه الصلاة والسلام – أيجزي أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري، وقلنا: لا تخبر بنا، فدخل فسأله فقال: "من هما؟" قال: زينب، قال: "أي الزيانب؟" قال: امرأة عبدالله، قال: "نعم لها أجران؛ القرابة وأجر الصدقة"[٩٠].

وجه الدلالة: أن إخبار بلال – رضي الله عنه – باسم المرأتين بعد أن استكتمتاه جواباً لسؤال النبي – عليه الصلاة والسلام -؛ لكون إجابته أوجب من التمسك بما أمرتاه به من الكتمان لا يجوز تأخيره، ولا يقدم عليه غيره، وقد تقرر أنَّه إذا تعارضت المصالح بدئ بأهمها[٩١]، فإذا كانت المصلحة تقتضي كشف سر المريض جاز ذلك.

٢- حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: "إنَّما المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مالٍ بغير حق"[٩٢].

وجه الدلالة: أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – جعل في هذا الحديث المجالس وما يُقال بها من الأمانة، إلا تضمّن السِّرُّ أذىً للآخرين من تبييت لنوايا القتل، أو

تدبير أمر سيء من سرقة أو انتهاك أعراض ونحو ذلك، والأمانة يجب حفظها، وكذلك سر المريض، فإنَّ الأصل حفظه، وعدم إفشائه؛ لما يتضمن ذلك من ضررٍ يلحق بالمريض، إلَّا إذا تضمن كتمان السِّر ضرراً أعظم، فإنّه يجوز إفشاؤه لمصلحة أرجح.

٣- قوله عليه الصلاة والسلام: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا"(٩٣).

وجه الدلالة: أنَّ هذا الحديث يدلُّ على حرمة الأنفس والدماء، ووجوب حمايتها وصيانتها مما يعرضها للتلف أو الأمراض، فإذا كان ذلك يتوقف على إفشاء سرِّ المريض، فإنَّه يشرع، وقد يجب في بعض الحالات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب(٩٤).

ثالثاً: دليل القياس:

يجوز إفشاء السِّر الطبيّ كما يجوز جرح الشهود والرواة وبيان عيوبهم بجامع كونهما من النصح المشروع.

وتوضيح ذلك: أنه وقع إجماع الأمة على مشروعية جرح الشهود والرواة، وبيان عيوبهم التي تُرد أقوالُهم من أجلها، واستثناء ذلك من الغيبة المحرمة، واعتباره من النصح المشروع(٩٥)، وكذلك الحال هنا بالنسبة للمريض فإنَّه يجوز إفشاء السرِ الطبيِّ إذا كان ذلك لمصلحة راجحة، ويُعد ذلك من النُصح الشرعيّ للغير.

رابعاً: الأدلة من القواعد الفقهيَّة:

١- "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما"(٩٦).

وجه الدلالة: أنَّ هذه القاعدة دلت على أنَّه إذا وقع التعارض بين مفسدتين، فإننا ننظر إلى أيهما أشد فنقدمها على التي أخف منها.

وفي مسألة إفشاء السِّر الطبيّ، وقع التعارض بين مفسدة إفشاء هذا السِّرِّ وإلحاق الضرر والمفسدة بالمريض، وبين مفسدة أخرى أعظم منها، فترتكب المفسدة الأولى – وهي الأقل –؛ لدفع ما هو أعظم منها.

٢- "الأمور بمقاصدها"[٩٧].

وجه الدلالة: أنَّ هذه القاعدة دلت على أنَّ الأعمال معتبرة على حسب النيات والمقاصد، وعليه فإن إفشاء الطبيب لسِّر المريض يختلف حكمه بحسب اختلاف المقصود منه، فإن كان المقصود منه جلب مصلحة، أو دفع مفسدة، فإنَّه يكون مقصداً محموداً، وعملاً مشروعاً يثاب فاعله ويمدح عليه.

وإمّا إن كان المقصود به هو الإضرار بالمريض، أو التحدث بسِّر المريض دون أيِّ مصلحة تُجلَبُ من ذلك، أو دون أيِّ مفسدة تُدفَعُ، أو كان القصد إظهار عيوب الشخص هذا، فإنه يكون مقصداً محرماً، وعملاً غير مشروع.

٣- "الضرر يزال"[٩٨].

وجه الدلالة: أنَّ هذه القاعدة دلت على أن إزالة الضرر عن المكلف مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وعليه فإنَّ إفشاء السِّر الطبيّ إذا تضمن إزالة ضرر، أو دفع مفسدة فإنَّه يجوز ذلك، وقد يجب في بعض الحالات كما سيأتي بيانه.

* إذا تقرر ذلك – أعني جواز إفشاء الطبيب سر المريض في بعض الحالات – فإن أبرز الحالات التي يجوز فيها إفشاء السِّر الطبيّ ما يلي:

أولاً: أن يأذن المريض نفسه بذلك:

الأصل أنَّ السَّر الطبيّ حق لهذا المريض، فإذا أذن بإظهاره وإفشائه فإنَّه يجوز ذلك، بشرط أن يكون هذا السِّر يختص بالمريض وحده، ولا يتعلق أو يرتبط بالغير، فإن كان كذلك فإنه لا يجوز إفشاؤه؛ لأنه لم يصبح حقاً خالصاً متمحضاً له.

ثانياً: إفشاء السِّر الطبيّ لطبيبٍ آخر لمصلحة المريض:

يجوز للطبيب أن يُفشي سرَّ المريضِ الطبيّ لطبيب آخر إذا أراد استشارته في حالة المريض، وقد يعود ذلك بالخير على المريض من ناحية تشخيص مرضه، أو وصف علاج معين له، أو غير ذلك.

وفي حكم ذلك: أن يفشي الطبيبُ سرَّ مريضهِ لأهله إذا كان ذلك مفيداً في علاجه، أو حتى يقوم الأهل باستشارة طبيب آخر في البلد نفسه أو بلد آخر، وغير ذلك، فإنَّ ذلك كلّه جائز؛ لمصلحة المريض، ودفعاً لما هو أعظم من الضرر المتعلق بمرض المريض.

ثالثاً: حالة دفاع الطبيب عن نفسه:

إذا أُتُّهِمَ الطبيب المعالج بارتكاب جناية طبّية معينة، كالإجهاض[٩٩]، أو استئصال عضو من مريضٍ دون مسوّغ طبيّ معتبر، أو أُتُّهِمَ بارتكاب خطأ طبي ما، وغير ذلك مما قد يُتُهم به هذا الطبيب، فإنّه يجوز له في هذه الحالة أن يكشف سرَّ المريض الطبيَّ للدفاع عن نفسه، أمام الجهات المختصة، كالقضاء أو نقابة الأطباء أو غير ذلك[١٠٠].

رابعاً: إفشاء السِّر الطبيّ لأغراض البحث العلميّ:

يجوز إفشاء السِّر الطبيّ لغرض البحث العلميّ والتعلم، ويشترط في هذه الصورة عدم كشف اسم المريض أو إبراز أي شيء يميّز صاحبه؛ للمصلحة المترتبة على ذلك، وهو غرض التعلم والبحث العلميّ، ويعدُّ هذا من المصلحة العامة الراجعة إلى الجماعة؛ وذلك لما يترتب على التعلم والبحث العلميّ من تعلم التداوي الذي يمكن دفع ضرر الأسقام والأمراض عن المجتمع، وحصول السلامة بإذن الله

تعالى لأفراده، ويشهد لهذا قاعدة: "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما"، وكذلك قاعدة: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

خامساً: انقضاء حالة السر الطبيّ:

ويقصد بذلك أن السرَّ الطبي ينقضي، ولا يصبح سراً، فإنَّه يجوز في هذه الحالة للطبيب إفشاؤه؛ إذ لم يعد سراً حتى يَحْرُمَ إفشاؤه.

وينقضي السِّر الطبيّ بأمور، منها:

١- أن يبوح المريض نفسه بذاك السِّر ويظهره للآخرين، إذ لا يعود سراً في هذه الحالة فيُكتم، ولذا يرتفع الحرج، ويجوز إفشاؤه[١٠١]، يقول الحافظ ابن حجر[١٠٢]: "في الحديث فضل كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمّن سمعه"[١٠٣].

٢- أن يكون كتمان السِّر الطبيّ لأجل معين، فينقضي ذلك الأجل، كأن يطلب المريض من طبيبه أن لا يبوح بأسراره الطبيَّة إلى أمد معين، فإذا انقضى ذلك الأمدُ فإننا نحكم بانقضاء حالة السَّر الطبيّ.

وهنا مسألتان تتعلقان بانقضاء حالة السّر الطبيّ:

المسألة الأولى: هل موت المريض يعدُّ من انقضاء السرِّ الطبيّ؟ بمعنى: إذا مات المريض: هل يجوز للطبيب إفشاء سرّه الطبيّ؟

أصل هذه المسألة أن يُقال: إذا مات صاحب السِّر – عموماً – وكان السِّر ينتفي بالموت وهو الغالب، فيباح إفشاؤه وإلَّا فلا، قال الحافظ ابن حجر: "إذا مات – أي صاحب السر – لا يلزم من الكتمان ما كان يلزم في حياته، إلَّا أن يكون عليه غضاضة"[١٠٤].

وبناءً على ما ذكره الحافظ ابن حجر يجوز للطبيب إفشاء سر المريض بعد وفاته إلَّا إذا تضمن ذلك غضاضة في حق المريض فلا يجوز.

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن سرَّ المريض محترم كسرِّ الحيّ، ويقيّد ذلك بالمصالح والمفاسد، فإن ظهر رجحان مصالحه أفشي، وإلا فالأصل حرمة ذلك؛ إذ إن الإنسان مكرم حياً وميتاً، فإذا كتمان معاصيه من الستر الذي ندب إليه الشرعُ فكذا ما يظهر منه بعد موته، وقد قال النبي – عليه الصلاة والسلام – في حديث أبي رافع – رضي الله عنه –: "من غسل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة"[١٠٥]، بل ندب النبي – عليه الصلاة والسلام – إلى ذكر محاسن الأموات والإعراض عن مساوئهم، فقال: "اذكروا محاسنَ موتاكم، وكفوا عن مساوئهم"[١٠٦].

يقول المناوي[١٠٧]: "لا تذكروهم إلَّا بخير" فذكر محاسنهم مندوب، وذكر مساوئهم حرام إلا لضرورة أو مصلحة"[١٠٨].

وجاء في حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: "إذا مات صاحبكم فدعوه، ولا تقعوا فيه"[١٠٩]، قال ابن حبان[١١٠]: "قوله – عليه الصلاة والسلام – "فدعوه" أراد به عن مساوئه دون محاسنه"[١١١].

المسألة الثانية: هل شفاء المريض من مرضه يعدُّ من انقضاء السِّر الطبيّ؟ بمعنى: إذا شُفِيَ المريض من مرضه، هل يجوز للطبيب إفشاء سر المريض؟

نصَّتْ طائفةٌ من العلماء على أنَّه إذا انقضت الأضرار والمفاسد التي يتضرر بها المكتوم عنه أو غيره من جميع جوانبها: بدنياً ونفسياً ومعنوياً ومالياً، يجوز إفشاء ذلك السِّر[١١٢].

وبناءً عليه إذا زال الضرر المتعلق بالمريض – وهو المرض – وشُفي من سقمه، يجوز عندها للطبيب إفشاء ذلك السِّر الطبيّ.

ويستقيم هذا إذا كان سبب مشروعية كتمان السِّر: الضرر، وأمَّا إذا كان السبب هو: حمل الأمانة فلا تنقضي بذلك، وهو الأرجح؛ لأنَّ السنة النبوية عدت كتمان السِّر وعدم البوح به من الأمانة، كما في حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – أنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: "إنَّما المجالس بالأمانة، إلَّا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مالٍ بغير حق"[١١٣]، ولأنَّ هناك أمراضاً معينة – كالنفسية مثلاً – لو شُفِيَ الإنسانُ منها، فإنّه لا يحب – غالباً – أن يُفشِي أمره بما قد أصابه من بلاء.

المطلب السادس

الحالات التي يجب فيها إفشاء السِّر الطبيّ

تقدم في المطلب السابق الحالات التي يجوز فيها إفشاء السِّر الطبيّ، ولا يلزم الطبيب ذلك على سبيل الوجوب، إلَّا أنَّه ثمة حالات أخرى يجب على الطبيب أن يُفشِيَ سرَّ مريضه، بمعنى أنَّه ملزم شرعاً إظهار ذلك، وإلَّا كان آثماً.

وهذه الحالات كذلك – أعني التي يجب فيها إفشاء السِّر الطبيّ – بمثابة الاستثناء من الأصل العام، وهو وجوب كتمان السِّر، وحرمة إفشائه.

والأصل في الحالات التي يُلْزَمُ الطبيبُ بها إفشاءِ سرِّ مريضهِ أن يُقال: أنَّ كل ما فيه درء للمفسدة عن الأفراد أو الجماعة، وكان ذلك يتوقف على إفشاء ذلك السرِّ الطبيّ لَزِمَ ذلك وَوجَبَ، وحَرُمَ كتمانهُ، يقول العز بن عبد السلام:" والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح "[١١٤]، ويقول المناوي: " وفي حديث جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – قال: المجالس بالأمانة[١١٥]، فلا يشيع حديث جليسه، إلا فيما يحرم ستره من الإضرار بالمسلمين "[١١٦].

ويشهد لهذا الأصل عددٌ من القواعد، منها:

أولاً: قاعدة " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح "[١١٧].

هذه القاعدة تدلُّ على أنّ المفسدة إذا كانت هي الراجحة، وأعظم من المصلحة، فدرؤها مقدم على جلب المصلحة، يقول العز بن عبد السلام: " فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة، درأنا المفسدة، ولا نبالي بفوات المصلحة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[١١٨] حرمهما لأن مفسدتهما أكبر من منفعتها "[١١٩].

وفي مسألة السِّر الطبيّ إذا كانت المفسدة المترتبة على كتمانه أعظم من المصلحة المترتبة على ذلك، فإنّه يجب إفشاؤه درأً للمفسدة.

ثانياً: قاعدة: "يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام"[١٢٠].

هذه القاعدة تدلُّ على أنّه إذا تعارض ضرران أحدهما عام والآخر خاص، فإننا نرتكب الضرر الخاص؛ لإزالة الضرر العام.

وفي مسألة السِّر الطبيّ إذا تضمن إفشاؤه ضرراً خاصاً – وهو المتعلق بالمريض – وكان ذلك الكتمان ينبني عليه ضررٌ عامٌ يتعلق بالجماعة، فإنّه يجب إفشاؤه؛ لأن الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام.

ثالثاً: قاعدة: "الضرر يزال".

فهذه القاعدة تدلُّ على أن إزالة الضرر عن المكلف مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وكذلك لزوم إزالة الضرر، وعليه إذا توقف إزالة الضرر، ودرء المفسدة على إفشاء السرِّ الطبيّ، فإنّه يجب ذلك.

رابعاً: قاعدة: "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما".

فالقاعدة تدلُّ أنّه إذا وقع التعارض بين مفسدتين، فإننا ننظر إلى أيهما أشد فنقدمها على التي أخف منها، فإذا كانت المفاسد المترتبة على كتمان السَّر الطبيّ أعظم من المفاسد المترتبة على إفشائه – والتي غالبها يتعلق بالمريض نفسه – فإنّه يجب مراعاة أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما، ويقال: يجب إفشاء السِّر الطبيّ، ويحرمُ كتمانه.

* إذا تقرر ذلك – أعني وجوب إفشاء الطبيب سر المريض في بعض الحالات – فإن أبرز الحالات التي يجب فيها إفشاء السِّر الطبيّ ما يلي:

أولاً: الإبلاغ عن الأمراض المعدية:

إذا تبين للطبيب أنّ المريض قد أُصيب بمرض معدٍ، كالإيدز والسّل والزهريّ، فإنّه يجب على الطبيب إخبارُ الجهات المختصة بذلك؛ من أجل منعه من الانتشار؛ حمايةً للمجتمع؛ وتحجيماً للمرض من الانتشار.

إلا أنّ الأمر بالإفشاء قد يكون نسبياً إذا كان خطره يتعلق بالأفراد، كإعلان الطبيبُ لأحد الزوجين عن إصابة صاحبه بمرض يمنع اقترانهما أو يضر بالآخر لعدم اتفاقهما، إلا أنّه من الممكن لهما الاقتران مع الآخرين من غير ضرر، فعلى الطبيب المستشار الصدق والنصيحة مع من استشاره؛ لقوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[١٢١]، وكما لو أستشير الطبيب في أهلية المريض النفسيّ للزواج.

ثانياً: الكشف عن الجرائم:

إذا كان الكشف عن جريمة ما، أو كان تحديد طبيعة جريمة معينة يتبين للجهات المختصة من خلال تحديد نوع المرض أو الإصابة التي أُصيب بها المريض أو المجني عليه، فيجب على الطبيب أن يظهر ذلك المرض، ويعلنه لتلك الجهات ولا يجوز له كتمانه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[١٢٢]، والقاعدة تقول: "ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب"، وكذلك: "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما".

كذلك يجب على الطبيب إفشاء السِّر الطبيّ عند صدور أمر قضائيّ، أو استفسار من أحد القضاة المختصين حسب الأنظمة المتبعة[١٢٣].

ثالثاً: منع وقوع جريمة معينة من قِبل المريض:

قد يَعْتَرِفُ المريض للطبيب بنيته القيام بجريمة معينة، كقتل شخص من أقاربه أو جيرانه، وكثيراً ما يقع ذلك – أي الاعتراف – في الأمراض النفسيّة، فهنا يجب على الطبيب النفسيّ الإفشاء إلى الجهات الرسمية بذلك أو إلى ذويه؛ لمنع وقوع تلك الجريمة، وقد قال النبي – عليه الصلاة والسلام – في حديث أبي سعيد – رضي الله عنه –: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[١٢٤]، ولأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

رابعاً: إذا كان كتمان السِّر الطبي يؤدي إلى ضرر أكبر:

إذا كان كتمان سر المريض يؤدي إلى ضرر أكبر من إفشائه، كما لو كان المريض بحاجة إلى كشف مرضه أمام عائلته؛ لأجل العناية به قبل أن يستفحل مرضه بسبب الإهمال، أو لأجل حجزه في مستشفى معين أو خاص، فإنّه يجب إعلام الطبيب ذويه بذلك، والقاعدة تقول: "ارتكاب أهون الضررين لتفويت أشدهما"[١٢٥].

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

أولاً: يقصد بالسِّر الطبيّ كل أمرٍ اطلع عليه الطبيب بحكم عمله، سواء أأفضى به المريض، أو غيره، أو علم به نتيجة الفحص، أو التشخيص أثناء ممارسته لمهنته، وكان للمريض أو لذويه مصلحة مشروعة في كتمانه.

ثانياً: السِّرَ الطبيَّ لا يكون سراً طبياً إلا إذا توفرت فيه ثلاثة قيود: أن يعلم به الطبيب بصفته طبيباً، وأن يتوصل الطبيب إلى هذه المعلومات أثناء ممارسته لمهنته، من تشخيص للداء، أو علاجٍ، أو مباشرة لجسد المريض، أو من خلال ما أدلى به المريض أو ذووه لتشخيص المرض ونحو ذلك، وأن يكون المرض وما يتعلق به سرياً، بحيث يترتب على إفشائه ضرر أو مفسدة تلحق بالمريض أو ذويه.

ثالثاً: دأبت جميع القوانين والأنظمة المنظمة لهذه المهنة النبيلة، وكذا منظمات حقوق الإنسان، إلى عدّ حفظ سرِّ المريض من أخلاقيات الطبيب التي ينبغي التحلي بها، والشريعة لها السَبْقُ في ذلك.

رابعاً: الأصل وجوب كتمان السِّر الطبيِّ وحرمة إفشائه، ويتأكد هذا الوجوب من حفظٍ للسِّر ممن يعمل في المهن الطبيَّة وعلى رأسهم الطبيب.

خامساً: الشروط الواجب توفرها لتحقق المسؤولية في إفشاء السِّر الطبيّ: أن يتحقق في المرض المكتوم دواعي السريّة، وفعل الإفشاء، والقصد الجنائيّ من الإفشاء.

سادساً: الآثار المترتبة عند ثبوت مسؤولية إفشاء السِّر الطبيّ، الإثم، والتعزير، والضمان.

سابعاً: يجوز إفشاء السر لمصلحة أو دفع مفسدة، ومن أبرز حالات الجواز: أن يأذن المريض نفسه بذلك، إفشاء السِّر الطبيّ لطبيبٍ آخر لمصلحة المريض، حالة دفاع الطبيب عن نفسه، إفشاء السِّر الطبيّ لأغراض البحث العلميّ، انقضاء حالة السر الطبيّ.

ثامناً: ينقضي السِّر الطبيّ بأمور، منها: أن يبوح المريض نفسه بذاك السِّر ويظهره للآخرين، وأن يكون كتمان السِّر الطبيّ لأجل معين.

تاسعاً: موت المريض لا يعدُّ من انقضاء السرِّ الطبيّ على الصحيح من أقوال الفقهاء.

عاشراً: إذا زال الضرر المتعلق بالمريض – وهو المرض – وشُفي من سقمه، لا يجوز للطبيب إفشاء ذلك السِّر الطبيّ، لأن العلة في ذلك حمل الأمانة فلا ينقضي السِّر الطبيّ بشفاء المريض.

الحادي عشر: الأصل في الحالات التي يُلْزَمُ الطبيبُ بها إفشاءِ سرِّ مريضهِ أن يُقال: أنَّ كل ما فيه درء للمفسدة عن الأفراد أو الجماعة، وكان ذلك يتوقف على إفشاء ذلك السرِّ الطبيّ لَزِمَ ذلك وَوجَبَ، وحَرُمَ كتمانهُ.

الثاني عشر: أبرز الحالات التي يجب فيها إفشاء السِّر الطبيّ: الإبلاغ عن الأمراض المعدية، الكشف عن الجرائم، منع وقوع جريمة معينة من قِبل المريض، إذا كان كتمان السِّر الطبي يؤدي إلى ضرر أكبر.

الهوامش والتعليقات:

(١) الكفويّ، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٨م، ص٤١٥

(٢) ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ج٤، ص٥٠٤

(٣) سورة الطارق، آية ٩

(٤) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، دار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ، ص٧٨٩

(٥) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط. الثانية، ١٩٩٤م، ج١، ص٤٠٤

(٦) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، المعروف بالراغب، العلاّمة، المحقّق، الباهر، من أذكياء المتكلّمين، صاحب التصانيف، سكن بغداد، وفيها نبغ واشتهر، وكان يُقرن بمعاصره الغزالي، مؤلفاته تدل على طول باعه في اللغة والأدب، وإحاطته بالفقه والتفسير، وعلى أنه من الحكماء العلماء، وعدّه البيهقي من حكماء الإسلام، وأورد بعض أقواله في هذا الجانب، من مؤلفاته: تحقيق البيان، جامع التفسير، الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأخلاق ويسمى بأخلاق الراغب، توفي عام ٥٠٢هـ، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢١٥

(٧) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ج١، ص٤٠٤

(٨) هو أيوب بن موسى الحسينيّ القريميّ أبو البقاء الكفويّ، أحد قضاة الأحناف، ولد في مدينة كَفَهْ، تضلع من الفقه والأصول وعلم الكلام وعلوم العربية، وبعد موت أبيه – مفتي كَفَهْ – صار إليه الإفتاء والقضاء فيها، ثم ولي القضاء في القدس وبغداد، توفي عام ١٠٩٤هـ، من أشهر كتبه "الكليات" وهو معجم موسوعيّ نفيس. ينظر: الباباني، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، ص٢٢٩، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص٣١، والزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٨

(٩) الكفويّ، الكليات، ص٤١٥

(١٠) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، ج١، ص٥٥٣، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، ج١، ص٣٥١

(١١) ابن منظور، لسان العرب، ج١ص٥٥٤

(١٢) البعلي، شمس الدين محمد بن أبي الفتح، المطلع على أبواب المقنع، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٩٨١م، ص٢٦٧

(١٣) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخيّ البخاريّ، ولد بخرميش من قرى بخارى عام ٣٧٠هـ، كان شاعراً مشاركاً في علوم عديدة، وبرز في علم الطب واشتهر به، من مؤلفاته: القانون في الطب، والموجز الكبير في المنطق، ولسان العربية في اللغة، ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص٢٠

(١٤) ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي، القانون في الطب، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٤٢١هـ، ج١، ص٣

(١٥) المرجع السابق

(١٦) أي بعد أن صار المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة، فلا يدل جزءُهُ على معناه، حيث صار لقباً على الفن المخصوص وهو محل البحث.

(١٧) كنعان، أحمد، الموسوعة الطبيّة الفقهيّة، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٢م، ص٥٥٦، ومجموعة من الأطباء، الموسوعة الطبية الحديثة، لجنة النشر العلمي بوزارة التعليم العالي بجمهورية مصر العربية، ط. الثانية، ١٩٧٠م، ج٣، ص٢١٦

(١٨) التشخيص هو: "الفن أو السبيل الذي يتسنى به تعرف نوع المرض". ينظر: مجموعة من الأطباء، الموسوعة الطبية الحديثة، ج٣، ص٣١١

(١٩) الأمراض النفسيّة: اضطراب وظيفيّ في الشخصية، نفسيّ المنشأ، يبدو في صورة أعراض نفسيّة وجسمية مختلفة، ويؤثر في سلوك الشخص، فيعوق توافقه النفسيّ، ويعوقه عن ممارسة حياته السويَّة في المجتمع الذي يعيش فيه. ينظر: زهران، حامد عبد السلام، الصحة النفسيَّة والعلاج النفسيّ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٩، وياسين، عطوف، أسس الطب النفسيّ الحديث، من منشورات بحسون الثقافية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨م، ص٢٢٩

(٢٠) الكبيسي، عمر شاكر، أحكام الكتمان في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الريان، ٢٠١٢م، ص٢١٧

(٢١) الكتمان في اللغة: مادة الكتمان في لغة العرب تدلُّ على إخفاء وستر، يقال: كَتَمْتُ الحديثَ كَتْمَاً وكِتماناً، وهو نقيض الإعلان. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٣٠.

والكتمان في الاصطلاح: ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه، وحصول الداعي إلى إظهاره. ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢١هـ، ج٤، ص١٨٤

(٢٢) الإفشاء في اللغة: مأخوذٌ من فَشا الخبر يَفْشو فُشُوَّاً وفُشِيّاً، أي انتشر وذاع، وأفْشاهُ غيره، وتَفَشَّى الشيء، أي اتسع، وفشا الشيء: ظهر. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٣، ص٦٩، وابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١٥٥.

وإفشاء السِّر اصطلاحاً: تعمد الإفضاء بسرٍّ من شخص ائتمن عليه، في غير الأحوال التي توجب فيها الشريعة الإسلامية الإفضاء، أو تجيزه. ينظر: قلعه جي، محمد رواس، و حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ، ص٤٢٥

(٢٣) سورة المؤمنون، آية ٨، والمعارج، آية ٣٢

(٢٤) هو أبو عبد الله محمد بن محمد العبدريّ الفاسيّ المعروف بابن الحاجّ، كان عالماً بالمذهب المالكي، قال عنه ابن فرحون: "من عباد الله الصالحين العلماء العاملين"، وهو صاحب التصانيف الجليلة، من أبرز آثاره كتاب المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على

بعض البدع والعوائق التي انتحلت وبيان شناعتها، توفي عام ٧٣٧هـ. ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ص٢٨١

(٢٥) الفاسي، محمد بن محمد العبدريّ، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائق التي انتحلت وبيان شناعتها، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط. الثانية ١٤١٨هـ، ج٤، ص١٤٣

(٢٦) هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح الحنبليّ الدمشقيّ، ولد بدمشق عام ٨١٠ هـ، تولى القضاء بدمشق، وكان مرجعاً للفقه في زمانه، وطُلِبَ منه تولي القضاء بمصر فاعتذر متعللاً، توفي سنة ٨٨٤ هـ، من مؤلفاته: المبدع شرح المقنع، مرقاة الوصول إلى علم الأصول، المقصد الأرشد في ترجمة الإمام أحمد. ينظر: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٣٨، والضوء اللامع، ج١، ص١٥٢

(٢٧) ابن مفلح، برهان الدين أبو إسحاق بن محمد بن عبد الله، الفروع، دار الكتب العلمية، بيروت ط. الأولى، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص٢١٧

(٢٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج١، ص١٢٣، برقم ١٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، ج١، ص١٣٦، برقم ٤٥

(٢٩) هو الإمام أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ولد عام ٢١هـ، وكان من أجلاء التابعين وكبرائهم علماً وعملاً، توفي عام ١١٠هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص٢٦٦، وابن حزم، المحلى، ج٨، ص١٩٣

(٣٠) ابن أبي الدنيا، عبدالله محمد عبيد البغدادي، الصمت وآداب اللسان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط. الأولى، ١٤٢٥هـ، ص٤٥٠

(٣١) التكريتي، راجي عباس، السلوك المهني للأطباء، دار الأندلس للطباعة، مصر، ط. الثانية، ١٩٨٤م، ص١٢٨

(٣٢) ابن مفلح، الفروع، ج٢، ص١٧٠، والبهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٦هـ، ج٢، ص٧٢٩، وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة الخيرية بمصر ط. الأولى سنة ١٣١٩هـ، ج١١، ص٨٤، وابن القيم، شمس الدين، إعلام الموقعين عن رب العالمين: دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٢٥هـ، ج٤، ص٢٥٧

(٣٣) سورة الأنفال، آية ٢٧

(٣٤) العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٢٣هـ، ج٢٢، ص٤٨٦

(٣٥) الغزالّي: هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد، ولد عام ٤٥٠هـ، وتفقه على إمام الحرمين، ويعدُّ من كبار فقهاء الشافعية وأجلائهم، وبرع في علوم كثيرة، وكان إماماً مقدماً فيها، توفي بطوس عام٥٠٥هـ، من مؤلفاته: المستصفى، تهافت الفلاسفة، إحياء علوم الدين. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٣، ١٧٤، ابن هداية، طبقات الشافعية، ص٦٩

(٣٦) الغزاليّ، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٦م، ج٣، ص١٣٢

(٣٧) الماوردي: هو الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصريّ الماوردي، الفقيه، الحافظ، الحجة، من أكابر فقهاء الشافعية، ولد عام ٣٦٤هـ، وتوفي عام ٤٥٠هـ، ألف في فقه الشافعية موسوعة ضخمة في أكثر من عشرين جزءاً، لقب بأقضى القضاة، وتولى منصب قاضي القضاة، من مؤلفاته: الحاوي الكبير، نصيحة الملوك، الإقناع مختصر الحاوي، تهيل النظر، الأمثال والحكم. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٢٥

(٣٨) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصريّ، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ، ص٢٩٥

(٣٩) سورة الأحزاب، آية ٥٨

(٤٠) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، ج١٤، ص٢١٤، الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٨٩م، ج٤، ص٣٠٣

(٤١) سورة الحجرات، آية ١٢

(٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة، ج٤، ص١١٣٠، برقم ٢٥٨٩

(٤٣) ابن مفلح، برهان الدين أبو إسحاق بن محمد بن عبد الله، النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر، دار الكتاب العربي، ط. الأولى، ١٩٨٩م، ج١، ص١٩٠

(٤٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر جاره، ج٢، ص٧٨٤، برقم ٢٣٤٠، وأحمد في المسند، ج٥، ص٣٢٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ج٦، ص١٥٦، برقم ٤٥١٣، والحديث حسَّنه الألباني في إرواء الغليل، ج٣، ص٤٠٨

(٤٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب نقل الحديث، ج٤، ص١٩٣، برقم ٤٨٦٨، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء إنّ المجالس بالأمانة، ج٣، ص٤٥١، برقم ١٩٥٩، وقال حديث حسن، والحديث حسَّنه الألباني في صحيح أبي داود، ج٣، ص٩٢٢، برقم ٤٠٧٥

(٤٦) آبادي، محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، دار ابن حزم، ط. الثانية ٢٠٠٣م، ج١٣، ص١٨٤

(٤٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب حفظ السِّر، ج٦، ص٥٣٠، برقم ٦٢٨٩، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أنس بن مالك، ج٦، ص٢٤٥، برقم ٢٤٨٢

(٤٨) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢٢، ص٤١٦

(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم، ج٢، ص٨٢٦، برقم ٢٤٤٢، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ج٤، ص١٩٩٦، برقم ٢٥٨٠

(٥٠) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، ج٢، ص٦٨٤، برقم ٤٨٦٩، وأحمد في المسند، ج٢، ص٣٤٢، والبيهقي في السنن الكبرى، ج١٠، ص٢٤٧، برقم ٦٢٤٥، وفي سنده ابن أخي جابر: لا يُعرف، ولم يترجم له أحد ممن صنف في رجال السنن، كتهذيب الكمال وتهذيب التهذيب، مع أنَّه على شرطهم !، وينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٩٤

(٥١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٧٢٣

(٥٢) سورة الإسراء، آية ١٦

(٥٣) سورة الإسراء، آية ١٦

(٥٤) معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط. ٢٨، ص٣١٦

(٥٥) الشوكاني، محمد علي، نيل الأوطار شرح المنتقى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٨٩م ج٥، ص٢٩٩

(٥٦) السيوطي، الأشباه والنظائر، ٢١١

(٥٧) مجلة الأحكام العدلية، المادة (٤١٦)، ص٢٣٥

(٥٨) الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، طبعة ١٤٢٠هـ، ١١٢

(٥٩) المرجع السابق

(٦٠) عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي في الإسلام، دار المعرفة، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٩٨م، ص١٢٠

(٦١) الزحيلي، وهبة، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. السادسة، ١٤١٩هـ، ص٣٢

(٦٢) الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط، الثالثة، ٢٠٠٤م، ص٣٠٠

(٦٣) الزحيلي، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي، ص٣٢، عبد القادر عودة، التشريع الجنائي في الإسلام، ص١٢٠

(٦٤) حسني، محمد نجيب، قانون العقوبات الطبيّ، دار النهضة العربية، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٦م، ص٢١٨، البنا، أحمد علي، المسؤولية في الجرائم الطبيّة، دار الفكر، ط. الأولى، ٢٠٠٢م، ص١٢٣

(٦٥) مصطفى، محمد محمود، مدى المسؤولية الطبية الجنائية للطبيب إذا أفشى سراً من أسرار مهنته، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد، جامعة بغداد، العدد الأول، ١٩٧٦م، ص٦٦٣

(٦٦) الأطرقجي، هدى سالم، مسؤولية مساعدي الطبيب الجزائية، الدار العلمية الدولية، عمان، ٢٠٠١م، ص١١٨

(٦٧) حسني، محمد نجيب، قانون العقوبات الطبيّ، ص٢٥٦

(٦٨) سبق تخريجه

(٦٩) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٥٦

(٧٠) القونوي، الشيخ قاسم، أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الوفاء، ط. الثانية، ١٩٨٧م، ص١٧٤

(٧١) الماوردي، الأحكام السلطانيّة، ص٢٢٧، القونوي، أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ص١٣٦

(٧٢) ابن فرحون هو: القاضي برهان الدين بن علي بن محمد بن فرحون، ولد عام ٧٣٠هـ، وتوفي عام ٧٩٩هـ، مغربي الأصل، ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها، وولي القضاء بها، ومات ودفن بها، من علماء المالكية، وبرع وأجاد في مذهب المالكية، كان واسع العلم، فصيح القلم، من أهل التحقيق والفضل، حتى أصبح قدوة العلماء، من مؤلفاته: الديباج المذهب، تبصرة

الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تسهيل المهمات، ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٣ ومخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص٢٢٢

(٧٣) ابن فرحون، القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ج٢، ص٢٨٨

(٧٤) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص١٢٥، مجلة الأحكام العدلية، المادة (٤١٦)، ص٢٣٥

(٧٥) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، إمام المذهب الحنفي، ولد عام ٥٨هـ، وهو من أجلاء علماء السلف وفقهائهم، تتلمذ على حماد بن أبي سليمان، وأخذ عن الشعبي والزهري وغيرهم، وله مناقب كثيرة، توفي عام ١٥٠هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٠٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٩

(٧٦) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧، ص١٢٩

(٧٧) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الديات، باب فيمن تطبب بغير علم، فأعنت، أي أضرّ المريض، وأفسد، ج٤، ص٢١٨، برقم ٣٩٧١، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب القسامة، باب صفة شبه العمد، ج٦، ص٢٣٦، برقم ٤٧٤٨، وابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من تطبب ولم يصلح منه طب، ج٤، ص١٥٣، برقم ٣٤٥٧، والحاكم في المستدرك، ج٤، ص٢١٢، وصححه، ووافقه الذهبي، وأعلّه الدارقطني؛ لأنه لم يسنده غير الوليد بن جريج، ولكن للحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن.

(٧٨) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمر الأزدي السجستاني، الإمام، الحافظ، الثبت، الفقيه، صاحب السنن، ولد عام ٢٠١٢هـ، وتوفي عام ٢٧٥هـ في البصرة. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٢، ص٥٩١

(٧٩) أبو داود، السنن، ج٤، ص٢١٨

(٨٠) ابن القيّم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب، أبو عبد الله بن القيم الزرعي الأصولي الفقيه الحنبلي، من أجلّ تلاميذ شيخ الإسلام بن تيمية، وقد بلغ مرتبة الاجتهاد، توفي عام ٧٥١هـ،

من مؤلفاته: إعلام الموقعين عن رب العالمين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مفتاح السعادة. ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص٤٧٧

(٨١) هو الإمام حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستيّ الخطابيّ، العلاّمة، الرحّال، المحدّث، الفقيه، الأديب، اللّغوي، الشاعر، ولد بمدينة بست مِنْ بلاد كابل الأفغانيّة، سنة بضع عشرة وثلاث مئة، سمع الحديث بمكة والمدينة والبصرة والكوفة، قال عنه الإمام الثعالبي: "كان يُشَبَّهُ في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلاّم في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً"، من مؤلفاته: إصلاح غلط المحدثين، إعلام السّنن، غريب الحديث، معرفة السنن والآثار، كتاب النجاح، توفي ببُست في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٣، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٠١٨، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص٣١٢

(٨٢) ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الطب النبويّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١هـ، ص١٠٩

(٨٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص٣٨٧، النووي، يحيى بن شرف الدين بن زكريا، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الثالثة، ٢٠٠٢م، ج٧، ص٨٧

(٨٤) سورة يوسف، آية ٢٦

(٨٥) الطبري، ج٧، ص١٩١، تفسير النسفي، ج٢، ص١٨٥

(٨٦) هو عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي السلمي، الملقب "بسلطان العلماء" ولد سنة ٥٧٧هـ، وانتهت إليه رئاسة الشافعية بمصر، وكانت له مواقف جليلة محمودة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ، من مؤلفاته: قواعد الأحكام، الإشارة إلى الإيجاز، القواعد الصغرى "المقاصد"، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣٥

(٨٧) سورة يوسف، آية ٢٦

(٨٨) السلميّ، عز بن عبد السلام بن حسن، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، دار الكتب العلمية، مصر، ط. الثانية، ٢٠٠٣م، ص٣٨٩

(٨٩) ربطة بنت عبدالله بن معاوية الثقفية، زوجة عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –، ويقال: اسمها: رائطة بن مسعود، ويقال: اسمها: زينب، ورائطة لقب، وكانت تنفق على عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – و ولده، ولها صحبة، سمعت النبي – عليه الصلاة والسلام – روى عنها: عمرو بن الحارث من بني المصطلق. ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٦٦١

(٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج، ج٤، ص١١٦، برقم ١٤٦٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة على الأقربين، ج٥، ص٨٣٦، برقم ١٠٠٠

(٩١) ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص٣٨٧، النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٧، ص٨٧

(٩٢) تقدم تخريجه

(٩٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي – عليه الصلاة والسلام – لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ج٦، ص٢٥٩٣، برقم ٦٦٦٧، ومسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ج٣، ص١٣٠٥، برقم ١٦٧٩

(٩٤) البعلي، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس بن اللحام، القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، مطبعة السنة المحمدية، ط. الثانية، ١٤٢٢هـ، ص٩٢

(٩٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٢٣هـ، ج٢، ص٦٧٠، ابن الصلاح، تقي الدين أبو عمرو، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار أضواء السلف، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ، ص٢٩٣

(٩٦) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ، ص٢١١، الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، المنثور في القواعد، مؤسسة الفليج بالكويت، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ، ص١٥٦

(٩٧) السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، ص١٣، السلميّ، عز بن عبد السلام بن حسن، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ، ج١،ص١٧٦، القرافيّ، أحمد بن إدريس بن عبد الرحيم الصنهاجيّ، الأمنية في إدراك النية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٤١٨هـ، ص١٦٩

(٩٨) السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، ص٨٣، والزركشي، المنثور في القواعد، ص٨٢

(٩٩) الإجهاض لغة: مصدر للفعل أجهض، يقال أجهضت الناقة والمرأة ولدها إجهاضاً، أي أسقطته ناقص الخلق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص١٣١، الفيومي، المصباح المنير، ج١، ص١٥٦، فهي مُجهِض، والولد مُجهَض وجهيض. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٠٦٩

وعليه فالإجهاض: لفظ يطلق على إسقاط الجنين قبل موعده الطبيعيّ ومن غير أن يعيش.

والإجهاض اصطلاحا: لا يخرج التعريف الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال صاحب الفتاوى الخانية: "إذا أسقطت المرأة الوليد بعلاج، أو شربت دواء تعهدت به إسقاط الولد بمعنى أجهضته". ينظر: قاضي خان، حسن منصور بن فخر الدين، الفتاوى الخانية، مطبوع بهامش الفتاوى الهندية، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ط. الثانية، ١٤١٠هـ، ج٣، ص٤١٠

(١٠٠) صلاح الدين، طارق محمد، مسؤولية الطبيب الجنائية المترتبة على إفشاء السر المهني، الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع، www.ssfcm.org

(١٠١) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٧٧

(١٠٢) هو الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ، وكان إماماً في علوم كثيرة خاصة في علم الحديث والفقه والتاريخ، توفي سنة (٨٥٢) بمصر،

من مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. ينظر: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٢٥، وكحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص٢٠

(١٠٣) ابن حجر، فتح الباري، ج١١، ص٤٥٢

(١٠٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص١٧٧

(١٠٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ج١، ص٣١٥، برقم ٩٢٩، والحاكم في المستدرك، ج١، ص٥٠٥ برقم ١٣٠٧، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى، ج٣، ص٣٩٥، برقم ٦٤٤٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤، ص١١٤: "رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح".

(١٠٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الأموات، جج٢، ص٦٩٢، برقم ٤٩٠٠، والترمذي في جامعه، كتاب الجنائز، ج٣، ص٣٣٩، برقم ١٠١٩، وقال: "حديث غريب، سمعت محمداً – يعني البخاري – يقول عمران بن أنس منكر الحديث"، وابن حبان في صحيحه، ج٧، ص٢٩٠، برقم ٣٠٢٠، والحاكم في المستدرك، ج١، ص٥٤٢، برقم ١٤٢١، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(١٠٧) هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نور الدين علي بن زين العابدين المناوي القاهري، ولد عام ٩٥٢هـ، وتوفي عام ١٠٣١هـ، الفقيه الإمام المحدث، له أكثر من مائة مصنف، منها: فيض القدير، كنوز الحقائق، شرح الشمائل للترمذب. ينظر: البدر الطالع، ج١، ص٣٥٧

(١٠٨) المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نورالدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط. الأولى، ١٣٥٦هـ، ج١، ص٥٨٦

(١٠٩) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الأموات، ج٢، ص٦٩٢، برقم ٤٨٩٩، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي – عليه الصلاة والسلام –، ج٥، ص٧٠٩، برقم ٣٨٩٥، وقال: "حسن غريب صحيح"، وابن حبان في صحيحه، ج٧، ص٢٨٨، برقم ٣٠١٨

(١١٠) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد الدراميّ البستيّ، الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ خراسان، ولد عام ٢٧٠هـ، وتوفي عام ٣٥٤هـ، قال عنه الحاكم: "كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال"، من مؤلفاته: الثقات، التاريخ، الضعفاء. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢١٨

(١١١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج٧، ص٢٨٨

(١١٢) الغزاليّ، إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٣٢

(١١٣) تقدم تخريجه.

(١١٤) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج١، ص٩

(١١٥) تقدم تخريجه

(١١٦) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١، ص٢١٨

(١١٧) الزركشي، المنثور في القواعد، ص١٥٦

(١١٧) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص١١٢، العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج١،ص٩٨، القرافيّ، الأمنية في إدراك النية، دار الغرب الإسلامي، ص١٢٠

(١١٨) سورة البقرة، آية ٢١٩

(١١٩) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج١،ص٩٨

(١٢٠) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص٩٦، الزركشي، المنثور في القواعد، ص١٢٣، ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٩م، ص٨٧

(١٢١) سورة الأعراف، آية ٦٨

(١٢٢) سورة البقرة، آية ٢٨٣

(١٢٣) الشثري، سعد بن ناصر، أخلاقيات الطبيب المسلم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ، ص٤٣

(١٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج١، ص٦٨٨، برقم ٤٩

(١٢٥) السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، ص١٨١، الزركشي، المنثور في القواعد، ص١٢٨، القرافيّ، الأمنية في إدراك النية، ص٢١٥

قائمة المصادر والمراجع

- آبادي، محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، دار ابن حزم، ط. الثانية ٢٠٠٣م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط. الثانية، ١٩٩٤م.
- الأطرقجي، هدى سالم، مسؤولية مساعدي الطبيب الجزائية، الدار العلمية الدولية، عمان، ٢٠٠١م.
- البعلي، شمس الدين محمد بن أبي الفتح، المطلع على أبواب المقنع، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٩٨١م.
- البعلي، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس بن اللحام، القواعد والفوائد الأصوليةوما يتعلق بهامن الأحكام الفرعية، مطبعة السنة المحمدية، ط. الثانية، ١٤٢٢هـ.
- البنا، أحمد علي، المسؤولية في الجرائم الطبيّة، دار الفكر، ط. الأولى، ٢٠٠٢م.
- البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طالأولى، ١٤٢٦هـ.
- التكريتي، راجي عباس، السلوك المهني للأطباء، دار الأندلس للطباعة، مصر، ط. الثانية، ١٩٨٤م.
- حسني، محمد نجيب، قانون العقوبات الطبيّ، دار النهضة العربية، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٦م.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله محمد عبيد البغدادي، الصمت وآداب اللسان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط. الأولى، ١٤٢٥هـ.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢١هـ.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

- الزحيلي، وهبة، نظرية الضمان في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. السادسة، ١٤١٩هـ.
- الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، طبعة ١٤٢٠هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، المنثور في القواعد، مؤسسة الفليجبالكويت، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ.
- زهران، حامد عبد السلام، الصحة النفسيَّة والعلاج النفسيّ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الرابعة، ١٤٢٦هـ.
- ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، دار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ.
- السلميّ، عز بن عبد السلام بن حسن:

شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، دار الكتب العلمية، مصر، ط. الثانية، ٢٠٠٣م.

قواعد الأحكام في مصالح الأنام،دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

- ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي، القانون في الطب، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٤٢١هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين:

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٢٣هـ.

الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ

- الشثري، سعد بن ناصر، أخلاقيات الطبيب المسلم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ.

- الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط، الثالثة، ٢٠٠٤م.
- الشوكاني، محمد بن علي:
فتح القدير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٨٩م.
نيل الأوطار شرح المنتقى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٨٩م
- صلاح الدين، طارق محمد، مسؤولية الطبيب الجنائية المترتبة على إفشاء السر المهني، الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع، www.ssfcm.org.
- ابن الصلاح، تقي الدين أبو عمرو، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار أضواء السلف، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ.
- العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة الخيرية بمصر ط. الأولى سنة ١٣١٩هـ.
- عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي في الإسلام، دار المعرفة، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٩٨م.
- العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٢٣هـ.
- الغزاليّ، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٦م.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
- الفاسي، محمد بن محمد العبدريّ، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائق التي انتحلت وبيان شناعتها، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط. الثانية ١٤١٨هـ.
- ابن فرحون، القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
- القونوي، الشيخ قاسم، أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الوفاء، ط. الثانية، ١٩٨٧م.

- قاضي خان، حسن منصور بن فخر الـدين، الفتـاوى الخانيـة، مطبـوع بهـامش الفتـاوى الهنديـة، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ط. الثانية، ١٤١٠هـ.
- القرافيّ، أحمد بن إدريس بن عبد الرحيم الصنهاجيّ،الأمنية في إدراك النية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٤١٨هـ.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القـاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
- ابن القيم، شمس الدين:

إعلام الموقعين عن رب العالمين: دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٢٥هـ.

الطب النبويّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١هـ.

- الكبيسي، عمر شاكر، أحكام الكتمان في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الريان، ٢٠١٢م.
- الكفويّ، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٨م.
- كنعان، أحمد، الموسوعة الطبيّة الفقهيّة، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٢م،.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصريّ، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلميـة، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.
- مجموعة من الأطباء، الموسوعة الطبية الحديثة، لجنة النشر العلمي بوزارة التعليم العالي بجمهوريـة مصر العربية، ط. الثانية، ١٩٧٠م.
- مصطفى، محمد محمود، مدى المسؤولية الطبية الجنائية للطبيب إذا أفشـى سـراً مـن أسـرار مهنتـه، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد، جامعة بغداد، العدد الأول، ١٩٧٦م.
- معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط. ٢٨.
- ابن مفلح، برهان الدين أبو إسحاق بن محمد بن عبد الله:

الفروع، دار الكتب العلمية، بيروت ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر، دار الكتاب العربي، ط. الأولى، ١٩٨٩م

- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نورالدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط. الأولى١٣٥٦هـ.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٩م.
- النووي، يحيى بن شرف الدين بن زكريا، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الثالثة، ٢٠٠٢م.
- ياسين، عطوف، أسس الطب النفسيّ الحديث، من منشورات بحسون الثقافية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨م.

ثالثاً : التاريخ والحضارة الإسلامية

الأطْمـاعُ الرُّوسيّة في عُمَـان
وَردُّ الفعْلِ البريطَاني
١٣٠٨ - ١٣٢٥هـ / ١٨٩١- ١٩٠٧م

إعـداد

د. عبدالرحمن بن علي السديس

أستاذ التاريخ الحديث المشارك

قسم التاريخ كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

جامعة القصيم

الأطْمـاعُ الرُّوسيّة في عُمَـان وَردُّ الفعْلِ البريطَاني

١٣٠٨ - ١٣٢٥هـ / ١٨٩١- ١٩٠٧م

د. عبدالرحمن بن علي السديس

ملخص البحث

يتناول البحث جهود روسيا في الفترة مـن عـام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م إلى عـام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م للحصول على موطئ قدم لها في الخليج العربي، وكيف تصدت بريطانيا لإفشالها.

لقد تركّز اهتمام الروس في تلك الفترة على ميناء مسقط لأنـه المركـز الـرئيس للتجارة في الخليج العربي فتتابعت زيارات المسئولين الروس إلى مسقط، والطلب مـن سلطانها السماح للروس بتأسيس قنصليات ووكالات تجارية. وأيضا حرصـت علـى تفعيل الخط الملاحي الروسي من البحر الأسود إلى الهند عبر الخليج العربـي فتوالـت زيارات السفن التجاريـة والحربيـة الروسـية إلى "مسـقط". كمـا سـهّلت روسـيا مـنح القروض لفارس في محاولة منها ترسـيخ نفوذهـا في جنـوب فـارس والخلـيج العربـي وعمان.

وحرصا من بريطانيا علـى أن يظـل الخلـيج العربـي بحـيرة بريطانيـة خالصـة، استخدمت عدة أساليب لإفشال التحرك الروسي، وهي:

ـ رصد التحرك الروسي في عمان والخليج العربي،ومراقبة كل ما ينشـر في الصـحف العالمية عن تحركاتها في هذه المنطقة. وحث الوكلاء السياسيين على ضرورة إرسـال التقارير عن خطط الروس في المنطقة.

- قيام حاكم عام الهند بجولته الشهيرة إلى المنطقة؛ لإظهار قدرة بريطانيا على الدفاع عن مركزها في الخليج العربي، وأيضا تحذير رئيس الوزراء البريطاني ورفضه وقوع أي من موانئ الخليج العربي تحت سيادة دولة أوربية".
- تدعيم قوة السفن الحربية البريطانية، والرد على استعراض الروس لسفنهم الحربية في مسقط بالمثل.
- حل كل ما يتعلق بأمور التجارة ومشكلاتها كالضرائب والجمارك، وتخفيض أجور النقل.
- محاربة سلعة الكيروسين الروسي، في جنوب فارس وموانئ الخليج العربي.
- استخدام سياسة العصا والجزرة مع روسيا بإعطائها مجالاً في شمال فارس بعيداً عن الخليج العربي.

لقد أفشلت بريطانيا رغبة روسيا في الحصول على القليل من الامتيازات في مسقط وجنوب الخليج العربي، ومياه المحيط الهندي الدافئة. وبعد هزيمة روسيا من اليابان عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، استطاع الإنجليز في عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م التوصل مع روسيا إلى اتفاق تظل روسيا بموجبه بعيدة عن الخليج العربي وجنوب فارس، وظل للإنجليز الكلمة الفصل في شئون تلك المنطقة.

Russian ambitions in Amman reported the British act 1325 AH - 1308 1891- 1907 m

D: Abdulrahman bin Ali Al-Sudais

Professor of modern history co Department of

Arabic and Social Studies Qassim University

Abstract:

This paper deals with the efforts of Russia in the period from the year 1308 AH / 1891 to the year 1325 AH / 1907 to get a foothold in the Arabian Gulf, and how Britain responded to fail..

Russians have focused attention in that period at the port of Muscat because it is the main center for trade in the Arabian Gulf Vttabat Russian officials visits to Muscat, the demand of its power to allow the Russians to establish consulates and commercial agencies. And also keen on activating the Russian shipping line from the Black Sea to India across the Arabian Gulf Vetoalt Russian warships and business visits to the "hometown". Russia also facilitated the granting of loans to Knight in an attempt to consolidate its influence in the South Pars and the Arabian Gulf and Oman. In the interests of Britain to the Arabian Gulf remains a purely British Lake, used several methods to thwart the Russian action, namely:.

- Monitor Russian action in Oman and the Arabian Gulf, and monitor everything published in newspapers around the world for its actions in this area. He urged political agents on the need to send reports about Russian plans in the region..
- The governor general of India's famous his tour to the region; to show Britain's ability to defend its position in the Persian Gulf, and also warning the British prime minister and his refusal of any of the Arabian Gulf ports under the sovereignty of a European state.

- Strengthen the power of the British warships, and to respond to the Russians review of their warships in Muscat likewise..
- Solve all the matters of trade and problems such as taxes and customs, and reduce transport fares-..
- Fight commodity Russian kerosene, in the South Pars and the ports of the Persian Gulf-.
- Use a carrot and stick policy with Russia, giving it room in the north of Knight away from the Arabian Gulf.-.

Britain has caused the failure of Russia's desire to get a little privileges in Muscat and the southern Arabian Gulf, and the warm waters of the Indian Ocean. After the defeat of Japan in Russia in 1323 AH / 1905, could the British in 1325 AH / 1907 reached an agreement with Russia under which Russia remain far from the Arabian Gulf, South Pars, the English remained the final say in the affairs of that region.

"قائمة بالاختصارات المستعملة في كتابة الوثائق"

- وزارة الخارجية البريطانية

- F.O- Foreign office

- سجلات وزارة أو مكتب الهند.

- I.O.R - Indian Office Records.

- الوكيل السياسي.

- P.A - Political Agents.

- المقيم السياسي

- G.O.I- Government Of India.

ـ السلطان: هو السيد فيصل بن تركي بن السيد سعيد بن سلطان الذي حكم عمان في الفترة التي يتناولها البحث (١٣٠٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٨٨-١٩١٣م).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين. وبعد:

واجهت المخططات البريطانية في الخليج العربي عقبات كثيرة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي؛ لاهتمام الدول الأوروبية بالمنطقة انطلاقا من نفس الأطماع التي كانت تحرك البريطانيين للاهتمام المتزايد بها.

ومن هذه الدول الأوربية روسيا لكونها أقرب الدول الأوروبية من المنطقة جغرافياً، ولتحسّن علاقاتها مع الدولة العثمانية التي جعلت منها شريكاً أساسياً في أحداث الخليج العربي في تلك الفترة.

تبدأ فترة البحث من عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م حيث إنه العام الذي بدأت فيه طلائع زيارات المسئولين الروس إلى مسقط، وتنتهي في عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م وهو العام الذي تم فيه إبرام الوفاق البريطاني الروسي وتقاسم النفوذ في المشرق.

لقد وضعت روسيا خططاً لمشروعات طموحة في الخليج العربي وفارس تتصدرها مشاريع سكك الحديد المؤدية إلى الخليج، التي تبنّاها رجل الأعمال الروسي فلاديمير كابنسات Voladimir Kupinst الذي عزم على مدّ سكة حديد تربط البحر المتوسط بالخليج العربي بعد حصوله على موافقة الدولة العثمانية عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م. وتزامن ذلك التطور مع جهود روسية حثيثة للحصول بطرق متعددة على موطن قدم لهم في الخليج العربي، وقد تركّز اهتمامهم على مسقط كميناء مناسب لتلك الطموحات، فقامت سفنهم ومبعوثيهم بزيارات متكررة إلى مسقط.

ولكن بريطانيا سارعت بالوقوف أمام الأطماع الروسية بشتى الوسائل المتاحة، فزادت من توثيق صلاتها مع سلطان مسقط ومشايخ ساحل عُمان، وذكّرتهم بالاتفاقيات المعقودة معهم، وعززت سلطتها في المنطقة فعملت على دعم البحرية البريطانية بالسفن المتطورة، وقامت بتخفيض الضرائب على السلع البريطانية لمحاربة السلع الروسية، وغيرها من الإجراءات السياسية المتمثلة بالضغط على حكام فارس والخليج العربي، وتحذيرهم من مغبة إعطاء روسيا أية امتيازات في أيّ ميناء من موانئ الخليج العربي، حيث إنّ ذلك سيعد إهانة متعمدة لبريطانيا، واستفزازا يؤدي إلى إشعال حرب دولية.

مظاهر الأطماع الروسيّة في عُمان
١٣٠٨- ١٣٢٥ هـ / ١٨٩١- ١٩٠٧م

كان الهدف الأساسي والدائم للسياسة الروسية هو الوصول إلى المياه الدافئة بإيجاد قاعدة لهم في الخليج العربي، وهذا الهدف ظلت تتطلع إليه طيلة تاريخها الطويل، وعملت على تحقيقه بأساليب مباشرة وغير مباشرة، وقد حرصت روسيا على تحقيق أهداف متعددة بتدخلها السياسي في الخليج العربي بشكل عام، ووضعت لذلك الخطط الشاملة المتمثلة في إنشاء قواعد تجارية تدعمها الحكومة الروسية، وتمثل ذلك في إقامة خط ملاحي يتجه إلى الخليج العربي من البحر الأسود وعبر قناة السويس، وأيضاً وضعت خطط استطلاعية لمعرفة مدى ملائمة المنطقة للتجارة الروسية، وقد بدأ ذلك منذ عام ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، وحينها كان النشاط الروسي محصوراً في شمال فارس، ثم بدأ بالنمو على المرافئ الفارسية في الخليج العربي حتى بدا وكأنه ينافس النشاط الإنجليزي أو يتفوق عليه. ولأن ميناء مسقط يُعدُّ أهم مركز تجاري في الخليج العربي، ويمارس تجارته مع الهند، وشرق أفريقية، وجنوب شرق آسيا، والروس يعلمون أيضاً بأن مسقط هي المركز الرئيس للتجارة وبيع الأسلحة، لذا بدأ تركيزهم منذ عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م على مسقط لعله يتسنى لهم إيجاد موطئ قدم وتسهيلات لرسو سفنهم هناك[١].

وواكب النشاط الروسي في الخليج العربي إبرام الاتفاق الفرنسي الروسي عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م الذي كان من ضمن أهدافه معارضة النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي وفارس والهند[٢].

لقد بدأت طلائع زيارات المسئولين الروس إلى مسقط عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م، وذلك عندما ظهرت مدرعة روسية في ميناء مسقط، وقابل قائدها السلطان

فيصل بن تركي[٣]، ولكن لم يذكر اسم تلك المدرعة أو قائدها. وفي العام التالي بذلت روسيا محاولات لإقامة قنصلية لها في مسقط، ولكنها لم تصل إلى نتيجة تُذكر.

وفي عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م زارت السفينة الروسية نـوف قـرود Novgrod مسقط ونزل بعض ضباطها إلى البر حيث التقوا بالسلطان فيصـل بـن تركـي وعقـدوا معه اجتماعاً سرياً بعيدا عن أعين الإنجليز، وقد أشيع في تلك الفترة أن للـروس عمـلاء سريين هنا، وأنهم يدبّرون المؤامرات ضد بريطانيا، ويُـذكر أن هـؤلاء الضـباط عرضـوا على السلطان فيصل بن تركي اتفاقاً سياسياً يمنحه مميزات أكثر ممـا لـدى الإنجليـز، كمـا أنهم أبدوا استعدادهم لمسـاعدته ضـد الإنجليـز إذا اقتضـت الضـرورة ذلـك[٤]. لكـن السلطان فيصل لم يتفق معهـم علـى شـيء ولم يمـنحهم أيـة تسـهيلات؛ لأنـه مكبّـل باتفاقات سياسية وتجارية مع الإنجليز.

في عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م قام القنصـل الروسـي في أصـفهان بزيـارة إلى مينـاء "بوشهر" حاول خلالها أن يؤسس وكالات قنصلية في "بنـدر عبـاس" و"مسـقط" و"المحمـرة"، وتحدث إلى شيخ المحمرة في شأن سعي روسيا لحيـازة مينـاء في الخلـيج العربـي، غـير أن البريطانيين يسدون الدروب في وجوههم[٥]. وكان هذا منه جسّ نـبض لمعرفـة مـدى استجابة المسئولين في تلك الموانئ، وأيضاً لتقدير ردّ الفعل البريطاني عليه.

وتتابعت زيارات المسئولين الروس مسقط، وذلـك عنـدما قـدم في ٢٨مـن ذي القعـدة ١٣١٨هـ/ ٩ مـارس ١٩٠١م، كـل مـن: ليونتيـف Leonteff وأرمـيري Eemera وأول عمل قاما به هو زيارة القنصل الفرنسي. ثم أردفـا بزيـارة السـلطان فيصل بن تركي، وطلبا إليه أن يعطيهما إذناً مكتوباً بالسـماح لهمـا بالعمـل في تجـارة السلاح بمسقط، إلا أنه رفض ذلك[٦].

وشـهدت الفـترة ١٣١٨- ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٠-١٩٠٢م تحركـات ذات طـابع سياسي لسفن حربية روسية في الخليج العربي، فقد زارت مسقط في هذه الفـترة السـفن

الروسية "جالياك" و"فارياج" و"اسكولد" على التوالي ـ وتعدّ من أضخم السفن الروسية ـ كما زارتها أيضاً السفينة الروسية "بويارين" وذلك بصحبة السفينة الحربية الفرنسية "انفرتيت"، وكانت مهمتها إظهار العمل المشترك للدولتين[٧]. وفي العام نفسه وصلت إلى مسقط الباخرة الروسية "كونيلوف" وزار قائدها السلطان فيصل بن تركي [٨].

ومما يلفت الانتباه إلى أن زيارة بعض السفن الروسية تكون بصحبة سفن فرنسية، وهذا يعكس مدى التنسيق بين الدولتين لمناهضة النفوذ البريطاني في المنطقة من جهة، ولتسهيل عملية اتصال الروس بالمراكز الرئيسة في الخليج العربي من جهة ثانية؛ نظراً للصلات القديمة والمقبولة التي تربط فرنسا بمسقط، ولحاجة روسيا لهذا الميناء ليكون قاعدة للتزود بالفحم أثناء ذهاب سفنها وإيابها.

في مطلع عام ١٣٠٩هـ أغسطس ١٨٩١م وصل ضابط روسي إلى "جوادر"[٩] ومعه مترجم أرمني. وطلب من الوالي إعطاءه قطعة أرض ليقيم عليها مبنى، وذلك لأنه ينوي تشييد خط سكة حديد. وحذّر الضابط الوالي من رفض هذا الطلب، وقد أذعن الوالي لطلب الضابط الروسي وأرسل إلى السلطان في مسقط ليطلعه على الأمر. وعلى الفور أرسل السلطان إلى الوكيل البريطاني في مسقط يستشيره في الأمر[١٠] لكن الوكيل لم يبت فيه بل أرسل هو الآخر يستشير المقيم، وقد وصل توجيه المقيم بما يلي: بأنه من الأنسب أن يُردّ على الوالي في "جوادر" برفض منح الروسي قطعة الأرض، دون أن يحدّد له سبباً لهذا الرفض[١١].

في عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م زار مسقط اثنان من الروس لم يُكشف عن هويتهما، هل هما تجار أو رجال حكومة، ومكثا فيها أسبوعاً، زارا خلالها القنصلية الفرنسية، ثم بعد ذلك قابلا السلطان فيصل بن تركي مبدين له رغبتهما بمزاولة تجارة السلاح في مسقط، ولكنهما بحاجة إلى تصريح من السلطان، ولكن السلطان رفض طلبهما موضحاً أن هناك تنظيماً قد وضع لضبط هذه التجارة[١٢].

والواقع أن الروس كانوا على علم بأن السلطان يحمي تجـارة السـلاح، وبـأن " مسقط " هي المركز الرئيس لتجارة وبيع الأسلحة، وكـانوا يعلمـون أيضـاً أن بريطانيـا منعت تصدير السلاح أو الاتجار به، وأنها قد حصلت علـى تشـريع يعطيهـا الحـق في التفتيش البحري عن الأسلحة في السفن الحاملة لها، وأن تصادر الشحنات المضـبوطة في أي منها، ولذلك أرادت روسيا الحصول على تصريح من السـلطان لتفـادي ذلـك الإجراء لو تعرضت له، إلا أن السلطان قد وضع في اعتباره الاتفاق مع بريطانيا بهذا الشأن، والذي ينصّ على منع استيراد الأسلحة منعاً باتاً، وهـذا الالتـزام كـان كافيـاً بجعل السلطان لا يخوض في تفاصيل تلـك التجـارة، كمـا أنـه يعـرف العواقـب الـتي سيتعرض لها إن هو منح تصريحاً لأحد بهذه التجارة، كان هذا أيضـاً مـن المحظـورات التي ألزمت بريطانيا سلطان عمان بها في معاهدة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[١٣].

حرصت روسيا على تفعيل الخط الملاحي الروسي من البحر الأسود إلى الهنـد عبر الخليج حيث توالت زيارات السـفن الروسـية إلى "مسـقط "، فقـد قامـت السـفينة التجارية (كورنيلوف Korniloff) عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م بزيارة إلى " مسقط " وكانت محملة بكميات كبيرة من البضائع، وقابل قائـدها السـلطان، الـذي أبـدى رضـاه عـن النشاط التجاري الروسي، كما قابل القنصـل الفرنسـي، الـذي كـان مهتمـاً اهتمامـاً شديداً بنجاح الخط التجاري الجديد، بـل إنـه وعـد ببـذل كـل مـا في طاقتـه لمسـاندة المصالح التجارية الروسية على هذا الخط، ثم غادرت الميناء في زيارة إلى مينائي " بنـدر عباس " و " لنجه "[١٤].

وأعقب تلك الزيارة في نفس العـام، زيـارة السـفينة " فاريـاج Varyage" الـتي أُعْجِبَ السلطانُ بحسن تجهيزها، واستعداداتها الحربية المكثفة، وقد تبودلت الزيـارات الودية بين السلطان وقائدها[١٥].

لقد أثارت زيارات الروس المتكررة مخاوف السلطان فيصل بن تركي، فلجأ إلى بريطانيا يستفسر عما ورد في بعض وسائل الإعلام من أن الروس يخططون للسيطرة على "جوادر" أوغيرها من أملاك السلطان، فقامت بريطانيا في عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م بالكتابة إلى وكيلها السياسي في "مسقط" تفيده بأنه لم يردها شيء عن أية مخططات أجنبية فيما يخص "جوادر"، وتبلغه بأن على الوكالة إخطار السلطان إذا حاول مفاتحته في هذا الموضوع بأن الحكومة البريطانية لن تسمح بإقامة أية منشآت أو ارتباطات مع أية قوة أخرى في "جوادر" المحاطة بالأراضي الواقعة تحت السيطرة البريطانية [١٦]. وهي رسالة غير مباشرة للسلطان بأن عليه الالتزام بالاتفاقيات المعقودة معه بهذا الشأن.

وعلى الرغم من ذلك فقد توالت زيارات السفن الروسية إلى مسقط، ففي عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م زارت إحدى السفن الروسية مسقط مصحوبة بالقنصل الروسي في البصرة، وفي العام نفسه كلفت الحكومة الروسية قنصلها في "بوشهر" بأن يقوم في معرض جولته المزمع قيامها إلى "الكويت" و"لنجة" بعرض فتح قنصلية روسية في مسقط، وقد تم ذلك إلا أن السلطان تجاهل العرض الروسي بناء على نصيحة الوكيل السياسي البريطاني في مسقط الذي أوضح للسلطان أن التجارة الروسية مع مسقط لم تبلغ حداً يجعله يقبل بفتح قنصلية روسية في بلاده [١٧].

وعلى أية حال فإنه يتعذر على سلطان مسقط في ذلك الوقت القبول بأي عرض سواء كان من روسيا أو من غيرها، لأن معاهدة عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩١م بين شيوخ الخليج وبريطانيا تحول دون ذلك.

غير أن جهود الروس لم تفتر همتهم في محاولة بسط نفوذهم في الخليج، ففي عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٥م، عاودوا محاولة الظهور مرة أخرى في منطقة "جوادر"، حيث

أرسل محمد علي الذي يعمل وكيلاً لروسيا في "لنجة" إلى السيد محمد بن سعيد أحد رجال السلطان خطاباً يطلب منه أن يمده ببعض المعلومات لأن الحكومة الروسية تفكر في أن تضع وكيلاً لها في "جوادر" يكون مسئولاً عن جماركها، ويطلب معلومات عن:

١- الشخص المتولّي التزام جمارك "جوادر" في الوقت الراهن.

٢- المبلغ الذي يُدفع سنوياً.

٣- أية معلومات تفصيلية.

كما طلب أيضاً من محمد بن سعيد أن يرسل له هذه المعلومات على وجه السرعة في البريد المسجل على "بوشهر". وقد قام بموجب تعليمات من الوكيل البريطاني بإرسال الرد المطلوب؛ حتى لا تثور الشكوك في ذهن هذا الوكيل الروسي من أن بريطانيا تحول دون استجابة السلطان(١٨).

حين أراد السلطان إرسال سبعة من الإبل العمانية إلى شريف مكة اتصل بالوكيل التجاري الروسي وهو فرنسي كي ينظم الأمر مع السفينة الروسية "تراورار Trowrer" في رحلة العودة لكي تأتي وتأخذ الإبل؛ إذ كان خط الشركة الملاحية الروسية هو الخط الوحيد الذي يربط بين "مسقط" و"جدة" بصفة منتظمة، وقد شحنت الشركة هذه الإبل دون أجر، كبادرة حسن نوايا تجاه السلطان، وربما جاءت هذه الخطوة نتيجة لتخطيطهم مسبقاً أمر "جوادر". وكتب السلطان فيصل بن تركي إلى السيد "باسك" قنصل عام روسيا في "بوشهر" يشكره على تلك اللفتة الكريمة من الحكومة الروسية(١٩).

وفي ٢٧ شوال ١٣٢٣هـ (٢٧ ديسمبر ١٩٠٥م) وصل محمد علي الوكيل الروسي في "لنجه" إلى مسقط، والتقى بالسيد محمد بن سعيد، وأبلغ الوكيلُ مضيفَه أنه

منتدب في مهمة من قبل القنصل الروسي العام في "بوشهر"؛ لتجديد علاقات الصداقة وتعزيزها بين روسيا وعمان، وأنه يسعى لإنشاء ممثلية يرتفع عليها العلم الروسي. ثم قام محمد علي بزيارة قصيرة للسلطان، وفي اليوم التالي طلب السلطان من الوكيل السياسي البريطاني تفسيراً لزيارة هذا المندوب إلى مسقط [٢٠].

وكانت الشكوك تساور السلطان من هذه الزيارة، والأهداف الخفية التي يريد هذا المندوب تحقيقها، وفي نفس الوقت كان السلطان لا يثق كثيراً فيما يقوله الإنجليز، ولكن ليس بوسعه عمل أي شيء.

في عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) عاد محمد علي الوكيل الروسي في "لنجة" إلى مسقط يحمل خطاباً سرياً من القنصل الروسي في "بندر عباس" إلى السلطان ولم يجده هناك، ورفض أن يسلم الخطاب لأي أحد آخر، وحين عاد السلطان إلى مسقط زاره الوكيل البريطاني لاستطلاع أخبار الوكيل الروسي، ومحتوى الخطاب، فأخطره أنه لا يعرف من أمر الخطاب المذكور شيئاً، وأكد للوكيل البريطاني بأنه إذا تلقى أية معلومات بخصوص رغبة روسيا أو ألمانيا في تعيين ممثلين لهما بمسقط فإنه لن يبت في الأمر قبل الرجوع إليه، وقال إنه ليس لأي من هاتين الدولتين ارتباطات تعاهدية مع عمان سابقاً [٢١].

وفي محاولة من روسيا لترسيخ نفوذها في جنوب فارس والخليج العربي وعمان سهّلت روسيا منح القروض لفارس، مما يُعدّ ضربة سياسية موجهة ضد بريطانيا، شعرت حيالها بأن هدف روسيا هو السيطرة على المركز التجاري لعمان التي تُعَدُّ ضمن مناطق نفوذها وسيطرتها. وقد حاولت بريطانيا بتأثير تواجدها بالمنطقة من الحيلولة دون سيطرة القوى الأخرى عليه. وقد ظهر ذلك في احتجاج روسيا على الإجراءات التي قامت بها بريطانيا ضد الروس في عمان وساحل عمان[٢٢].

أما التعرفة الجمركية التي وُقِّعت سراً بين فارس وروسيا، والتي كانـت لصـالح التجارة الروسية، فقد أغضبت السلطات البريطانية التي طالبت فارس بأن تمتنـع عـن إجراء أية تعديلات تتعلق بالتجارة بين فارس وروسيا، ونظراً لتشدّد بريطانيا في ذلك فقد وُقِّع بينهما بيان تجاري يلزم فارس بأن لا تتصرف في ذلك الأمر إلا بعد الموافقـة المسبقة من بريطانيا، الأمر الذي أدَّى إلى وقف أعمال روسيا بخصوص التعرفة، والتي كان من الممكن أن تؤدي إلى خسائر في التجارة الفارسية الإنجليزية[٢٣].

ومهما يكن من أمر فإن التحركات الروسـية قـد أزعجـت بريطانيـا، وهـدّدت نفوذها في المنطقة، لأنها أغرت بعض الأمراء المحليين بالضغط على بريطانيا وتهديدها بالانحياز إلى الروس ومنحهم تسهيلات في المنطقة، كما فعـل عبـد العزيـز بـن رشـيد عندما طلب مساعدة بريطانيا له، وتزويده بالسـلاح والمـؤن، مقابـل الانضـواء تحـت لوائها، حتى لا يضطر كما قـال للـذهاب إلى روسـيا التوّاقـة إلى مـوطئ قـدم لهـا في المنطقة[٢٤]. ولكن بريطانيا في النهاية استخدمت مـع روسـيا سياسـة العصـا والجـزرة وأعطتها مجالاً في شمال فارس بعيداً عن نفوذها في جنوبه والخليج العربي.

ردّ الفعل البريطاني

كان البريطانيون يرصدون التحرك الروسي في عمان والخليج العربي، ففي شعبان ١٣١٦هـ (٢١ يناير ١٨٩٩م) كتب الوكيل السياسي البريطاني في مسقط تقريراً جاء فيه: بأنه قد وصل إلى مسقط جاسوس روسي، وقابل السلطان والقنصل الفرنسي، ووعد هذا الجاسوس السلطان بزيارة بارجة روسية لمسقط، وفاتحه في قيام قنصلية روسية هناك، وفي ٤ فبراير أتبع تقريره بتقرير آخر مقرراً بأنه قد سارت شائعات في مسقط تشير إلى أن السلطان قد بدأ يعدّ منزلاً ليكون مقراً للمثل الروسي(٢٥).

ولم تكتف مراقبة البريطانيين لأعمال كل من فرنسا وروسيا في الخليج العربي، بل امتد ذلك إلى مراقبة كل ما ينشر في الصحف العالمية عن تحركاتهما في الخليج العربي، فقد أرسل "كوكس" الوكيل السياسي البريطاني في مسقط تقريراً إلى الهند يقول أنه وصلت إلى مسقط (بالبريد رسالة معنونة إلى القنصل الفرنسي في مسقط) مفادها ظهور خبر في الصحافة الفرنسية يفيد بأن روسيا تزمع أن تجعل لها قنصلاً في مسقط.

لقد أفزعت التحركات الروسية السلطات البريطانية وخشيت من وصول روسيا إلى مياه الخليج العربي وحيازة موطئ قدم فيه؛ لذا أصدر "سالزبري" رئيس الوزراء البريطاني تحذيراً في ٣ من ذي الحجة ١٣١٦هـ (١٥ أبريل ١٨٩٩م) جاء فيه: "أن بريطانيا لا تريد أن ترى أياً من موانئ الخليج العربي يقع تحت سيادة دولة أوربية"(٢٦).

وقد ردّت روسيا عبر السفير البريطاني في بطرسبرج في نفس الوقت من أنها ليس لها مخطط لبلوغ الخليج العربي.

وأما عن استعراض الروس لسفنهم الحربية فقد ردّت عليه السلطات البريطانية

بالمثل حيث أرسلت سفناً بريطانية ضخمة ذات قـوة كـبيرة إلى الخلـيج لتحييـد الأثـر الذي أحدثته السفن الروسية، فقـد وصـلت السـفينة "أمفترايـت Amphitrite" إلى الخليج العربي في ١٣٢٠هـ (يونيو ١٩٠٢م) رداً على زيارة السفينة "فرياج" الروسـية إلى المنطقة في ١٣١٩هـ (ديسمبر ١٩٠١م) وذلك للتقليل مـن آثـار الإعجـاب الـذي خلفته السفينة الروسية لدى الأهالي، ولذا اتجهت السفينة "أمفترايت" - وهي سـفينة كبيرة من الدرجة الأولى- إلى كل من "مسقط" و"صور" و"السيب" و"بركا" على ساحل عمان، و"بندر عباس" و"بوشهر" على الساحل الفارسي، و"الكويت". وقامت في مسقط باستعراض أطلقت فيه قذائفها الثقيلة من المدافع الضخمة خارج الميناء.

أما الـردّ المباشـر لزيـارة السـفينة الروسـية "أسـكولد" في ١٣٢٠هـ (ديسـمبر ١٩٠٢م) فكان إرسال الحكومة البريطانية في الشـهر التـالي مباشـرة السـفينة الحربيـة المقاتلة من الطراز الأول (رنون Renoun)، التي زارت "مسقط" و"بوشهر" و"لنجة" و"بندر عباس". وتُعدّ هذه السفينة أكبر السفن البريطانية التي دخلـت ميـاه الخلـيج في ذلك الوقت، وأكثرها بروزاً وإثارة للانتباه[٢٧].

ويبدو أن بريطانيا قد قرأت التحرك الروسي وأهدافه جيداً، لذا حرصت علـى أن يظل الخليج العربي بحـيرة بريطانيـة خالصـة، حفاظـاً علـى مصـالحها في المنطقـة، والخليج العربي يمثل لها حجر الزاوية لأمن الهند. وسيتضـح فيمـا بعـد الجهـد الـذي بذلته بريطانيا من أجل منع روسيا من إيجاد موطئ قدم لها في المنطقة.

لقد انقسمت آراء السياسيين البريطانيين حول محاولة روسيا تعزيز نفوذها فيما تعتبره بريطانيا مناطق نفوذ خاصة بها، وكـان هـذا الانقسـام والجـدل يتعلـق بمنـاطق فـارس والعـراق، أمـا الخلـيج العربـي فقـد كانـت السياسـة البريطانيـة واضـحة، والسياسيون شبه متفقون على عدم إعطاء الفرصة لموطئ قدم في مياه الخلـيج العربـي لروسيا أو غيرها من الدول الأوروبية وغير الأوروبية.

لذا فقد بدأت بريطانيا نشاطاً محموماً بخصوص التجارة، فأرسلت بعثتين تجاريتين لحل ما يتعلق بأمور التجارة ومشكلاتها والتعرفة الجمركية، والضرائب في الموانئ، وأنواع السفن والبضائع، إضافة إلى مهمات سياسية لم يعلن عنها[٢٨]. كما عملت على تخفيض أجور النقل بشكل لفت الأنظار، إضافة إلى محاربة سلعة الكيروسين الروسي، التي بدأت تروج في جنوب فارس وموانئ الخليج العربي لجودتها، وتم تكليف إحدى الشركات البريطانية للتنقيب عن البترول للحد من انتشارها[٢٩]، إلى جانب احتكار نقل المواد الخاصة بمناطق الشرق الأقصى وأوروبا إلى فارس واستغلال كافة الموارد لصالحها[٣٠]، وبذلك حدَّت بريطانيا من نشاط السفن الأجنبية التجارية الوافدة إلى الخليج العربي، وإن وجدت فإن حمولتها كانت بريطانية فقط.

ولم تكتف بريطانيا بذلك، بل هدّدت روسيا تهديداً شديد اللهجة، وحذرتها بأنها ستتدخل عندما تكون التجارة الإنجليزية مهدّدة، وستكون العواقب وخيمة[٣١].

وقد تصدّت بريطانيا للسفن الروسية، التي كانت تقوم بزيارة لمسقط وبعض موانئ الخليج العربي بإجراءات حازمة، تمثلت في دعم السفن الإنجليزية بالأسلحة الحديثة، وإقامة المناورات البحرية الإنجليزية التي كان هدفها استعراض قوة البحرية الإنجليزية، ودعم قناصلها وممثليها في الخليج العربي، وحثت الوكلاء السياسيين بضرورة إرسال التقارير عن خطط الروس في المنطقة، وعن وصول سفنهم إذا كانت سفناً عسكرية[٣٢].

ولمنع السفن الروسية من التزود بالفحم وقّعت بريطانيا مع "سلطان عمان" اتفاقية يتعهد بمقتضاها، بأن لا يعطي أية دولة مهما كانت امتيازات حقول الفحم بدون مشورة الحكومة البريطانية. كما منعت السلطات البريطانية الروس من التزود بزيت المحركات، الذي كانت تمتلكه شركات إنجليزية، كوسيلة لوضع العراقيل والصعوبات في وجه تلك السفن الوافدة إلى الخليج العربي[٣٣].

ورداً على زيارات السفن الروسية أيضاً، فقد بدأت السفن الإنجليزية بمراقبتها دون إثارة الشكوك حولها، وأعلنت القيادة العليا للقوات البحرية المسلحة، بأن مهمة تلك السفن روتينية، نافية أن تكون سفن مراقبة، وحين أدركت بريطانيا قوة تلك السفن وتجهيزها الحديث، عملت على تقوية السفن الإنجليزية بالتجهيزات الحديثة(٣٤). وإعدادها بأحسن المعدات بما فيها المولدات الكهربائية، التي بدأت تنير لأول مرة قواعد وسفن الإنجليز في الخليج العربي (٣٥).

كما عمل الإنجليز على مضايقة السفن الروسية في موانئ الخليج العربي، فأوعزت إلى ممثليها هناك بمنع إرشاد السفن الروسية، وإغراء المرشدين المعتمدين في الموانئ وحثهم على عدم التعاون مع الروس، إضافة إلى فرض مراقبة على تحركات السفن الروسية، وكانت بريطانيا تبرر موقفها هذا بأن تلك القوى الجديدة الوافدة على المنطقة لم تساهم بتطور التجارة أو العمل على أمن المنطقة.

والواقع أن الإنجليز بما لهم من نفوذ في مياه الخليج العربي وموانئه استطاعوا عرقلة تحركات السفن الروسية، إضافة إلى الضغط على السلطات المحلية في تلك الموانئ لعدم التعاون مع الروس، وقد عالجوا كل ذلك بطرق دبلوماسية غير مباشرة كي لا تحدث مشكلة سياسية مع الروس.

لقد واجهت بريطانيا محاولات روسيا في الخليج العربي على أعلى المستويات السياسية وذلك عندما قام حاكم عام الهند اللورد "كيرزون Ciuraon" بجولته الشهيرة في الخليج العربي، والتي كان يهدف منها إظهار قدرة بريطانيا على الدفاع عن مركزها في الخليج العربي متى ما دعت الحاجة إلى ذلك، بالإضافة إلى تذكير مشايخ الخليج بالاتفاقات المعقودة بينهم وبين الحكومة الإنجليزية، التي تتضمن المحافظة على سلامة المنطقة، مبيناً أن بريطانيا هي الراعية لهذا السلام، والمحافظة على أمن المنطقة وحمايتها، مطالباً إياهم بالولاء لبريطانيا دون سواها(٣٦).

إن الموقف الإنجليزي المتشدّد الذي قامت به بريطانيا، كان كفيلاً بوقف التقدم الروسي، وإنهاء جميع المساعي التي قامت بها روسيا في المنطقة، فأدركت روسيا قوة بريطانيا، وعدم قدرتها على الصمود أمام قوة نفوذ الحكومة الإنجليزية، وبالتالي فشلت في تحقيق رغبتها في الحصول على القليل من الامتيازات في مسقط وجنوب الخليج العربي، وباتجاه مياه المحيط الهندي الدافئة(٣٧).

إن العلاقة التي تربط الدولتين (روسيا وبريطانيا) كانت علاقة تعارض مصالح، فلم يحدث أن كان هناك التقاء سياسي واحد بين الدولتين، حيث إن المصالح الإنجليزية تختلف جذرياً عن المصالح الروسية في الخليج العربي، وقد دافع الإنجليز عن سياستهم القديمة في المنطقة، وحرصوا على إبعاد أية قوة عن مناطق نفوذهم في الخليج العربي، والمناطق المؤدية إلى الهند.

لقد كانت منطقة الخليج العربي وفارس الميدان والمرتكز الأساسي لهذا الاختلاف والتصادم السياسي غير المستقر بين البلدين في ذلك الوقت، ولكن النزاع بين بريطانيا وروسيا والمناكفات السياسية بينهما لم تكن في منطقة الخليج العربي وفارس فحسب بل امتد إلى بعض المناطق الآسيوية مثل الصين وأفغانستان، ووصل الطرفان إلى مرحلة اقتنع كل منهما بضرورة تسوية تلك الخلافات، لاسيما بعد هزيمة روسيا من اليابان في الحرب التي قامت بينهما عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وحاجتها إلى الأموال الإنجليزية، التي لن تمنحها دون أن تأخذ مقابلها موافقة روسية على تسوية جميع المشكلات بينهما، وبذلك استطاع الإنجليز في عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م التوصل مع روسيا إلى وفاق تظل روسيا بموجبه بعيدة عن الخليج العربي وجنوب فارس، ويظل للإنجليز الكلمة الفصل في شئون تلك المنطقة(٣٨).

خاتمة

بدأت روسيا تتطلع إلى تحقيق مكاسب استعمارية فيما وراء البحار، مستغلة ضعف الإمبراطورية العثمانية التي أفسحت المجال لعبور السفن الروسية في مضيقي (البسفور - الدردنيل) اللذين يربطان البحرين الأسود والمتوسط وتسيطر عليهما تركيا. وقد سعت روسيا إلى إنشاء خط ملاحي روسي لربط موانئ روسيا بالخليج العربي، مدفوعة بالرغبة إلى إنشاء قاعدة عسكرية بحرية في الخليج العربي، ومنافسة النفوذ البريطاني، فاختارت بعض الموانئ الفارسية ومسقط، لمزاولة نشاطها التجاري والسياسي مستخدمة بذلك ذرائع متعددة للتدخل في شئون المنطقة، مثل القروض وغيرها مما أثار حفيظة بريطانيا.

كما أصبحت السفن الروسية تلقى الترحيب في "مسقط" و"جوادر" وساحل عمان مدعومة من الفرنسيين، إضافة إلى زيارات التجار والسياسيين المتكررة إلى مسقط، وكان هؤلاء يرسلون تقاريرهم للحكومة الروسية عن أوضاع المنطقة السياسية والتجارية.

وكان جزء من هذا النشاط يتعلق بمضايقة بريطانيا والتجارة البريطانية، لأن ظهور مثل هذه القوى سيحد من الاحتكار البريطاني للملاحة، وهذا ما لاقى ترحيباً في مسقط وموانئ الخليج العربي، وهو ما أثار حفيظة بريطانيا وقلقها أيضاً، وجعلها تتخذ من الإجراءات التي تحدّ من تنامي النفوذ الروسي، مثل التأكيد على الاتفاقيات التي أبرمتها مع سلطان عمان وشيوخ الخليج العربي، وتخفيض أسعار السلع، وأجور النقل على السفن البريطانية، وتأكيد سيطرتها على مسقط والبحرين ومحاربتها السلع الروسية، كما واصلت ضغطها على روسيا وبخاصة بعد هزيمتها من اليابان ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، الأمر الذي ضمنت فيه بريطانيا سيطرتها على الخليج العربي

وبالتالي امتلاك الطريق التجاري الكبير وحجر الزاوية في أمن الهند وهو الخليج العربي.

لقد فشلت روسيا في تحقيق أهدافها في عُمان ومناطق الخليج العربي الأخرى، ووصلت في نهاية الأمر إلى تسوية مع بريطانيا، تلك التسوية المعروفة باتفاق "بطرس برج" ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، الذي بموجبه تم حل جميع المشكلات القائمة بين بريطانيا وروسيا في بعض المناطق ومنها الخليج العربي الذي ظلت بريطانيا منفردة فيه بالسيطرة على عمان والخليج العربي، ومحاربة أية قوة تحاول البحث لها عن نفوذ في هذه المنطقة.

الهوامش والتعليقات:

(1) (IOR) L /P & S/10/110, Arms Traffic

بدول، آر، الاتفاقات الدولية مع سلطنة عمان، حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ص٣٢٥، جاد طه، تجارة الأسلحة في مسقط قديماً ١٩١٠-١٩١٣م، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السابقة، الرياض، محرم ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص١٨٥.

(2) MSS EUR F. 111/531, Lord Curson's papers,p-42.

(٣) هو السيد فيصل بن تركي بن السيد سعيد بن سلطان (١٣٠٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٨٨-١٩١٣م) ويعد الحاكم الوحيد من أسرة البوسعيد الذي ينجح في تولي الحكم في جو صحي، ويعزى هذا النجاح إلى أبيه السيد تركي الذي نجح في سنوات حكمه الأخيرة من حل معظم المشكلات التي كانت قائمة بين زعماء القبائل وعلماء الدين في الداخل وبين السلطان، إضافة إلى الدعم الإنجليزي لسلطته، على أن فترة حكمه لم تخل من المشاكل الداخلية المعارضة له وللنفوذ الإنجليزي في البلاد. انظر: عبدالله بن صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ط١، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائري الميزابي، ج٢، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، ص ٣٦-٢٣٧.

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، سياسية الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٢٧٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٥٨-١٩١٤م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٧٠.

(4) (IOR) L / P & S /20/ C 245, Precis of Muscat affairs, p- 71.

(5) I bid, p-71- 72.

(٦) تقرير إنجليزي عن السفن الأجنبية في الخليج

F.O.406/15/72. vol.19.

(7) I bid.

(٨) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج ١٨٩٩-١٩٤٧م، دار المريخ الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٨٢، نادية الدوسري، محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي ١٨٨٠-١٩٠٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالدمام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١١٤.

(٩) جوادر ميناء يقع على الضفة الشرقية للخليج العربي، تابع لمقاطعة مكران، وقد ضمته عمان إلى أملاكها عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م إبان توسع سلطتها على عهد الإمام سلطان بن أحمد البوسعيدي، وظل تابعاً لعمان إلى أن تنازل عنه السلطان سعيد بن تيمور وذلك عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م لجمهورية الباكستان مقابل ثلاثة ملايين جنيه استرليني. انظر: وزارة الإعلام والثقافة بعمان، عمان وتاريخها البحري، مسقط ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(10) (IOR) R/15/6/69, Sultan to Jaykar in Charg of P.A, 2NOV,1891.

(11) (IOR) R/ 15/6/69. PR to officer in charge PA Muscat, off, Jask, 16 NOV, 1891.

(١٢) الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص ١١٥- ١١٦.

(١٣) للمزيد من التفصيل عن تجارة السلاح والمعاهدات المصاحبة لها انظر: فاطمة الفريحي، تجارة السلاح في الخليج العربي، ١٨٧٩-١٩١٤م، منشورات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(١٤) الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص ١١٧، ولنجه: ميناء على الساحل الفارسي ويقع إلى الجنوب الغربي من بندر عباس، وعلى بعد ٨٨ ميلاً من شاطئ الشارقة، وسكانها من أصول مختلفة من قبائل عربية هاجرت من الشاطئ الغربي للخليج العربي.

(١٥) ريزفان، سفن روسية في الخليج العربي، ١٨٩٩- ١٩٠٣م، معلومات من أرشيف الأسطول الحربي الروسي، ترجمة سليم تومان، ط١، بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٨١- ١٢٤.

(16) (IOR) R/ 15/6/69, Simla to Cox, PA Muscat 2 Apr,1901.

(١٧) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج١، ترجمة ديوان أمير قطر، ص ٥٢٦- ٥٦٠؛ الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص١١٨.

(18) (IOR) R /15/6/69, from, Grey,P.A Muscat to G.O.I 30 Jan,, 1905.

(19) (IOR) R/15/6/69. PA Muscat to G.o.I, 13 jan, 1905.
(20) (IOR) R/15/6/69, PA to Gol, 31 Dec,1905.
(21) (IOR) R/15/6/69, Grey PA Muscat to PR, 7 Jan, 1907.

(٢٢) لوريمر، مصدر سبق ذكره، ج١، ص٥٨٨.

(٢٣) الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٨.

(٢٤) للمزيد من التفصيل عن اتصال ابن رشيد ببريطانيا انظر:

نجدة فتحي صفوت، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ج١، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(25) Kumar, R., India and the Persian Gulf.1858-1907, Bombay,1965,P-160-170.
(26) Mss eur.III /531,lord Curson papers,P-46-47.
(27) Ibid, 47.

(٢٨) لوريمر: مصدر سبق ذكره، ج١، ص٥٨٨.

(29) F.O- 881/5804- NO.33.the Marquess of salisbury jan, 16,1889.
(30) Busch. B.C., Britain and the persian Gulf 1894-1914, (los angeles 1967) p- 36- 38.

(٣١) عبدالعزيز محمد المنصور: التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين عام ١٨٦٨-١٩١٦م، الطبعة الثانية، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٧٣.

(٣٢) لوريمر: المصدر السابق، ج١، ص٥٩٨-٦٠٣؛ وانظر أيضاً:

The oxford history of India, London, 1958,p.753.

(٣٣) الدوسري، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٠.

(34) F.O. 406/15/1900, No. 22, 1900.
(35) F.O. 406 / 15/1900, No.68, NOV. 16, 1900.

(٣٦) للمزيد من التفصيل عن رحلة اللورد كيرزون وأهدافها، انظر:

فاطمة الفريحي، رحلة اللورد كيرازون إلى الخليج العربي ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م ونتائجها، بحث منشور في السجل العلمي للقاء الثاني عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، جمادى الآخرة، ١٤٣٢هـ مايو ٢٠١١م.

(٣٧) وليد الشريف الاتحاد السوفيتي ومنطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٥، ذو الحجة ١٣٩٥هـ/ يناير ١٩٧٦م، ص٨٩.

(٣٨) للمزيد من التفصيل حول الوفاق الإنجليزي الروسي عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، انظر:

عبدالعزيز عبدالغني، السلام البريطاني، مرجع سبق ذكره، نوري السامرائي، الصراع البريطاني الروسي حول فارس والخليج في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٧، السنة الثانية عشرة، بغداد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

المصادر والمراجـع

أولا: الوثائق

سجلات مكتب الهند (IOR) Indian office Records

1- L/P & S /10/110,Arms Traffic.

2- Mss EUR F. 111/537, LORD Carson's papers

3- R /15/6/69, Sultan to daykar in chargeof, P.A, 2 NOV,1981

4- R /15/6/69 P.R < to officer in charge P.A Muscat off Jack,Ib NOV,1981

5- R /15/6/69, simal to cox PA Muscat, 2 APR,1901

6- R /15/6/69,from Grey P.A Muscat to G.O.I,30 Jan 1905.

7- R /15/6/69 P.A, Muscat to G.O.I,13 Jan 1905.

8- PA to G.O.I,31 Dec 1905

9- Grex.PA, Muscat to PR, 6 Jan,1907

وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O, Foreign office

- F.O., 406 / 15 /72, VOL, 19
- F.O., 881/5804 – No.33 the marguess of salisbury Jan -16,1889
- F.O.406/15/1900, No.68,nov 16, 1900
- F.O.406/15/1900, No.,nov 22, 1900

ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمعّربة:

– بدول، آر، الاتفاقات الدولية مع سلطانة عمان، حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة الـتراث والثقافة بعمان، مسقط، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- جاد طه، تجارة الأسلحة في مسقط قديماً ١٩١٠- ١٩١٣م، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السابعة، الرياض، محرم ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
- ج لوريمر، ج، ج، دليل الخليج، القسم التاريخي والجغرافي، ترجمة ديوان أمير قطر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- رنزفان، م. ن سفن روسية في الخليج العربي، ١٨٩٩-١٩٠٣م، معلومات من أرشيف الأسطول الروسي، ترجمة سليم تومان، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٠م.
- عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، تحقيق، أبو إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري الميزابي، ألجزء الثاني، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
- عبدالله بن صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٢٧٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٥٨-١٩١٤م، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج، ١٨٩٩-١٩٤٧م، دار المريخ، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
- عبدالعزيز بن محمد المنصور، التطور السياسي لقطرة في الفترة ١٨٦٨-١٩١٦م، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- فاطمة بنت محمد الفريحي، تجارة السلاح في الخليج العربي ١٨٧٩-١٩١٤م.، منشورات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- فاطمة بنت محمد الفريحي، رحلة اللورد كيرازون إلى الخليج العربي، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ونتائجها، بحث منشور في السجل العلمي للقاء الثاني عشر لجمعية الخليج العربي، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، ونتائجها، بحث منشور في السجل العلمي للقاء الثاني عشر لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، جمادى الآخرة، ١٤٢٢هـ/ مايو ٢٠١١م.

- نادية الدوسري، محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي ١٨٨٠-١٩٠٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالدمام، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- نجدة فتحي صفوت، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، أجزاء منشورات دار الساقي، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- نوري السامرائي، الصراع البريطاني الروسي حول فارس والخليج في القرن التاسع عشر أوائل القرن العشرين، مجلة المؤرخ العربي، السنة الثانية عشرة، بغداد، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- وزارة التراث والثقافة بعمان، عمان وتاريخها البحري، مسقط ١٤٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- وليد الشريف، الاتحاد السوفيتي ومنطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ذو الحجة ١٣٩٥هـ/ يناير ١٩٧٦م.

ثالثاً المصادر الأجنبية:

- Kumar, R., India and the Persian Gulf, 1858-1907, Bombay, 1965.
- Busch, B.C., Britain and the Persian Gulf, 1894 -1914, London, 1967.

ثغر أذنة

منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري

الحادي عشر الميلادي

إعداد

أ. د. عبد الله بن سعيد الغامدي

جامعة أم القرى

ثغر أذنة

منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

أ. د. عبد الله بن سعيد الغامدي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد.

أذنة Adana بفتح أوله وثانيه[١]. ويسميها ابن خرداذبه أذانم[٢]. مسماة باسم الذي أنشأها، وهو أذنة بن يافث بن نوح عليه السلام، فقد ذكر ابن العديم أنه وقع إليه كتاب في القاهرة، عن أنساب أهل اليمن وملوكها، جاء فيه أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه، أتى إليه بشيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، اسمه عبيد بن شريه الجرهمي، فسأله معاوية عن مسائل عدة، إلى أن ذكر له أن يافث بن نوح عليه السلام سبعة من الولد هم "جومر وماجوج وماذي وياوان وثوبان وماشج وتيراس، وأن ياوان، ولد إلياس والمصيصة وطرسون وأذنه". فعرفت هذه المدن بأسمائهم على تخوم بلاد الروم" الذين هم من ولد هؤلاء"[٣].

وصفت أذنة، بأنها مدينة قديمة "من بناء الروم" على اثني عشر ميلاً من المصيصة وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلاً، لها ثمانية أبواب، وسور، وخندق، تطل على الشاطئ الغربي لنهر سيحان، وقد أُقيم عليه قنطرة حجارة عجيبة البناء، يبلغ طولها مائة ونيف وتسعين ذراعاً، على نطاق واحد، تربط بين المدينة وبين حصن مما يلي المصيصة، وهو شبيه بالربض[٤]، ويرجع بناء القنطرة إلى عهد الإمبراطور البيزنطي الأول جستنيان الأول Justinian(527-565م) [٥].

ولموقع أذنة أهمية عسكرية كبرى - رغم صغر حجمها آنذاك، إذ كانت مثل أحد جانب المصيصة[٦]، لكونها ثغراً برياً حصيناً على الحدود الشمالية لبلاد الشام المتاخمة لأراضي الإمبراطورية البيزنطية، ناهيك عن كونها - تشرف مع غيرها من مدن الثغور الشامية الأخرى - على المعبر التجاري البري الذي يربط بين مدن الشام وأراضي آسيا الصغرى، ولهذا حظيت أذنه باهتمام وعناية الفاتحين المسلمين الأوائل، الذين وقَرَ في أذهانهم أنه كما دانت لهم المدائن عاصمة دولة الفرس الساسانيين، فلابد وأن تُفتح القسطنطينية عاصمة دولة الروم البيزنطيين[٧]. ولما كانت مدن الثغور هي المعبر البري إلى هذا الهدف، فقد أهتم المسلمون بفتحها، ورغم أن المصادر التي تيسر للباحث الاطلاع عليها لم تشر صراحة إلى تاريخ محدد لفتح أذنة، فيبدو أنها فُتحت خلال الربع الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك رحمه الله، يُعضد ذلك ما ذكره البلاذري من أن الجسر الذي "على طريق أذنة من المصيصة "بُنى سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م وأطلق عليه جسر الوليد"[٨].

ويبدو أن اهتمام الأمويين بإعمار أذنة اقتصر على هذا العمل، ولعل ذلك يعود إلى وقوعها في الطريق بين طرسوس التي فتحت سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م[٩]، والمصيصة سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م [١٠]، ناهيك عن قصر المدة ما بين فتحها وسقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م.

وعندما آل أمر المسلمين إلى البيت العباسي سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، أولى خلفاؤهم مناطق الثغور الشامية جل اهتمامهم وفي مقدمتها ثغر أذنة، ففي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) أعيد بناء أذنة وذلك خلال سنتي ١٤١-١٤٢هـ/ ٧٥٨-٧٥٩م، وذلك جراء الزلازل التي ضربت المنطقة آنذاك، مستغلا تواجد أعداداً كبيرة من أهل خراسان كانوا يعسكرون بها مع

مسلمة بن يحيي البجلي، ناهيك عن جموع أخرى من أهل الشام بزعامة مالك بن أدهم الباهلي. كان القائد صالح بن علي قد وجههم إليها. ثم جرد المنصور جيشا بقيادة صالح بن علي لغزو بلاد الروم، وبعد أن أثخن في بلادهم، وجه هلال بن ضغيم في جماعة كبيرة من أهل دمشق والأردن إلى ناحية أذنة فبنوا بها قصراً عند جسرها الذي على نهر سيحان[١١].

وعندما توفى المنصور وخلفه ابنه المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥) استغل تدهور الأحوال الداخلية في بيزنطة، بسبب تفاقم النزاع بين محطمي الأيقونات (Icons) [١٢]، والمدافعين عنها، عندما سيطرت الإمبراطورة إيرين على مقاليد السلطة في القسطنطينية كوصية على ابنها القاصر قسطنطين السادس(٧٨٠-٧٩٠م)[١٣]، وجرد في سنة ١٥٦-٧٨١م جيشا لغزو أراضي بيزنطة في آسيا الصغرى، أسند قيادته إلى ابنه هارون الرشيد والذي توغل به في عمق أراضي آسيا الصغرى حتى شارف على "خليج البحر الذي على القسطنطينية" - على حد تعبير الطبري-[١٤]، واستطاع أن يجبر إيرين على عقد هدنة، التزمت بموجبها بدفع جزية سنوية تُحمل إلى بغداد، وفي طريق عودته عرّج على مدن الثغور الشامية حيث تفقد أسوار المصيصة وأبنيتها وأعاد ترميمها[١٥]، كما شملت جولته التفقدية هذه أذنة، فرأى أن ذلك القصر الذي كان قد بُني بها، لم يكن بناؤه محكما، فهدمه وأعاد بناءه من جديد على أسس سليمة، ورحل عن مدن الثغور بعد أن شحنها بالرجال للمرابطة بها وقوّى أهلها بالعتاد والزاد، لمواجهة أي اعتداءات بيزنطية عليها، ولكي يتسنى له الاستعانة بهم في حال معاودته غزو أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى"[١٦].

وبالفعل فما إن اعتلى هارون الرشيد سدة الخلافة في بغداد، حتى بلغه أن الروم البيزنطيين "ائتمروا بينهم" سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م، لمهاجمة كبرى مدن الثغور الشامية طرسوس، فتصدت لهم قواته بقيادة هرثمة بن أعين[١٧]، والذي لا شك فيه

أن تلك القوات التي كان الرشيد قد استبقاها بالمصيصة وأذنة قد شاركت قوات هرثمة مسئولية الدفاع عن طرسوس، كما أسهمت – على ما يبدو– بنصيب وافر في حركة الجهاد ضد البيزنطيين في مناطق الثغور وجنوب آسيا الصغرى، عندما أوعز هارون الرشيد إلى ابنه القاسم بدخول بلاد الروم على رأس ثلة من عسكره وذلك في شعبان من سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢م، فأناخ على قُرة وفرض عليها حصاراً محكما أشرف عليه بنفسه، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث إلى حصن سنان، فحاصر من به من الروم البيزنطيين، حتى جَهِدوا، فصالحه أهلهما على أن بذلوا له ٣٢٠ رجلاً من أسرى المسلمين، فأجابهم ورحل[١٨]. وقد لا نعدوا الحقيقة إذا ما أكدنا أن أهل هذه المدن ومنها أذنة قد خرجوا أيضا بعد ذلك في ركاب الحملة التأديبية التي قادها الرشيد بنفسه لعشر بقين من رجب من السنة ذاتها بعد أن لبس قلنسوة كتب عليها "غاز حاج" وسار حتى بلغ هرقلة "ففتح وغنم، واصطفى وأفاد" وأجبر نقفور على طلب الموادعة على خراج يؤديه في كل سنة، وذلك عندما كتب إليه الإمبراطور نقفور الأول(802-811 Nicephorus I م) يخبره بإلغاء الهدنة التي عُقدت بين الخليفة وإيرين، ويطلب منه إعادة الأموال التي دفعتها إيرين للخلافة العباسية[١٩].

والذي لا شك فيه أنه عندما تنصل نقفور من تعهداته، وعاود الرشيد هجومه على أقاليم بيزنطة، شارك أهل أذنة وغيرهم من سكان مدن الثغور في هذه الحملة، حيث شخص إليها لعشر بقين من رجب من سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٦م، بعد أن لبس قلنسوة كُتب عليها "غاز حاج" على رأس جيش كبير قوامه ١٣٥ الف مقاتل، ففتح هرقلة وطوانه وغيرهما، وبث سراياه في سائر الجهات، حتى أدرك نقفور بأنه لا قبل له بمواجهة الرشيد فبعث إليه بالخراج والجزية[٢٠].

ويبدو أن تزايد الحاجة للدور الذي كانت تقوم به مدن الثغور الشامية – ومنها أذنة – لدعم غزوات جيوش الخلافة التي كانت تترى على أقاليم بيزنطة في آسيا

الصغرى، جعلت الخليفة الأمين يُعيد النظر في بنائها وكافة تحصيناتها، ناهيك عن حال الرجال المرابطين بها وذلك غداة وفاة والده سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م يُزكى ما ذكره البلاذري من أن محمداً أمر أبا سليم بن فرج الخادم- الذي كان والده هارون قد استعمله على "أعشار الثغور" فأقره على منصبه- بتفقد أحوال مدينة أذنة "فأحكم بناءها وحصنها، وزاد في شحنها بالمرابطين بأن ندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم، ورغبهم في البقاء بأن زاد في أعطياتهم وذلك في سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م"[٢١].

وعندما أغار الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل Theophilus(829-842م) على ثغري المصيصة وطرسوس سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م، وقتل ألفاً وستمائة نفس من سكانهما، خرج الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨/ ٨١٣-٨٣٣م)، في ١٩ جمادي الأولى / ٢ يولية من السنة نفسها، للرد على هذا الهجوم، وأقام معسكره في مدينة أذنة التي ذكر ابن العديم بأنها كانت تضم بين جنباتها آنذاك "منازل ولاة الثغور لسعتها"[٢٢]. حيث استقبل بها رسل الامبراطور ثيوفيل، الذين جاءوا يعرضون عليه عقد هدنة بين الطرفين أمدها خمس سنين، على أن يدفع البيزنطيون للمسلمين جزية قدرها مائة ألف دينار.. وأن يطلق الإمبراطور سراح خمسمائة رجل من أسرى المسلمين مقابل أن يعيد المأمون ما أفتتحه من المدن والحصون البيزنطية، إلا أن المأمون رفض ذلك العرض وخرج من أذنة على رأس قواته، وجاس بها خلال الديار البيزنطية داخل آسيا الصغرى، ونجح في فتح عدد من أقاليمها، كما وجه أخاه أبا إسحاق للغزو، فأفتتح ثلاثين حصناً، وفي الوقت ذاته أصدر أوامره إلى قائده يحي بن أكثم، بأن يخرج من طُوانة على رأس ثلة من الجيش، فأغار بهم على عدد من المعاقل البيزنطية، حيث غنم وأصاب سبياً ثم رجع، أما المأمون فقد تقدم بقواته إلى كيسوم، فأقام بها "يومين أو ثلاثة" حيث اضطر في شعبان من السنة ذاتها للعودة إلى دمشق، ومنها إلى مصر لإخماد فتنة نشبت بها"[٢٣].

ويبدو أن المأمون قد استبقى بعضاً من قواته بمدينة أذنة، وأنه كان ينوي العودة إليها، بعد فراغه من إخماد تلك الفتنة، ليعيد بها تنظيم قواته استعداداً لمواصلة الغـزو. يدلنا على ذلك ما ذُكر من أن المأمون عاد إلى أذنة سنة ٢١٧هـ / ٨٣٢م، حيـث أمـر أبان إقامته فيها، بإعدام اثنين من خصومه وهما "علي وحسين ابني هشـام" لمخالفـات صدرت عنهما وذلك في يوم الأربعاء ١٦ جمادى الأولى من السنة نفسها، ثم شـخص منها لغزو أقاليم بيزنطة في آسـيا الصـغرى، فكانـت وجهتـه إلى قلعـة لؤلـؤة، حيـث حاصرها لمدة مائة يوم، ثم رحل عنها - بعد أن أوكـل مهمـة اسـتمرار حصـارها إلى أحد قواده يدعى عجيفاً، فاختدعه أهلها وأسروه "ولكنهم أطلقوا سراحه بعد ثمانية، فغضب ثيوفيل واتجه بقواته إلى عجيفٍ وقواتـه، صـرف إليـه ثلـة مـن جنـده، إلا أن ثيوفيل رحل عنهـا قبـل موافـاتهم، وخـرج أهـل لؤلـؤة إلى عجيـف وسـلموها إليـه بأمان[٢٤].

ويبدو أن المأمون عاد بعد ذلك إلى أذنه بعد أن أثخن مع قواته في بلاد الـروم، ليستقبل بها رسل الإمبراطور ثيوفيل، الذين حملوا إليه رسالةً، يطلب الصلح وعرض الفدية "ليرد عليه المأمون بكتاب تضمن دعوة ثيوفيل إلى إعتناق الإسلام أو دفع فدية" تُوجب ذمة "[٢٥].

وعندما اهتبـل ثيوفيـل فرصـة وفـاة الخليفـة المـأمون في ١٧ رجـب مـن سـنة ٢١٨هـ/ اغسطس ٨٣٣م[٢٦]، وأغار في سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م علـى زبطـرة وملطيـة وغيرهما، وقتل عدداً من الرجال وسبى الذراري والنسـاء. وأعلـن الخليفـة المعتصـم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) النفير العام للجهاد "خرج أهل ثغور الشام"[٢٧]، - ومنهم بطبيعة الحال سكان أذنه - في ركاب جيش الخلافة الذي قاده المعتصم بنفسه وتوغل به في آسيا الصـغرى، وتـوج انتصـاراته بفـتح مدينـة عموريـة، مسـقط رأس ثيوفيل، والتي وصُفت بأنها "عين النصرانية وبُنْكها"[٢٨].

وعندما شهد عهد الواثق بالله - الذي تولى الخلافة يوم وفاة أبيه المعتصم في ١٨ من ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١- توقف الصدام العسكري بين المسلمين والبيزنطيين "ولم يقع أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر"[٢٩].تحولت مدينة أذنة مع جاراتها - كما يظهر للباحث- ابتداءً من سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، إلى مراكز لاستقبال وفود الطرفين، لإجراء مفاوضات الفداء وتبادل الأسرى، يزكى ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن الواثق، ولى على الثغور أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي "وأمره بحضور الفداء"[٣٠]. ناهيك أن لغة المصادر شهدت اختفاء بعض المصطلحات الدّالة على الصراع المسلح مثل "غزا" أو "أغزى" أو "شخص" أو "أغار" ونحوها، وحل محلها عبارات "فِداء" أو "مفاداة" أو "فَدى" وغيرها[٣١]. فقد أشارت المصادر إلى أن أعداداً كبيرة من الأسرى شملها الفداء بين المعسكرين، وأوصلت من تم فداؤه من أسرى المسلمين سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م، إلى أربعة آلاف ونيف، شمل الرجال والنساء والصبيان [٣٢].

والواقع أن توقف عمليات الغزو التي كانت تضطلع بها الخلافة العباسية ضد أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى - والذي كان يتم في الغالب عن طريق مدن الثغور - بسبب تفاقم المشكلات الداخلية زمن الخليفة الواثق. وتزامن ذلك مع انغماس البيزنطيين في براثن الحركة اللاأيقونية من جديد، عشية وفاة الإمبراطور ثيوفيل اللاأيقوني، وتولى ابنه القاصر ميخائيل الثالث 867-842) Michael III)م المعروف بالسكير، مقاليد السلطة في القسطنطينية تحت وصاية أمه ثيودورا Theodora، الشهيرة بأيقونيتها[٣٣]. كل هذا دفع ولاة الثغور الشامية إلى الإستقلال بحكم مدنهم، مستغلين ذلك الإسترخاء النسبي[٣٤]. للعمليات الحربية التي سادت المعسكرين الإسلامي والبيزنطي في المنطقة. واستمروا على ذلك حتى نجح أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٤م)، في بسط نفوذه على بلاد الشام، حيث كتب

إليه الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م) يفوض إليه "أمر الثغور" وذلك في سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م[٣٥].

وفي السنة التالية شرع ابن طولون في تسيير الغارات على أقاليم بيزنطة، حيث غزا بالصائفة في هذه السنة، عبد الله بن رشيد بن كاوس في أربعين ألفاً من "أهل الثغور الشامية" فأثخن في بلاد الروم وعاد محملاً بالغنائم، وفي طريق عودته باغته بطريق سلوقية، بأن خرج عليه ومعه جموعا غفيرة من عسكر الروم، وأحاطوا بعسكر المسلمين، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة بالقرب من عين البندندون، انتهت بهزيمة جيش عبد الله، حيث تمكنوا من أسره وحمله إلى القسطنطينية، وقد شجع هذا النصر عساكر بيزنطة على مهاجمة مدينة أذنة التي كانت آنذاك مقرا لوالي الثغور، وألحقوا بها خسائر فادحة في الممتلكات والأرواح، وعادوا عنها محملين بالغنائم والأسرى وعلى رأسهم "والي الثغور"[٣٦].

والواقع أن هذه الحملة التي شنها الروم البيزنطيون على مدينة أذنة، لم تفت في عضد ابن طولون، وتمنعه من مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين في آسيا الصغرى،ففي سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م غزا بالصائفة عامله على الثغور الشامية خلف الفرغاني "فأثخن ورجع"[٣٧].

ويبدو أن هذا النجاح الذي تحقق على يد هذا الوالي قد توقف بعض الوقت، وذلك قاد "يازمان" مولى الفتح بن خاقان حملة تمرد بمدن الثغور الشامية، مستغلاً- على ما يبدو - غياب عامل ابن طولون خلف عنها، ولمواجهة هذا التمرد أصدر ابن طولون أوامره على خلف لإخماد هذه الفتنة، حيث دخل خلف إقليم الثغور على رأس جيش كبير، وذلك في ربيع الأول من سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م، وقبض على يازمان وحبسه، فوثب جماعة من أهل طرسوس بخلف وخلصوا يازمان، وأجبروا خلفاً على

الهرب، وتركوا الدعاء لابن طولون، ولعنوه على المنابر. وبلغ ذلك ابن طولون، فخرج من مصر، وعرج على دمشق ومنها توجه إلى مدن الثغور الشامية ونزل المصيصة فأقام بها وكاتب يا زمان وراسله "بالشيوخ" يدعوه إلى الطاعة وترك المشاقة، والانقياد إلى أمره، وبذل له الأمان وخيّره بين الخروج منها سالماً، ويُميت أسباب الفتنة، أو أن يقيم عليها من قبله أحد غلمانه، ولم يجبه إلى واحد منهما، فترك ابن طولون المصيصة، وتقدم خطوة صوب طرسوس التي يتحصن بها يازمان، حيث دخل أذنة، وكاتبه مرة أخرى في محاولة منه للضغط عليه علّه يرعوى عما هو عليه، وعندما أصر على تمرده، زحف ابن طولون على طرسوس، ونصب منجينقاته وعراداته على نهر "البرادان"[٣٨]. فرحل ابن طولون عنها ليلاً بعد أن غرق المرج وما حول المدينة المضارب والخيم وكل ما في المعسكر وعاد بعسكره إلى أذنة حيث بعث إلى يازمان كتاباً حقره فيه، وبين له أسباب عدم استمراره في مهاجمة طرسوس جاء فيه "أما والله أيها الناقص الأنذل، لولا إرادة إبقائي على ثغور المسلمين، وكراهتي أن أفتح عليها للعدو معرّة تكون سبباً لهلاكها، لعلمتَ أن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلماني ولايَعشرُه، فلما انتصرتُ بما فتحته فغرقت به ما لا يمكن دفعه إلاّ بما فيه هلاك الثغر انصرفتُ كافاً يدي، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر، لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة والسلاح".

وأقام ابن طولون بأذنه بعض الوقت، ثم رحل إلى المصيصة، بعد أن اشتد البرد على رجاله، وفيها اجتمع عليه وجوه قواده وكبار أصحابه، ونصحوه بالبقاء في المصيصة حتى خروج موسم البرد ومن ثمّ معاودة الهجوم على طرسوس، وإنهاء تمرد يازمان بها، فرد عليهم بقوله "والله لا يراني الله عز وجل وأنا أجهز جيشاً لمحاربة طرسوس إذ كانت سكن الإسلام" وأقام بالمصيصة ثلاثة أيام، ثم تراجع إلى أنطاكية بعد أن نالته علّة من البرد،ومنها إلى دمشق ثم مصر بعد أن زادت عِلّته"[٣٩].

وبعد رحيل ابن طولون عن مدن الثغور الشامية، اضطلع يازمان بمهام الدفاع عن هذه المدن وذلك بصد غارات بيزنطة عليها، ناهيك عن قيامه بقيادة الحملات التي كانت تخرج من هذه المدن لغزو بعض إقليم بيزنطة في عمق آسيا الصغرى. من ذلك ما حدث سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م عندما زحف على الثغور الشامية جيش بيزنطي قوامه مائة ألف مقاتل، فخرج إليهم يازمان بعد أن دعا إلى النفير العام للجهاد في كافة مدن الثغور الشامية- ومنها أذنة - والتقى بهم على المنطقة، وعاد إلى مقر إقامته محملاً بالغنائم، بعد أن أثخن فيهم قتلاً وأسراً.

وكرر غزوه لأقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى في سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م حيث غزا بالصائفة وجاس خلال الديار "وقتل وغنم وأسر وسبى وعاد إلى طرسوس"[٤٠].

ولكن تلك الفجوة بين الطولونيين و يازمان ما لبثت أن انتهت منذ سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، حيث وافق يازمان على الدعاء لخمارويه بن أحمد بن طولون بمدن الثغور الشامية وذلك أن خمارويه نجح في استمالة يازمان وتطييب خاطره بأن وجه إليه "قبل الدعاء له" ثلاثين ألف دينار لينفقها في سبيل الله إضافة إلى سلاح كثير ومائة وخمسين دابة، فضلا عن هدية خاصة. وعندما دُعي لخمارويه على منابر مدن الثغور الشامية بما فيها أذنة، وغدا يازمان اسميا تابعاً له - كما يبدو للباحث - زاده خمارويه ألف دينار أخرى [٤١].

والذي يهمنا أن والي الثغور الشامية يازمان استمر يقود سكان مدنه لغزو أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى حتى وافته المنية سنة ٢٨٧هـ/ ٨٩١م، يزكى هذا ما ذكر من أن يازمان غزا بالصائفة في شهر جمادي الآخرة من هذه السنة وبلغ حصن "سلندو"[٤٢]. فأصابته شظية من حجر منجنيق في أضلاعه، فارتحل عنه بعد أن أوشك على فتحه، فتوفى في الطريق لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، وحُمل إلى طرسوس على أكتاف الرجال فدفن بها[٤٣].

وبوفاة يازمان خفت وطأة حركة الجهاد ضد البيزنطين بعض الوقت، بسبب الخُلف الذي جرى بين الطولونيين ونوابهم على مدن الثغور الشامية، فقد ذُكر أنه لما توفى يازمان خلفه "ابن عجيف" وكتب إلى خمارويه يخبره بموته فأقره عليها، وأمده بالخيل والسلاح والذخائر وغيرها، وهذا الإجراء يؤكد ما ذهب إليه الباحث من أن تبعية نواب الثغور للطولونيين لا تعدو كونها مجرد تبعية إسمية، ومما يُعضد هذا أن خماوريه عندما أقدم على عزل ابن عجيف واستعمل على الثغور ابن عمه محمد بن موسى بن طولون، ثار أهل الثغور وفي مقدمتهم أهل طرسوس التي كان يقيم بها الوالي الجديد وقبضوا عليه، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن أذن خمارويه لشخص يُدعى "راغباً" -كان اختار الجهاد ضد الروم البيزنطيين، إلا أنه فضّل أن يستبق عمله هذا بزيارة لخمارويه بدمشق "ويعرفه عزمه" فطال مقامه عنده فظن الناس بمدن الثغور أنه قبض عليه- بالذهاب إلى طرسوس. فلما اطلقوا سراح محمد بن موسى، قال لهم" قبح الله جواركم" وترك طرسوس وغيرها من بلاد الثغور لواليها السابق ابن عجيف"[٤٤].

وعندما فرض الإخشيديون سيطرتهم على بلاد الشام، خضعت أذنة مع غيرها من مدن الثغور الشامية لسلطتهم إسميا لبعض الوقت، وذلك- على ما يبدو- خلال عهد السلطان محمد بن طغج الإخشيد. يدلنا على ذلك ما أشار إليه البعض من أن والي الثغور آنذاك نصر الثملي- الذي اضطلع بمهام صد هجمات القائد البيزنطي حنا كوركاس على بلاد الثغور إبّان انشغال سيف الدولة الحمداني ببعض المشكلات مع الخلافة العباسية في بغداد - كان يعترف بالتبعية الاسمية لسلطة الإخشيديين في مصر[٤٥].

ويبدو أن شعور نصر الثملي أن سيف الدولة لن يسمح باستمرار نفوذ الإخشيد في المنطقة، هو الذي دفعه إلى الاكتفاء بمجرد التبعية الاسمية لهم. يعضد هذا

أنه ما إن علم بنبأ تغلب سيف الدولة الحمداني على الإخشيديين في شمال الشام سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م [٤٦]. حتى سارع إلى مكاتبة سيف الدولة يُعلن تبعيته لـه حيـث أقـام الدعوة له على منابر الثغور من غير " أداء مال عن شيء مما بيده مـن الأعمـال.."[٤٧]. وقوبل ذلك بترحيب من سيف الدولة حيث أرسـل إلى نصـر وأهـل الثغـور " الخلـع والذهب " ومبلغاً كبيراً من المال لفداء من كان قد وقـع في أسـر البيـزنطيين مـن أهـل الثغور "[٤٨].

غدت أذنة وغيرها من مدن الثغور الشامية محـل اهتمـام سـيف الدولـة،يوليها عنايته ولا يولِّي عليها إلا القادة الشجعان والراغبين منهم في الجهاد " وكفى المسـلمين أمر الروم، واعتنق حربهم، فاقتنع بذلك، وكان له مع الروم نحـواً مـن أربعـين وقعـة وقعت له وعليه و كان بعيد الهمة صادق العزيمة شجاعا يلقى الأمور بنفسه" قـال عنـه القائد البيزنطي في آسيا الصغرى الذي كان يطلق عليـه لقـب الدمسـتق بُلينـا بـأمير " خفيف الركاب"[٤٩]. وعادت أذنة مع غيرها من مدن الثغـور إلى سـابق عهـدها تقـوم بدور فاعل في خدمة حدود الدولة الإسـلامية المتاخمـة لدولـة الـروم البيـزنطيين، وفي ذات الوقت حرص أباطرة بيزنطة على تزويد أقاليمهم في آسيا الصغرى وبالذات مـا كان منها في متناول مجاهدي الثغور بقواد أشداء ممن لهم خـبرة بأسـاليب القتـال الـتي كان ينتهجها أهل الثغـور، يزكـى ذلـك مـا ذكـره يـاقوت عنـد وصـفه لمـدن الثغـور الشامية"طرسوس وأذنه والمصيصة وما ينضاف إليها " وأنها كانت تحضى باهتمام كـبير من قبل الحكام المسلمين منذ حركة الفتح الإسلامية إلاّ أنه عندما آل أمرها إلى الأمير سيف الدولة الحمداني " أتفق أن قابله مـن الـروم ملـوك أجـلاد ورجـال أولـو بـأس وجلاد وبصيرة بالحرب والدين شداد " وقد قابل ذلك بعزيمة الرجال وشـعور المجاهـد الذي يسعى لنيل إحدى الحسـنيين إمـا النصـر أو الشـهادة" فصـمد للغـزو وأمعـن في بلادهم "[٥٠].

وعليه يمكننا القول أن أهل أذنة أسهموا مع غيرهم من مدن الثغور الشامية الأخرى، بدور فاعل في الحملات العسكرية الخاطفة التي شنها سيف الدولة على أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى، مستخدماً أسلوب الكر والفر، والتي كانت في ذات الوقت بمثابة صخرة صمّاء تحطمت عليها هجمات بيزنطة على هذه المدن، لمدة امتدت قرابة عشر سنين(٣٣٣-٣٤٣هـ/ ٩٤٤-٩٥٤م) لدرجة استحق بها سيف الدولة أن ينعت بـ" حامي الثغور الإسلامية "[٥١].

ويبدو أن هذه الهيمنة التي تحققت لسيف الدولة على مناطق الثغور، قد دفعت البيزنطيين إلى خطب وده دون الخلافة العباسية، مستخدمين في ذلك أهل أذنة وغيرها من مدن الثغور الشامية الذين كان لسيف الدولة حضوة عندهم. فقد ذكر الأزدي أنه ورد على سيف الدولة بمقر إقامته بمدينة حلب سنة ٣٤٤هـ/ ٩٤٥م، وفد ضم عدد من فرسانها، يرافقهم رسول الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع "بورفير وجينيتوس Prophyrogennetos (347-301)" ٩١٣هـ-٩٥٩م) في طلب الهدنة منه، حيث استقبلهم سيف الدولة بحضرة جمع غفير من كبار رجال دولته، واستطال عليهم بأن أوعز إلى شاعره أبي الطيب المتنبي أن يرتجل قصيدة بحضرتهم، اشتملت على كثير من عبارات التهكم والتحقير للإمبراطور البيزنطي جاء فيها:

أراع كذا كل الأنام همام وسح له رسل الملوك غمام
ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامها فيما يريد قيام
تنام لديك الرسل أمناً وغبطة وأجفان رب الرسل ليس تنام[٥٢]

ويبدو أن هذه الوفادة لم تجد أُذناً صاغية من سيف الدولة، فقد بادر في السنة التالية، وهي سنة ٣٤٥هـ/ ٩٤٦م، بشن غارة على أقاليم بيزنطة في المنطقة "ووطئ من أرض الروم موطئاً لم يطأه المسلمون منذ ثلاثين سنة" - على حد تعبير الأزدي -[٥٣]. وفي طريق عودته إلى حلب عرج على أذنة وبقى فيها بعض مدة من الزمن تفقد

خلالها أحوال أهلها وتحصيناتها، وحضر عنده أثناء مقامه بها حاكم طرسوس، فخلع عليه وزوده بما يحتاج إليه من المؤن والعتاد والمال(٥٤)، حيث كانت مدينته قد تعرضت في السنة ذاتها لهجوم بيزنطي خاطف(٥٥).

وعندما انغمس الحمدانيون في حروبهم الداخلية (٥٦). اهتبل البيزنطيون الفرصة وعاودوا مهاجمة مدن الثغور، وذلك منذ بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك لكي لا تبقى شوكةً في ظهره عندما يبدأ مشروعه الصليبي الرامي إلى السيطرة على مدن الشام وخاصة مدينة حلب التي كانت مقراً لحكم الأسرة الحمدانية في شمال الشام، ومن ثم النفاذ منها إلى بقية المدن الشامية، حتى ينتهي به المطاف في مدينة بيت المقدس، يزكى ذلك ما تواتر ذكره في المصادر من أن نقفور عندما تسلم طرسوس، صعد منبرها وخطب من حوله من رجال قائلاً:" أين أنا" فقالوا على منبر طرسوس، فقال لا: ولكني على منبر بيت المقدس، وهذه كانت تمنعكم من ذلك"(٥٧).

وكان أول هجوم بيزنطي تعرضت له أذنة، هو ما حدث سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، عندما عقد نقفور فوقاس العزم على مهاجمة حلب، حيث باغت مدن الثغور الشامية بهجوم مفاجئ، لضمان عدم تدخلها إبان هجومه على حلب، إلا أن ذلك لم يمنع سكان هذه المدن من مشاركة سيف الدولة الدفاع عنها، وعندما اضطر نقفور للانسحاب عن حلب، عرج في طريق عودته على مدن الثغور وعاقبها بشن هجوم خاطف عليها وذلك في أوائل ذي الحجة من السنة ذاتها(٥٨).

أما الهجوم البيزنطي الثاني على أذنة فكان في سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م، جراء المساعدة التي قدمها أهل أذنة لجارتهم المصيصة، عندما تعرضت لهجوم بيزنطي قاده الدمستق حنا الشمقيق Jon Tzimisces(٥٩). إذ شن الدمستق هجوماً سريعا على أذنة أحرق خلاله رستاقها، وذلك قبيل انسحابه عن المصيصة متذرعاً بقلة العلوفة

وشدة الغلاء، ولم ينس أن يُطلق تهديداته إلى أهل أذنة والمصيصة وطرسوس، حيث أخبرهم بأن رحيله عنها سيكون مؤقتاً، وطالبهم بإخلائها، وتوعد من سيجده بداخلها بالقتل، عندما يعاود مهاجمتها[٦٠]، كما أخذت قواته تخرب الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن الرئيسة في المنطقة مثل طرسوس وأذنة والمصيصة حتى اشتد الغلاء بالثغور، حتى لم يقدر أحد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش[٦١]. وكان هذا الإجراء يتم وفق خطة محكمة انتهجها البيزنطيون في تلك المدة في حربهم ضد المسلمين، قامت على أساس تضييق الخناق عليهم إقتصادياً في المدن التي يريدون مهاجمتها ليسهل عليهم السيطرة عليها [٦٢].

وعندما شن نقفور هجومه الكاسح لاستئصال شأفة الحمدانيين، الذين شغلوا بيزنطة على مدى عشرين سنة كاملة – بعد أن أقام بقيساريه مدة من الزمن يتلمس أخبار الثغور ويضع الخطط التي تكفل له النجاح في السيطرة عليها، حيث قسم جيشه إلى ثلاثة أقسام، قسم إلى الشام، وثانٍ إلى الثغور وثالث إلى ميافارقين[٦٣].

كانت أذنة أولى مدن الثغور الشامية التي تعرضت لهذا الهجوم، إذ يبدو أن نقفور اختار أن يبدأ بها بحكم أنها كانت تضم المقر الرئيس لولاة الثغور – كما سبق، وأن أشرنا[٦٤].–حيث اقتحمها نقفور بجيوشه في ذي الحجة من السنة نفسها فاستنجد أهل أذنة بسكان طرسوس وغيرها من مدن الثغور، فجاؤوهم في خمسة عشر ألف فارس وراجل، فخرجوا للقاء الجيش البيزنطي، واشتد القتال بين الطرفين، ورجحت في البداية كفة أهل أذنة ومن ناصرهم وأجبروا البيزنطيين على التقهقر أمامهم "وركب المسلمون أقفيتهم واتبعوهم" كما تعرضوا أثناء تقهقرهم لكمين ألحق بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، إلا أن ميزان القوى ما لبث أن تحول لصالح البيزنطيين بعد أن تكاثرت جموعهم حول أذنة، فاقتحموا أسوارها وسيطروا عليها[٦٥]. وهرب من سلم من أهل أذنة إلى المصيصة[٦٦].

وهنا تجلت الروح الصليبية لدى نقفور الذي أطلق لعسكره العنان لنهب المدينة والعبث بمحتوياتها بما في ذلك مقدسات المسلمين بأذنة وغيرها من المدن التي استولى عليها لاحقاً، حيث أحرق جوامعها ومساجدها، وما كان بها من مصاحف وحول بعضها إلى اصطبلات(٦٧). كما أمر نقفور باقتلاع البوابات البرونزية الضخمة التي كانت تزين مداخل المدن الثلاث الكبرى طرسوس وأذنة والمصيصة. وأمر رجاله بحملها إلى العاصمة، حيث نصبت في أحد جنبات القسطنطينية وجعلها رمزاً لانتصاراته التي حققها ضد خصومه(٦٨).

والذي يجدر ذكره هنا أن المفسر والمؤرخ ابن كثير رحمه الله، أرجع تلك الهزائم المشينة التي مُني بها المسلمون في مدن الثغور الشامية وإقليم قيليقية عامة، أمام جيوش الإمبراطور البيزنطي نقفور وخليفته حنا تزيمكس، الشمشقيق ٣٥٨ـ ٣٦٥هـ / ٩٦٩ـ ٩٧٦م). "لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع فيهم، وقهر أهل السنة بينهم(٦٩).

ورغم هذا النصر الذي تحقق للروم البيزنطيين في المناطق وذلك جراء ما اعترى الوجود الإسلامي بها من ضعف وتفكك وأثرة وحب ذات. فإنه يمكننا القول: أن الإمبراطور نقفور ـ بقصد أو بغير قصد ـ مهد السبيل لبزوغ نجم كيان نصراني أرمني جديد في هذه المناطق. وذلك أنه عندما فرغ من تعمير مدن الثغور وعلى رأسها أذنة وطرسوس والمصيصة، فتح الباب على مصراعيه للنصارى الأرمن بالتواجد فيها، للاستعانة بهم في حروبه المستقبلية على مدن الشام، وليكونوا درعاً واقياً لصد هجمات المسلمين على ذات المناطق فيما لو انشغل بأمور داخلية في دولته. وهذا ما تحقق فعلاً فقد كان للأرمن دور فاعل فيما تحقق لنقفور وخليفته حنا تزمسكس في بلاد الشام(٧٠).

استمر ولاء الأرمن النصارى في هذه المناطق لأباطرة بيزنطة ردحاً من الزمن، وذلك حتى مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.وتحديداً حتى عصر الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيوس (٤٦١ـ٤٦٣هـ / ١٠٦٨ـ١٠٧١م) فرغم أن هذا الإمبراطور، وثق بالأرمن وعين زعيمهم فيلارتوس حاكماً على مدينة مرعش. إلا أنه على إثر أسره في معركة ملاذكرد الشهيرة سنة ٤٦١هـ / ١٠٧١م) وقيام البيزنطيين بعزله واستبداله بميخائيل السابع دوقاس (٤٦٣ـ ٤٧١هـ / ١٠٦٧١ـ١٠٧٨م) رفض فيلارتوس الإعتراف به، وزاد على ذلك بأن أعلن استقلاله بحكم تلك المناطق عن بيزنطة، وعزز وجوده بانتزاع الرها منهم سنة٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) كما سلمه في السنة ذاتها أهل أنطاكية مدينتهم خوفاً من سيطرة السلاجقة عليها(٧١).

ويبدو أن ما لحق ببيزنطة من ضعف على المستويين الداخلي والخارجي ـ جراء الضربة الموجعة التي لحقت بها بعد هزيمتها النكراء في معركة ملاذكرد، فضلاً عما تحقق لفلارتيوس من توسع في المنطقة ـ دفع الامبراطور البيزنطي الجديد نقفور بونتياتس (٤٧١ـ ٤٧٤هـ / ١٠٧٨ـ ١٠٨١م) إلى إبقاء فلارتيوس حاكماً على مابيده من البلاد، مقابل اعترافه بسيادة بيزنطة الاسمية عليها(٧٢).

وختاماً فالذي ـ يبدو ـ أن أذنة وغيرها من مدن قليقية، غدت ميداناً للتنافس بين قوى ثلاث هي بيزنطة صاحبة الهيمنة الاسمية، والأرمن النصارى أصحاب الهيمنة الفعلية، ومحاولات سلجوقية لاستعادتها، واستمر الوضع على هذا المنوال، حتى وصول جموع الحملة الصليبية الأولى إلى الإقليم سنة (٥٩١هـ / ١٠٩٧م)، حيث تنافس اثنان من كبار قادتها على الظفر بحكمها، وهما بلدوين البولوني، وتانكرد النورماني، وبعد مد وجزر بين الطرفين، بادر بلدوين بالإنسحاب عنها حيث توجه إلى الرها، مفسحاً المجال لتانكرد في التحكم فيها وليواجه بمفرده المطالبات

البيزنطية بتبعيتها لها، مع وجود أطماع أرمنية بإقامة كيان سياسي لها في المنطقة. ولكن وبعد أن تحركت جموع الحملة الصليبية من هذه المناطق قاصدة أنطاكيـة، قـرر تـانكرد التخلي عن أطماعه فيها وتوجه صحبة قادة الحملة إلى أنطاكية. لتستمر أذنـة وغيرهـا من مدن إقليم قيليقية محافظة على تبعيتها الاسمية لبيزنطة، وخضوع فعلـي للأرمـن، أفضى في نهاية المطاف إلى تكوين إمارة لهم في هذه المنـاطق، تحولـت لاحقـاً إلى كيـان مستقل، عُرف بمملكة أرمينية الصغرى(٧٣).

الهوامش والتعليقات:

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٣٢.

(٢) المسالك والممالك، ص٩٠، وهي مدينة أضنة الحالية في تركيا(انظر البلاذري، فتوح البلدان، حاشية المحقق رقم "٣" ص١٩٧).

(٣) انظر بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص١٥٥، ٣٢٢،أما المسعودي فيذكر في كتابه أخبار الزمان، ص٩١، أن أرمينية وما جاورها حتى الأيواء، كانت في قسم، "ولد يافث" بن نوح عليه السلام.

(٤) انظر، ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ص١٦٩، ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٦٨، شيخ الربوة، نخبة الدهر في وقائع الدهر، ص٢٨٢، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ص٢٤٩، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٤٥٨، ياقوت، المشترك لفظاً المختلف صقعاً، ص٢٦٤، والمصيصة Mamistra: إحدى مدن الثغور، عبارة عن مدينتين يفصل بينهما نهر جيحان، فعلى الجانب الغربي منه المصيصة، والشرقي كفربيا، وتسمى بغداد الصغيرة لأنها" كانت جانبين على النهر" (انظر ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ١٥٣-١٥٦، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٥٠. وطرسوس Tharsis: مدينة قديمة من أجل مدن الثغور الشامية" بها كان يقوم سوق الجهاد، وينزلها الصالحون والعباد، ويقصدها الغزاة من سائر البلاد"(انظر ابن العديم المصدر نفسه، ج١، ص١٧٥، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٣،١٦٢.

(٥) عليه الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية على الحدود الدولة البيزنطية، ص٥٤.

(٦) الاصطخري، المصدر نفسه، ص٤٧، ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٦٨، ابو الفدا، نفسه، ص٢٤٩.

(٧) حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٥.

(٨) انظر المصدر نفسه، ص١٩٧.

(٩) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك.

(١٠) ذكر اليعقوبي في تاريخه، ج٢، ص، أن ذلك كان سنة ٨٣هـ، بينما تكاد تجمع بقية المصادر على أن فتحها كان في هذه السنة (انظر على سبيل المثال، الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٣٨٥، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٩٤، ٩٥.

(١١) البلاذري، المصدر نفسه، ص١٧٢-١٧٣.

(١٢) مشتقة من الفعل اليوناني القديم (Eiko) بمعنى أشبه أو آماثل والاسم (Eikon)ومعناه صورة مقدسة، أما محطم الصور فيطلق عليه لاأيقوني (Iconoclast) بينما يطلق على التمسك بعبادة الصور ايقوني (Iconodule)، أما الصور الدينية المقدسمة فتسمى (Iconoclasm). انظر حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص١٠٢.

(١٣) للوقوف على فحوى النزاع المرير الذي احتدم في بيزنطة بين مناهضي عبادة الصور المقدسة والمدافعين عنها، انظر حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص١٠٢-١٠٣، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٣-١٤٢، اسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٥١-٦٠، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١١٢،١١٣.

(١٤) أنظر تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص١٥٢، وانظر أيضا ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٥، ص٦٥.

(١٥) أنظر عبد الله الغامدي، ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩م، ص٢١٥.

(١٦) البلاذري، المصدر نفسه، ص١٧٢. ١٧٣، وانظر أيضا، ابن العديم، المصدر نفسه، ج، ص١٧٠.

(١٧) البلاذري، المصدر نفسه، ص١٧٣، ١٧٤.

(١٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٠٧.

(١٩) عندما نجح نقفور في الإطاحة بإيرين ونفيها، كتب إلى الرشيد، من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب: أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي، أقامتك مقام الرّخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها، لكن ذلك ضعف

النساء وحمقهن. فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك. فلما قرأ الرشيد الكتاب، دعا بدواة وكتب على ظهره "بسم الله الرحمن الرحيم" من هارون أمير الروم إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام." للوقوف على المزيد انظر: يوسف الغش، تاريخ عصر الخلافة الراشدة، ص ٨٠- ٨٣.

(٢٠) الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٢١) البلاذري، المصدر نفسه، ص١٧٣، ابن العديم، المصدر نفسه، ج١، ص١٧٠.

(٢٢) ابن العديم المصدر نفسه، ج١، ص١٧١.

(٢٣) الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ن ص ٦٢٥، الذهبي، دول الإسلام، ص١١٧، ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٤٥٢-٤٥٥.

(٢٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص٦٢٧، ٦٢٨.

(٢٥) انظر نص كتاب ثيوفيل، ورد المأمون عليه في الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص٦٢٩، ٦٣٠.

(٢٦) عندما نما إلى المأمون رفض ثيوفيل لما تضمنه كتابه، عاود الخروج على رأس جيش لغزو أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى، وعندما وصل إلى عين "البندندون" شرب من مائها، فأصيب بحمى شديدة =كانت سبباً في وفاته (انظر، المسعودي، المصدر نفسه، ص٣٥١، الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص٦٤٦، ٦٤٧.

(٢٧) الطبري، المصدر نفسه، ج٩، ص٥٦، وإلى جانب هذا النص فإن مما يؤكد اشتراك أهل أذنة مع غيرهم من سكان مدن الثغور الأخرى، أن الخروج للجهاد يكون فرض عين على كل مسلم قادر، وذلك في حالة هجوم العدو على بلاد المسلمين، أو الإعتداء على مقدساتهم وحرماتهم، أو التقاء الجمعان (انظر محمد بن ناصر الجعوان، القتال في الإسلام، أحكامه وتشريعاته، ص٢٤-٢٩).

(٢٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٩، ص٥٧، وبنكها هو أساسها بدليل أن النص ورد عند فازيليف" عين المسيحية وأساسها" انظر، العرب والروم، ص١٣١، وللوقوف على تفصيلات هذه

الحملة، انظر المصدر نفسه، ص٥٧-٧٠، المسعودي، المصدر نفسه، ص٣٥٤، ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٠٥، ١٠٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ج١٠، ص٢٨٥، ٢٨٦، فازيليف، المرجع نفسه، ص١٣٠-١٥٧.

(٢٩) انظر، ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٣٦.

(٣٠) الكامل، ج٥، ص٢٧٥.

(٣١) نادية حسني صقر، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية، في العصر العباسي الأول، دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله، ص٢٥، ٢٦.

(٣٢) انظر خليفة بن خياط، تاريخه، ص٤٨٠، الطبري، المصدر نفسه، ج٩، ص١٣٢، ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٧٥، ابن كثير، المصدر نفسه، ج١٠، ص٣٠٣.

(٣٣) للوقوف على حقيقة الأوضاع الداخلية لكلا الدولتين خلال هذه الحقبة الزمنية،انظر، نادية حسني صقر، المرجع نفسه، ص٢٩ وما بعدها، فازيليف، المرجع نفسه، ص١٦٩.

(٣٤) ذكر فازيليف، أنه رغم فتور دور الخلافة في حركة الغزو ضد أراضي بيزنطة في آسيا الصغرى، فإن أمير الشام والجزيرة وهو أبو سعيد محمد بن يوسف قد اضطلع بذلك الدور فغزا "أرض الروم مرات، ومعه بشير أمير المصيصة" أنظر المرجع نفسه، ص١٥٥، ١٥٦.

(٣٥) ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٣٦) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣٨.

(٣٧) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣٨.

(٣٨) هو الذي يعرف اليوم بنهر قره صو أي النهر الأسود (انظر، البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص٣١١، حاشية المحقق).

(٣٩) انظر البلوي، المصدر نفسه، ص٣١٠-٣١٥، وانظر أيضا الطبري، المصدر نفسه، ج٩، ٦١٣، ٦١٤، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٦، ص٥٠.

(٤٠) انظر ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣٨.

(٤١) الطبري، المصدر نفسه، ج١٠، ص١٨، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٦، ص، ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج١، ص٨٤.

(٤٢) وردت عند ابن الأثير على أنها شكند" (انظر، ج٦، ص٧١)، وعند ابن خلدون" أسكند "(أنظر، ج٤، ص٣٠٧)، ولم أقف لها على تعريف.

(٤٣) الطبري، المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٧، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٦، ص٧١، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣٨.

(٤٤) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٦، ص٧١، وأضاف ابن خلدون، أن ابن عجيف عاد إلى ولايته، "بدعوة حماورية"، انظر، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠٧.

(٤٥) انظر، صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، ص١١٩، عليه الجنزوري، المرجع نفسه، ص٤٢، ٤٣، نقلا عن أسد رستم، الروم، ج٢، ص٣١، The Cambridge Medieval History, vol.viv.p.140

(٤٦) حرص الإخشيديون كغيرهم ممن حكم الأراضي المصرية على ضم الشام إلى حكمهم، إلا أنهم فوجئوا بعد مدة وجيزة من تحقيقهم الوحدة بين الشام ومصر، بانتقال فرع من البيت الحمداني إلى شمال الشام تحت قيادة سيف الدولة، وجرى صدام عنيف بين القوتين انتهى بنجاح سيف الدولة في انتزاع مدن شمال الشام من الإخشيديين، مؤسساً بذلك دولة الحمدانيين في شمال الشام حاضرتها حلب(انظر، عمر كمال توفيق، مقدمة العدوان الصليبي على الشرق العربي، ص٤٦٢، صابر دياب، المرجع نفسه، ص١٢٨، ١٢٩).

(٤٧) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديار بكر والثغور، ص٢٤.

(٤٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٩٣، ٢٩٤.

(٤٩) ابن ظافر الأْزدي، المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٥٠) انظر، معجم البلدان، ج، ص٨٠.

(٥١) لمزيد من التفصيلات، انظر، صابر دياب، المرجع نفسه، ص١٢٨-١٣٨.

(٥٢) انظر المصدر نفسه، ص٣٥.

(٥٣) الأزدي، المصدر نفسه، ص٣٦، وانظر أيضا، يحيي الأنطاكي، تاريخه، ن، ص١١٤، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٢٦، ١٢٧.

(٥٤) ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٦، ص٣٥١.

(٥٥) الذهبي، المصدر نفسه، ص١٩٢.

(٥٦) انشغل سيف الدولة بمواجهة بعض الثورات الداخلية منها: ثورة نجا الكاسكي في خلاط وميافارقين، ومروان العقيلي القرمطي متولي السواحل الذي قاد ثورة عارمة ضد سيف الدولة بحمص واستقل بحكمها، إضافة إلى تمرد أهل أنطاكية على سيف الدولة بتحريض من رشيق النسيمي حاكم طرسوس السابق الذي لجأ إلى أنطاكية بعد أن سلم مدينته إلى نقفور فوقاس".

للوقوف على مزيد من التفاصيل، انظر يحيي الأنطاكي، المصدر نفسه، ص١٢٣، أحمد عدوان، الدولة الحمدانية، ص٢٨١-٢٨٥، سيد أحمد الناصري، الروم والمشرق العربي، ص٣٢٩.

(٥٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٤٣، تتمة المختصر، المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٤.

(٥٨) للوقوف على تفاصيل الهجوم البيزنطي على حلب وظروف انسحابه منها، انظر، صابر دياب، المرجع نفسه،ص٧٥-١٦٩، أحمد عدوان، المرجع نفسه، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٥٩) انظر، عبد الله الغامدي، ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، العدد الثاني والعشرون يوليو ١٩٩٩م، ص٢٢١.

والدمستق: لقب كان يطلق على النائب البيزنطي في الأقاليم التي تقع شرقي خليج القسطنطينية (انظر: أبو الفدا، المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣، عليه الجنزوري، المرجع نفسه، ص٤٣، حاشية رقم ٤).

(٦٠) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٧، ص٩، ابن العديم، المصدر السابق، ج١، ص١٤١، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٦٣، الذهبي، المصدر نفسه، ص١٩٦، ابن كثير، المصدر نفسه، ج١١، ص٢٥٣، مسكويه، تجارب الأمم، ج٢،ص ٢٠٣.

(٦١) مسكوية، المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(٦٢) عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٥٠.

(٦٣) ذكر مسكويه في المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٠، أن نقفور ابتنى بقيسارية مدينة سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، فأقام بها ونقل إليها عياله "ليقرب عليه ما يريد من بلاد الشام".

(٦٤) انظر ما سبق. ص ٥

(٦٥) انظر، مسكوية، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٢، فائز نجيب اسكندر، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفري، ص٢٨.

(٦٦) يحيي الأنطاكي، المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٦٧) أبو الفدا، المصدر نفسه، ج٢،ص ١٥٠، ابن الوردي، المصدر نفسه، ج١، ٤٣٣، ٤٣٤، ياقوت، المصدر نفسه، ج٤، ص٢٨.

(٦٨) أنظر جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية ١٦٦.

(٦٩) أنظر، البداية والنهاية، ١١،٢٤٣..

(٧٠) لمزيد من التفصيلات أنظر، حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ١٥٧،١٥٨. عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١٥٣ وما بعدها.

(٧١) أنظر، ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ١٢٣،١٢٤.

(٧٢) رنسيمان، المرجع نفسه، ج ١، ١٢٤

(٧٣) للوقوف على تفصيلات ذلك، انظر، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج، ص،. المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، ضمن كتاب، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى،. عبدالله الغامدي، سياسة المماليك إزاء ميناء أياس الأرمني، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٩.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم بن محمد الشيباني، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) الكامل في التاريخ، ط بيروت، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ابن أعثم (أحمد بن أعثم الكوفي) الفتوح، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ١٤١٢هـ م١٩٩٢م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن، الأتابكي، ت ٨٤٧هـ / ١٤٧٠م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط القاهرة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ابن حوقل (أبو القاسم، بن حوقل النصيبي، ت...) صورة الأرض، ط، بيروت، سنة ١٩٧٩م.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله، ت حوالي سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م، المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، ط بيروت، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد/ ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر/ ط بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
- ابن خياط (خليفة بن خياط بن أبي هبيرة، ت ٢٤٠هـ) تاريخ خليفة بن خياط، ط، تحقيق أكرم ضياء العمري.
- أبن شاهين (غرس الدين خليل) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، عني بتصحيحه: يولس راويس، ط باريس سنة ١٩٨٤م.
- ابن شداد (عزالدين أبي عبدالله محمد بن علي الحلبي، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، ط دمشق ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.
- ابن طباطبا (محمد بن علي) الفخري في الآداب السلطانية، ط القاهرة، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م.
- ابن ظافر الأزدي (علي بن ظافر، ت٦٢٣هـ/ ١٢٢٦) اخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب و ديار بكر والثغور، تحقيق تميمة الرواف الطبعة الاولى سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ابن العديم (كمال الدين عمر ابن احمد بن هبة الله، ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م)

١- بغية الطلب بتاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار ط دمشق سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٢- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ط دمشق سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

ـ ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد، ت في حدودسنه ٥٨٠هـ / ١١٨٥م) الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق ودراسة وتقديم: قاسم السامرائي، ط الرياض١٩٨٢م.

ـ ابن كثير (ابـو الفـدا الحـافظ ابـن كـثير، ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٦م) البدايـة والنهايـة، ط بـيروت سـنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ـ ابن مسكويه (ابو علي احمد بن محمد، ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) تجارب الامم، ط مصر سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

ـ ابن الوردي (زين الدين عمر، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٨٤م) تتمة المختصر في اخبار البشر، ط النجف سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

ـ ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) المختصر في اخبار البشر، ط بيروت، بدون سنة طبع.

ـ الاصطخري (ابن اسحاق ابراهيم ابن محمد الفارسي، ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي) المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، ومراجعة محمد شفيق غربال، ط القاهرة سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ـ الأنطاكي (يحيى بن سعيد) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، صنفه تتبعاً لتاريخ سعيد بن البطريق، الموسوم بـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ط بيروت، سنة ١٩٠٥م.

ـ البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر، ت حـوالي٢٧٩هـ / ٨٩٢م) فتـوح البلـدان، عـني بمراجعتـه، والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، ط بيروت، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ـ البلوي (أبو محمد عبدالله بن محمد الديني، عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، ط القاهرة، بدون سنة طبع.

ـ الذهبي (الحافظ شمس الدين، ت٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) دول الإسلام، ط بيروت، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ـ شيخ الربوة (شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي طالب الدمشقي، ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٧م) نخبة الهر في عجائب البر والبحر، ط بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ الطبري (محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

ـ المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

١ـ تاريخ الزمان، ط، دار الأندلس.

٢ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٩٥٧م.

ـ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله الرومي، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)

١ـ كتاب المشترك وضعاً المفترق صقعا، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢ـ معجم البلدان، ط بيروت، سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

ـ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) تاريخ اليعقوبي، ط النجف، سنة ١٣٥٨هـ.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة.

ـ أحمد عدوان، الدولة الحمدانية، الطبعة الأولى، ١٩٨١سنة م.

ـ اسمت غنيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ط الاسكندرية، سنة ١٩٨٧م.

ـ جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ط الاسكندرية، سنة ١٩٨٤م.

ـ حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط القاهرة، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م.

ـ سعيد عبدالفتاح عاشور، ١ـ الحركة الصيبية، ط القاهرة، سنة ١٩٨٢م، ٢ ـ كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط بيروت ن سنة ١٩٧٧م.

ـ سيد أحمد الناصري، الروم والشرق العربي، ط القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

ـ صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، ط المطبعة التجارية الحديثة، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

ـ عبد الله بن سعيد الغامدي،

١ـ ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، التي يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٢، يوليو سنة ١٩٩٩م.

٢ـ سياسة المماليك إزاء ميناء أياس الأرمني، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، العدد ١٩، سنة

ـ علية عبدالسميع الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، ط القاهرة، سنة ١٩٧٩م.

ـ عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي "الامبراطور البيزنطي، حنا تزيمسكس وسياسته الشرقية، ط الاسكندرية، سنة ١٩٦٧م.

ـ فازيليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة، وفؤاد حسنين علي، ط دار الفكر العربي.

ـ فايز نجيب اسكندر، البيزنطيون والاتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف نقفور برينيوس، ط الاسكندرية، سنة ١٩٨٤م.

ـ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، ط بيروت، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ـ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي، ط بيروت ن سنة ١٩٨١م.

ـ نادية حسني صقر، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله، ط القاهرة.

ـ محمد بن ناصر الجعوان، القتال في الإسلام، أحكامه وتشريعاته، ط الرياض، سنة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ـ يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

مدينة تادْمَكّة في العصر الإسلامي

من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري / القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي

د. إبراهيم بن عطية الله السلمي

مدينة تادْمَكّة في العصر الإسلامي من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري / القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي

د. إبراهيم بن عطية الله السلمي

ملخص البحث

دراسة تاريخ المدن من الحلقات البحثية المهمة لإكمال صورة الحضارة المنسوبة إليها، ويسجل هذا المجال أهمية بحثية وخاصة لتلك المدن المندثرة، وهي التي يُرصد لها بريق متناثر تاريخي وحضاري في المصادر المدونة.

من تلك المدن مدينة تادمكة (Tadmekka) التي كانت تقبع في السودان الغربي زمن العصور الإسلامية، الواقعة في دولة مالي في العصر الحاضر. وقد امتازت هذه المدينة بدور سياسي يكمل مسيرة الأحوال السياسية بالشطر الغربي من العالم الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري، فهي مطلب تلك القوى السياسية ابتدأً بدول الادارسة والرستمية والمدرارية، وانتهاءً بمملكة الكانم والصنغي. كما أنها مثلت عنصراً فاعلاً في الجانب الاقتصادي وتحديداً التجاري منه، فهي محطة رئيسية لقوافل التجارة المنتقلة من شمال قارة إفريقيا إلى أواسطها، وسوق لبضائع متنوعة.

وعن اختيار مدينة تادمكة لأن تكون محور هذا البحث العلمي، فذلك للأسباب التالية:

- ارتباط مدينة تادمكة بصورة شكلية بمدينة مكة المكرمة.
- عدم وجود دراسة علمية تناولت مدينة تادمكة تاريخاً أو حضارياً.
- تعتبر مدينة تادمكة بأحوالها السياسية والحضارية صورة من صور الحضارة الإسلامية بالغرب الإسلامي، تحتاج إلى بحث واستقراء لرصد ذلك الإرث السياسي والحضاري.

سيعتمد الباحث – بمشيئة الله – في رصد مدينة تادمكة على المصادر والمراجع التاريخية والحضارية، كما سيتم الاعتماد على عدد من مشاريع تنقيب الآثار الأوروبية التي أجريت في موقع مدينة تادمكة، ومشاهدات لزوار آثار هذه المدينة، بمنهجية ستتخذ من المنهج التاريخي والاستقرائي والوصفي منهجاً علمياً لها.

وأخيراً اسأل الله العزيز القدير أن يكون هذا البحث لبنة من لبنات رصد وإحياء تاريخ إحدى المدن الإسلامية وحضارتها، وخاصة المندثر منها.

جغرافية تادمكة:

اطلق على مدينة تادمكة العديد من المسميات بالإضافة لهذا المسمى، فهي السُّوق باللغة العربية، وأسوك وتادمكت – بالتاء المفتوحة في نهايتها – وتدمكة – بدون ألف بعد التاء – وتاد مكة – بفصل بينهما – ودامكة باللغة الطارقية. كما عرفت في فترات لاحقه بمكة الجديدة، وسوق إفورة. وعند إمعان النظر في مسميات هذه المدينة يتجلى أنها أُطلقت عليها مع دخول المدينة تحت مظلة الحكم الإسلامي. فقدسية مكة المكرمة والمفردة العربية لن تكون إلا بهذه المظلة الإسلامية[١]. غير أن هذه المسميات حالت دون ذكر المسمى السابق لمدينة تادمكة قبل وصول المسلمين، وهو ما يضع احتمالاً بأن هذا المسمى – تادمكة – سابق لدخول المسلمين إليها، مما قد يفضي إلى أن أهل تادمكة عرفوا مكة المكرمة قبل ذلك، وقد يكون ذلك بتبعيتهم لملة الحنيفة.

تادمكة مفردة من جزئين، هما: "تاد" و "مكة"، وتاد معناها "هذه" حيث أنها اسم إشارة في لغة الطوارق[٢]، وهو الرأي الأصح. حيث أن هنالك رواية تفيد بأن معنى تاد هو هيئة، أي أن معنى "تادمكة" هو "هيئة مكة"، ولفظة الهيئة بلغة الطوارق ليس لها وجود[٣].

تقع مدينة تادمكة فهي جنوبي جبل لونيا على طرفه الغربي في منطقة ادرار الجبلية، وبهذا فهي شمال خط الإقليم الثاني، على خط طول أربع وأربعين درجة ودقائق على تحديد ابن سعيد المغربي.

وقد أختلف حول نسبة تادمكة – في المصادر – إلى أي البلاد تتبع، فذكر أنها من بلاد السودان، وقيل من بلاد المغرب، وكذلك من بلاد الصحراء. وهي هنا تنسب لبلاد السودان والصحراء جغرافياً، وكلاهما صحيح. وتنسب في نفس الوقت لبلاد

المغرب سياسياً حيث أنها تبعت لفترات الحكم القائم بالمغرب[٤]، وهي اليوم بأرض جمهورية مالي (انظر خارطة ١).

وبموقعها الجغرافي المتميز أصبحت تادمكة مركزاً للطرق والمسالك بين أقاليم حوض نهر النيجر وشمال الصحراء الكبرى، وخاصة ما ارتبط بها بالحواضر الإسلامية كالقيروان وغيرها (انظر خارطة ١ - ٢). ومن أبرز هذه الطرق الآتي[٥]:

أولاً: طريق تادمكة – القيروان[٦]: يبدأ من تادمكة إلى مدينة ورجلان[٧] عبر طرف الصحراء مما يلي إفريقية بمسيرة خمسين يوماً، ثم من ورجلان إلى قسطيلية[٨] بمسيرة أربع عشرة يوماً، وبمسيرة سبعة أيام يصل السالك منها إلى مدينة القيروان.

ثانياً: طريق تادمكة – القيروان: يربط بين تادمكة والقيروان، ولكنه يمر بمدينة بورجلة[٩].

ثالثاً: طريق تادمكة – غانة[١٠]: يحتاج سالك هذا الطريق إلى خمسين يوماً لإجتيازه، وهذا الطريق يبدأ بتادمكة عبر الصحراء، ثم تيرقي[١١]، ومنها إلى بوغرات، ثم إلى تادمكرة وسفنقو، وبعد ثلاث مراحل من سفنقو يصل السالك إلى غانة.

رابعاً: طريق آخر يصل بين تادمكة وغانة: يجتاز بعد تادمكة إلى مدينة تادمركة، ومنها إلى تامكة، فغانة.

خامساً: طريق يربط بلاد المغرب بجنوب الصحراء: يبدأ من ورجلة إلى فزان[١٢]، ثم إلى غات، ومنها إلى هجار، فتادمكة.

سادساً: طريق تادمكة – غدامس[١٣]: وهذا الطريق يصل تادمكة بطرابلس بعد إجتيازه لغدامس. والطريق على مراحل: تادمكة إلى عمارة سمغارة، ثم يمر بأربع مجابات إلى غدامس، ويحتاج هذا الطريق أكثر من خمسة وعشرين يوماً لإجتيازه.

سابعاً: طريق مصر – تمبكتو: هذا الطريق يجعل من تادمكة محطة رئيسية له، فهو ينطلق من واحة سيوة، إلى زويلة[١٤]، ثم تادمكة، فغاو، منتهياً بتمبكتو.

ثامناً: طريق الإسكندرية – السودان الغربي: هذا الطريق كسابقه في استخدام تادمكة، فيبدأ بغدامس، ثم تادمكة فالسودان الغربي.

تاسعاً: طريق تاهرت[١٥] – غاو: وهو كسابقيه في استخدام تادمكة، فيبدأ بتاهرت، ثم ورجلة مروراً بتادمكة، ومنها إلى غاو.

بالإضافة لهذه الطرق ترتبط تادمكة بمدن أخرى مجاورة لها، منها: كوكو[١٦]، وورجلة، وكاغو، ونسلا. وبهذه الطرق كان لتادمكة حضورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ضمن مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي بإفريقيا – كما يتضح لاحقاً[١٧].

أما عن جغرافية تادمكة فسطحها بصفة عامة جبلي تخترقه عدد من الشعاب والأودية (انظر صورة ١) كوادي إبدقن، والمدينة تقع بين سلسلتين جبليتين من الجهتين الشرقية والغربية، تتخللها مسالك طبيعية كأنها بوابات للمدينة، يبلغ عدد تلك البوابات أو ما عرفت بالعيون في ذلك الوقت ثمان عيون. أربع منها في الجهة الشرقية هي: عين المسجد، عين النساء، عين الأرك، عين الجوز (بنداق تكنا). وأربع أخرى في الجهة الغربية هي: عين الخيل (بنداق فاجيون)، عين السيل، عين الرمح (بندان داكبا)، عين الحصاة أو المدق (آلا)[١٨].

دخول الإسلام إلى تادمكة:

تجاوز أثر الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية لبلاد المغرب إلى أبعد من ذلك، فقد قام التجار المسلمون ببلاد المغرب بنقل الإسلام من خلال تجارتهم إلى بلاد السودان الغربي بعد استقرار الحكم الإسلامي. فقد عرف أهل قرافون وأهل

تادمكة وأهل غانة الإسلام منذ وقت مبكر، وذلك في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (١٠٥ – ١٢٥هـ / ٧٢٤ – ٧٤٣م)، بل قامت تادمكة وأهلها بدورها الدعوي تجاه مدينة كوكو وأهلها وغيرهم – فيما بعد[١٩].

لكن مع المتغيرات السياسية في بلاد المغرب ببسط الدولة الرستمية (١٥٩هـ – ٢٩٦هـ / ٧٧٦م – ٩٠٩م) سيادتها عليها، ومن بعدها الدولة المدرارية (٢٠٨هـ – ٢٩٦هـ / ٨٢٣م – ٩٠٨م) تحول أهل تادمكة كغيرهم من المذهب السني إلى المذهب الإباضي. ويظهر أن خلال هذه الفترة الزمنية ضعف ارتباط أهل تادمكة بالإسلام حيث ظهرت بعض الظواهر التي لم يعارضها أهل المدينة كالزنا، بل ظهر من خلال وصف بعض المؤرخين وكأنهم خرجوا عن الدين الإسلامي. ولهذا الحال ما أن قامت دولة المرابطين حتى وجهت قواتها لتادمكة؛ في حركة إصلاح وتجديد سني لها وللمدن المجاورة أيضاً. وقد تعاون المرابطون في هذه الحروب مع الملك دَيَفُنُ حاكم مملكة غانة، فكان لهم السيطرة على تادمكة ونسلا وغيرها من مدن غرب السودان. ومنذ هذا الوقت أضحت تادمكة مدينة وممالكة إسلامية لها دورها وحضارتها كمثيلاتها من المدن والممالك الإفريقية[٢٠].

التاريخ السياسي لتادمكة:

تعتبر تادمكة في الجانب السياسي من تلك المدن الخاضعة بصورة سلسة للنظام الحاكم على العموم. فتتابع حكم الدول– خلال فترة الدراسة – بصورة يظهر عليها السلمية والركون للخضوع الطوعي يؤكد ذلك؛ وذلك لكون إدارة المدينة كانت لأهلها، وإن خضت تحت حكم عام كما حدث مع حكامها بني تانماك. كما أنه يظهر انشغال أهلها بالتجارة ورغبتهم بالحياة السلمية تحت أي حكم سياسي.

ويعتبر انضواء تادمكة لحكم دولة الأدارسة (١٧٢ – ٣٧٥هـ / ٧٨٨م – ٩٨٥م) باكورة ذلك الخضوع، وذلك عندما تمدد حكم الأدارسة إلى منطقة زاغة على نهر النيجر. ثم انتقل حكم تادمكة للدولة الرستمية، بعد أن كان لهم وجودهم الاقتصادي والثقافي بها. وقد مثلت تادمكة مرجعاً مهماً للرستميين حتى بعد سقوط حكمهم على يد العبيديين في عام ٢٩٦هـ / ٩٠٩م، فقد كانت ملاذاً لهم، فروا إليها، وأنشئوا لهم بها أحياء سكنية كاملة. وعلى نهج الأدارسة والرستميين حكم بنو مدرار تادمكة[٢١].

رغم ذلك كان لأهل تادمكة الحكم المركزي على مدينتهم خلال هذه الفترة، فكان بنو تانّاكْ هم ملوك تادمكة، برز منهم: فسهر بن الفارة، وأيناو بن سبنزاك. وكون تادمكة خضعت لتلك الحكومات فلا يعني ذلك أن أهلها ركنوا للراحة والدعة في العيش، فالثائر أبي زيد بن مخلد بن كيداد الثائر ضد الدولة الفاطمية هو ابن تادمكة، وإلى نواحيها فر عندما فشلت ثورته في سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٤م[٢٢].

كما أن تادمكة تغير نهجها بعد خضوعها لحكم دولة المرابطين، الذي تلى حكم بنو مدرار، فأغار أهلها على من كان يجاورهم وفق منهج المرابطين الجهادي، كأراضي قبيلة جناوة. وهم في الأصل لم يخضعوا لحكم المرابطين إلا بعد أن أعان ملك غانة ديفن المرابطين على فرض سيطرتهم على مدينة تادمكة. ومع ذلك ظل أهل تادمكة هم حكامها ملوكاً كانوا أو سلاطين، فقد عُد سلطان تادمكة زمن السلطان أبي الحسن المريني أحد السلاطين البربر الثلاث أصحاب الحكم المستقل إلى جوار سلطان أهير وسلطان دمونسة[٢٣].

لكن يظهر أن هذا هو آخر عهد للحكم المستقل بتادمكة حيث بدأ عصر الممالك الكبرى بغرب أفريقيا. وكان أولها مملكة تكدة، غير أن خضوعها لم يطل لهذه

المملكة حيث وضع الطوارق يدهم على مدينة تادمكة، واستمر حكمهم لها حتى تمكنت مملكة مالي[٢٤] من ضم مدينة تادمكة لها. غير أن الطوارق عادوا لحكمها عندما دب النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة بمملكة مالي في سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٣م. وأحكموا قبضتهم عليها إلى ما بعد عام ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م، بالرغم من محاولات الملك منسا موسى الثاني[٢٥] (٧٧٥ - ٧٨٨هـ / ١٣٧٤ - ١٣٨٧م) استعادتها منهم، ولكنه اضطر لعقد هدنة معهم[٢٦].

وسرعان ما عادت تادمكة للتنقل بين حكم الممالك كمركز استراتيجي مهم لها يجب السيطرة عليه، فوضعت مملكة الكانم[٢٧] يدها على تادمكة. ثم تلتها مملكة الصنغي[٢٨] - السنغي - التي ضمت لحكمها مدن ولاته وتغازة وتادمكة. وقد نعمت هذه المدن بالأمن والاستقرار طوال الحكم الصنغي، وخاصة في ولاية سُنِّي علي[٢٩] وأسكيا الحاج[٣٠]، حيث شهدت تادمكة في عهدهما هجرات متتابعة للعرب والبربر إليها. ويعتبر الحكم الصنغي هو ختام العصر الإسلامي السياسي لتادمكة، فقد مثلت تبعيتها للدولة الصكتية – دولة آل فودي – بداية العصر الحديث لها[٣١].

الحياة الاقتصادية في تادمكة:

بلغت تادمكة مكانة اقتصادية كبيرة في العصر الإسلامي، فهي من أرتقى بها حالها الاقتصادي لتحمل اسم السوق في العصر الإسلامي وما بعده – عرفت بسوق إفورة في العصر الحديث، كما أنها محطة رئيسية في طرق القوافل، ولأهلها مكانة مذكورة في عملية التبادل التجاري، بل أن الحياة الاقتصادية بها جعلتها مطلباً لعدد من الدول كما حدث بصورة جلية مع الدولة الرستمية[٣٢].

عند الحديث عن دور تادمكة الاقتصادي يبرز أولاً موقعها كمحطة رئيسية لأغلب طرق التجارة الممتدة بين شمال قارة إفريقيا ووسطها. ومن أبرز تلك الطرق التجارية[٣٣]:

- طريق أوذغست[٣٤] – غانة – تادمكة – ورجلان – بلاد الجريد، هذا الطريق التجاري من الطرق القديمة، فقد رصد جغرافياً منذ مجيء المسلمون إلى شمال إفريقيا، وقد أدى دوره التجاري في الربط بين بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط إلى بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.
- طريق تادمكة – غدامس – جبل نفوسة[٣٥] – طرابلس، شهد هذا الطريق أهمية تجارية كبيرة وخاصة في تجارة الرقيق، ولكن مكانته تراجعت في أواسط العصر الإسلامي.
- طريق واحة سيوة – زويلة – تادمكة – غاو – تنبكتو، يعد أحد الطرق التجارية العرضية بإفريقيا، فهو يتجه من الشرق إلى الغرب بانحراف نحو الجنوب.
- طريق غاو – تادمكة – غات باتجاه برقة[٣٦] أو مصر، وطريق غاو – تادمكة – غدامس نحو برقة وإفريقية، كلا هذين الطريقين يتجهين من ناحية وادي النيجر باتجاه الشمال، وقد كانا ذا نشاط كبير خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.
- طريق توتك – تادمكة – كوكو، يعد هذا الطريق من الطرق التجارية المخصصة لنقل سلعة محددة، وهو مخصص لنقل معدن الملح.
- طريق أرْغوين – أُوليل[٣٧] – أودغشت – تادمكة – بلما (كوار) – زويلة – اوجيلة[٣٨] – الحبشة – وادي النيل، يعتبر هذ الطريق من الطرق الصحراوية التي تخترق الصحراء مستعينةً بمرورها على الواحات لإكمال مسيرتها، وهي من الطرق التجارية القليلة.

ونلاحظ أن تلك الطرق جعلت من تادمكة محطة رئيسة لها، إما بجعلها نقطة بداية أو نهاية له، أو من خلال جعلها نقطة استراحة وتداول للسلع المحمولة في تلك القوافل التجارية.

وقد منحت هذه الطرق تادمكة فرصة للالتقاء التجاري مع الأسواق الأخرى كأسواق: تيرقي، توتك، سجلماسة[٣٩]، برقة، غدامس، كوكو، السودان، غانة، إفريقية، مصر. فتمكنت تادمكة على أثرها من تسويق منتجاتها المحلية كالأحجار الكريمة، والذهب، والنحاس، أو القيام بدور الوسيط لتسويق عدد من المنتجات الهامة، ومن أهمها: الجريد، والملح، والجلود، وحجر الشبّ، وحجر تاسي النسمت[٤٠]، والرقيق، والثياب، والحبوب، والفخار المغربي[٤١].

ولم يكن دور تادمكة الاقتصادي قاصراً على وفرة تلك الطرق التجارية، بل كان لأهلها دور في ذلك، يتجلى من خلال صورتين: أولاً: ممارسة أهل تادمكة التجارة بأنفسهم، فكان لهم تواصل وحضور مشهود في الأسواق المجاورة كسوق تيرقي. ثانياً: توفر الوكلاء والأدلاء للتجار القادمين من خارج تادمكة، وهو أمر مهم بالنسبة لهم؛ خاصة وأن المنطقة المحيطة بهم منطقة صحراوية شاسعة. كما تم توفير الخانات وحظائر الجمال بتادمكة، وهذا كله دفع بالتجار للقدوم إلى تادمكة للتجارة، بل والاستقرار بها[٤٢].

أما عن التعامل بالنقد بتادمكة، فقد تعامل أهلها بالقيراط والدينار. وكان الدينار التادمكي في بدايته عبارة عن قطعة ذهبية لا ختم عليها؛ لذا عرفت بالدنانير الصلع[٤٣]. ورغم عدم ورود ذكر لعملات مسكوكة بتادمكة في المصادر، إلا أن هنالك كشف آثاري أكد على وجود قوالب لسك العملات الذهبية بها تعود للقرنيين الثاني والثالث الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين[٤٤]. وهذا ما يفيد بأن سك العملة انتقل مع الحضارة الإسلامية إلى تادمكة منذ فترة مبكرة.

أما الزراعة بتادمكة فيظهر أنها كانت ضعيفة نوعاً ما؛ بسبب جغرافية المدينة الجبلية، والمنطقة الصحراوية المحيطة بها. ورغم ذلك إلا أن هنالك مدلولات على وجود زراعة النخيل والقطن، يتضح ذلك من خلال تلك البذور التي وجدت ضمن

الآثار المتبقية عن المدينة (انظر صورة ٢)، كما أن تادمكة عرفت الزراعة التي تعتمد على الري بالأمطار[٤٥]. ونتيجة لهذا الضعف الزراعي وحاجة سكان تادمكة لما يمونهم كمصدر للغذاء اهتم أهلها بتربية الحيوانات، ومنها: الماعز، والأبقار وهي النسبة الأكبر، والجمال، والدجاج الحبشي، والنعام، والغزلان، والخيل. بالإضافة لتربية الحمير والكلاب للحاجة إليها في النقل والحراسة[٤٦].

الحياة الاجتماعية في تادمكة:

تعكس الحياة الاجتماعية غالباً الحالة السياسية والاقتصادية معاً، فكلاهما يؤثر جلياً على الحياة الاجتماعية. وهذا ما ظهر– وإن قل وصف ذلك – على تادمكة. فالاستقرار السياسي في العصر الإسلامي – بالرغم من تعدد الدول، والانتعاش الاقتصادي أعطى تادمكة الأفضلية على مدينتي غانة وكوكو بالرغم من مكانتهما السياسية التي تفوق تادمكة بكثير. كما أن تادمكة جمعت عدداً متنوعاً من القبائل والأعراق وصفه أحد المؤرخين بقوله:"ولو قلت أني لم أصل إلى كثير من قبائلهم لقلت حقاً"[٤٧].

ويتكون النسيج السكاني في تادمكة من: البربر والعرب والسودان والزنج. أما أهلها عند وصول الحكم الإسلامي إليها فكانوا من البربر وتحديداً قبائل مسوفة وسمغارة ومداسة، والسودان ومنهم بني تانماك. غير أن هذا النسيج تغير فيما بعد، فقد استقبلت تادمكة هجرات من العرب، والمزيد من قبائل البربر والسودان والزنج (انظر خارطة ٤). وهو التكوين الاجتماعي الذي شهد صورتين: الأولى: المحافظة على العرق وسلامته، كما حدث مع الرستميين عندما انتقلوا إلى تادمكة، وخصصوا حياً سكنياً لهم. الثاني: حدوث تمازج بين هذه الأعراق، ومن ذلك صنهاجة تادمكة، وهم في الأصل سودان حازوا بياض البشرة بفضل هذا التمازج العرقي. وكذلك المولدون من زناتة، ومثيلهم ذلك التمازج بين البربر والزنج الذي شهده عهد مملكة صنغي[٤٨].

وقد كان هذا التكوين الاجتماعي على حالتين في طبيعته الحياتية: حياة الحاضرة في المدينة، وحياة البداوة في براريها. أما حاضرة تادمكة فكان لباسهم: الدراريع – مماثلة لدراريع المغاربة ولكنها أضيق، والأقمصة، والسراويل، والعمائم المنسوجة من القطن والحرير وغيرها، وهي تصبغ بالألوان الأحمر والأصفر والأزرق، أما نسائهم فكن يتزين بالذهب والأحجار الكريمة والخرز الزجاجي – أحادي اللون. وطعام حاضرة تادمكة اللحوم والألبان وما يصنع من حب يظهر بأرضهم دون زراعة، بالإضافة للحبوب التي تجلب من أرض السودان من ذرة وغيرها. وكلها كانت تصنع وتقدم في الأواني الفخارية أو النحاسية أو الزجاجية (انظر صورة ٣ – ٤).

وبالنظر للحياة الاقتصادية نجد أن حاضرة تادمكة كانت تعيش لفترات طويلة مستوى معيشي مترف نوعاً ما، على النقيض منهم بادية تادمكة، فقد رُصد حال لهم يظهرهم على حال البداوة، فطعامهم اللحم واللبن، وهم لا يعرفون الطعام المصنوع ولا الشعير والحنطة أو غيرها من الحبوب. كما أن حياتهم الشقاء والاتّشاح بالكساء، مما يؤكد على أنهم كانوا ضاربين في البداوة كغيرهم من بادية الصحراء[٤٩].

أما عن العادات والتقاليد لأهل تادمكة فعرف عنهم حب السفر والتجارة، وأنهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء، وهذا المظهر الأخير ما هو إلا عادة لدى البربر ممن سكن تادمكة أو مظهر مكتسب لأهلها على العموم[٥٠].

واليوم لا ذكر لأهل تادمكة سوى من نسب إليها بالتادمكي أو السوقي نسبة للسوق الذي عرفت به خلال فترات زمنية، حيث انتقل الكثير من أهلها إلى بلاد آير؛ دون سبب معلوم لكنه لا يبتعد عن كونه أحد العوامل الطبيعية – من جفاف وسيول جارفة – أو الغارات الحربية[٥١].

آثار مدينة تادمكة:

كما غاب أهل تادمكة غابت تادمكة، وكلاهم أصبح أثراً بعد عين. ولكن لا يعقل لمدينة مثل تادمكة أن لا يكون لها آثار ومعالم وإن هجرت منذ زمن بعيد. وهو ما وقعت عليه يد عدد من المشاريع الآثارية الكشفية. واليوم لا يوجد من مدينة تادمكة سوى بعض الآثار التي أبقى عليها الزمن (انظر صورة ٥)، فتواجد تادمكة في منطقة شعاب وأودية[٥٢]، وكون أحد أبوابها هو باب السيل فمن البديهي بعد هذا الزمن الطويل أن لا يبقى من المدينة سوى الأثر. وتبلغ مساحة تلك الآثار الموجودة بموقع تادمكة خمسون هكتاراً (انظر صورة ٥)، يغلب عليها أنها تعود للقرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[٥٣].

وأبرز هذه الآثار بناء مطمور بالرمال (انظر صورة ٧ – ٨)، يتكون من عدد من الوحدات الصغيرة مستطيلة الشكل، ذات مخرج أو مخرجين. وتتصل فيما بينها بممرات. ولهذا المسكن بهو، وغرفة لصناعة المعيشة بها موقد لذلك. ويبلغ إرتفاع جدران المسكن خمسة أمتار، يعلوها سطح السكن الذي يمكن الصعود إليه عن طريق درج مخصص لذلك. وعن مواد بناء المسكن فهي من الحجارة الصماء، واللبن، والطين. ويغلب على هذا البناء وما تبقى من غيره بساطة البناء، وتكونها من دور واحد في غالبها على ما يظهر[٥٤].

وإلى جوار هذه المساكن رصدت مقابر على صنفين: أولها: مقابر خاصة تتواجد ضمن بناء المساكن، وهي المقابر التي عرفت عبر التاريخ لعلية القوم وسادتها. والأخرى: مقبرة عامة محاطة بسور، وهي لعامة سكان تادمكة، ورصد بهذه المقابر بقايا شواهد لتلك القبور، عليها كتابات باللغة العربية واللغة الأمازيغية بالإضافة لرسومات متنوعة[٥٥].

وعند الحديث عن الكتابات الصخرية فقد رصد نص عربي على صخرة شاخصة بتادمكة – لم يرصد تحديد زمني لها – ونصها كالآتي (انظر صورة ٩):

المقطع الأول: على يمين الصخرة من جزئين، ونصها: "وكتبه..... ابن ابا بكر رحمه الله يوم الثلثة"، والجزء الثاني: "..... ابراهيم رى و تكر رحمة الله في عام..... مائه من التاريخ".

المقطع الثاني: على يسار الصخرة من جزء واحد، ونصه: "من قال لا اله الا الله محمد رسول الله مخلصا من قلبه دخل الجنة"(٥٦).

مقاربة بين مكة المكرمة وتادمكة:

كان الحكم على مماثلة أو مشابهة تادمكة لمكة المكرمة يقتصر على تلك الطبيعة الجغرافية المتشابهة، ولكن التشابه جاوز إلى جوار الجانب الجغرافي جوانب عدة هي: جانب التعدد اللفظي لمسمى المدينتين، وجانب المزيج السكاني، والجانب الاقتصادي. وهذا التشابه في تلك الجوانب كالآتي:

الجانب الجغرافي: عند الحديث في الصور المتماثلة جغرافياً بين مكة المكرمة وتادمكة يلاحظ أن هنالك عدة عناصر متماثلة، أولها: أن كلا المدينتين تتوسط طرفين لا يمكن الوصول إليهما إلا بالعبور إليهما، فمكة المكرمة تتوسط الساحل الغربي للجزيرة العربية، وتادمكة تتوسط شمال إفريقيا وأواسطها. ثانياً: كلتا المدينتان تحيط بهما الجبال، ولذا فجغرافية المدينتين عبارة عن شعاب تلك الجبال، كما أن تلك الجبال تشكل فيما بينها مداخل طبيعية للمدينتين(٥٧).

الجانب اللفظي: عرفت مكة المكرمة بمسميات متعددة، منها ما سميت به بسبب طبيعتها الجغرافية أو صفات اتصفت بها وغير ذلك، وعلى شاكلتها تعددت مسميات مدينة تادمكة، كما تعدد نطق اسمها – مع فارق كبير لمكة المكرمة شرفها الله

– فتادمكة وتادمكت وتدمكة جميعها ألفاظ لاسم واحد، والسوق وأسوك وسوق إفورة كذلك[٥٨].

الجانب الاجتماعي: تتميز بعض المدن بقدرتها على تكوين مزيج سكاني يجمع بين سكانها الأصليين والمجاورين؛ كونها ذات تميز عقدي كمكة المكرمة، أو اقتصادي كتادمكة، أو حتى سياسي، أو أمني. ومعلوم منذ نشأة مكة المكرمة مدى ذلك الوفود إليها من جميع أصقاع العالم الإسلامي، حتى أن السياسات الحاكمة لها كانت تنادي بعودة القادمين إليها في موسم الحج إلى ديارهم. ورغم ذلك شكل مزيج من أولئك المجاورين والسكان الأصليين المجتمع المكي. وليس ببعيد حال تادمكة، فقد كانت مقصداً لعدد متنوع من الأعراق؛ انتقل إليها بهدف الاستفادة من تميزها الاقتصادي. فكان المجتمع التادمكي خليطاً من تلك الأعراق[٥٩][٦٠].

الجانب الاقتصادي: امتازت مكة المكرمة وتادمكة في الجانب الاقتصادي بكونهما محطة اتصال للمنتجات التجارية فيما بين المدن والأقاليم، وهو ما جعل منهما مركزاً تجارياً يماثل ما يعرف اليوم بالمراكز التجارية متعددة المنتجات. ولم يقف الأمر عند ذلك بل كان لأهليهما دور ملحوظ ليس فقط في إدارة الجوانب الاقتصادية بمدنهم، بل كان لهم دوراً بارزاً في الأسواق الأخرى، فكان ذلك الثراء الملموس لمن مارس التجارة في مكة المكرمة وتادمكة[٦١].

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

- يؤكد مسمى تادمكة قدسية مكة المكرمة لدى سكانها، سواء عاد المسمى زمنياً إلى حين دخول المسلمين إليها، أو كان قبل ذلك.
- تنسب مدينة تادمكة جغرافياً لبلاد السودان الغربي، كما تنسب في نفس الوقت لبلاد المغرب سياسياً حيث أنها تبعت لفترات زمنية الحكم القائم بالمغرب.
- تقع مدينة تادمكة بين سلسلتين جبليتين من الجهتين الشرقية والغربية، تتخللها فتحات طبيعية وكأنها بوابات للمدينة عرفت بالعيون في ذلك الوقت، منها: عين الجوز (بنداق تكنا)، وعين الخيل (بنداق فاجيون)، وعين الرمح (بندان داكبا)، وعين الحصاة أو المدق (آلا).
- ترتبط تادمكة بشبكة طرق مكنتها من التواصل مع أغلب المدن الكبرى في شمال إفريقيا والسودان الغربي.
- عرف أهل تادمكة الإسلام منذ وقت مبكر، وذلك في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك الأموي (١٠٥ – ١٢٥هـ / ٧٢٤ – ٧٤٣م)، وهو ما مكنها للقيام بدورها الدعوي.
- امتازت مدينة تادمكة في الجانب السياسي بنوع من الاستقرار، بالرغم من تعدد الحكومات المسيطرة عليها؛ وذلك عائد للقدرة القيادية لأهلها.
- نالت مدينة تادمكة مكانة اقتصادية كبيرة في العصر الإسلامي، فهي محطة رئيسية في طرق القوافل، ولأهلها مكانة مذكورة في عملية التبادل التجاري.
- عرفت تادمكة وحدات النقد منذ القرنين الثاني والثالث الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، وسكت النقود بأرضها.

- شكل البربر والعرب والسودان والزنج نسيج سكان مدينة تادمكة في العصر الإسلامي.
- لازالت أرض تادمكة تحوى شيئاً من آثارها، وهو ما عملت وتعمل عليه اليوم عدد من فرق التنقيب عن الآثار.
- رصد بمدينة تادمكة مقابر على صنفين: أولها: مقابر خاصة تتواجد ضمن بناء المساكن، وهي المقابر التي عرفت عبر التاريخ لعلية القوم وسادتها. والأخرى: مقبرة عامة محاطة بسور، وهي لعامة سكان تادمكة، ورصد بهذه المقابر بقايا شواهد لتلك القبور، عليها كتابات باللغة العربية واللغة الأمازيغية بالإضافة لرسومات متنوعة.
- كان الحكم على مماثلة أو مشابهة تادمكة لمكة المكرمة يقتصر على تلك الطبيعة الجغرافية المتشابهة، ولكن التشابه جاوز ذلك إلى: جانب التعدد اللفظي لمسمى المدينتين، وجانب المزيج السكاني، والجانب الاقتصادي.
- يوصي البحث بتوجيه الدراسات التاريخية العلمية لتتبع آثار تلك المدن الإسلامية التي زالت عن الوجود، والتنبيه لأهميتها التاريخية.

الملاحــق

(خارطة ١)

موقع تادمكة في دولة مالي

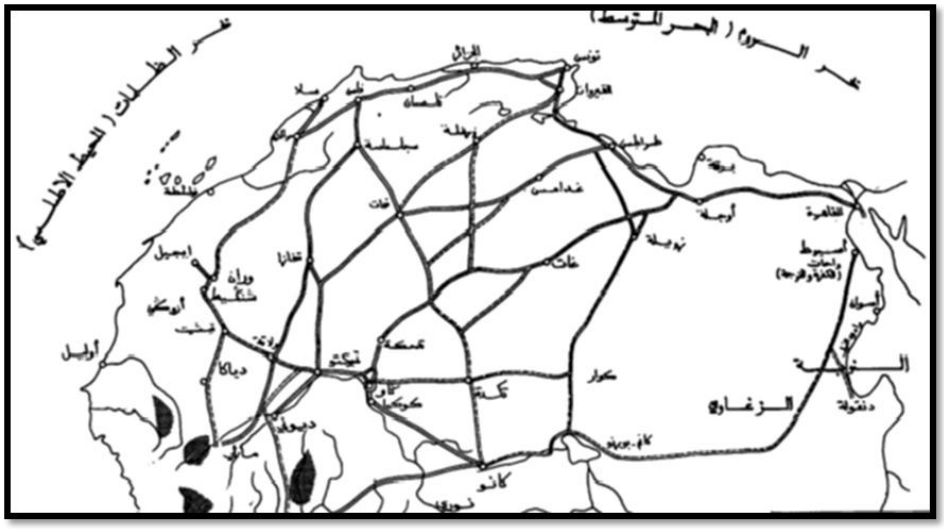

(خارطة ٢)

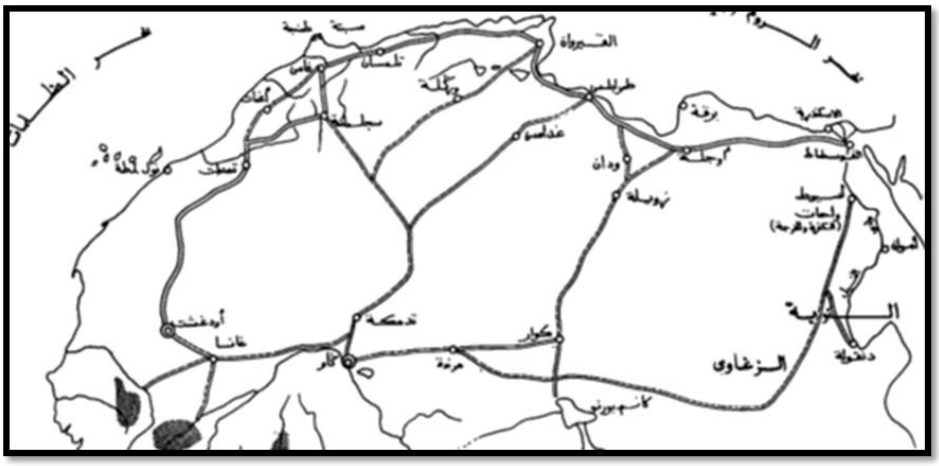

(خارطة ٣)

خارطتين توضحان نماذج للطرق المتصلة بتادمكة

(صورة ١)

صورة لموقع مدينة تادمكة الحالي

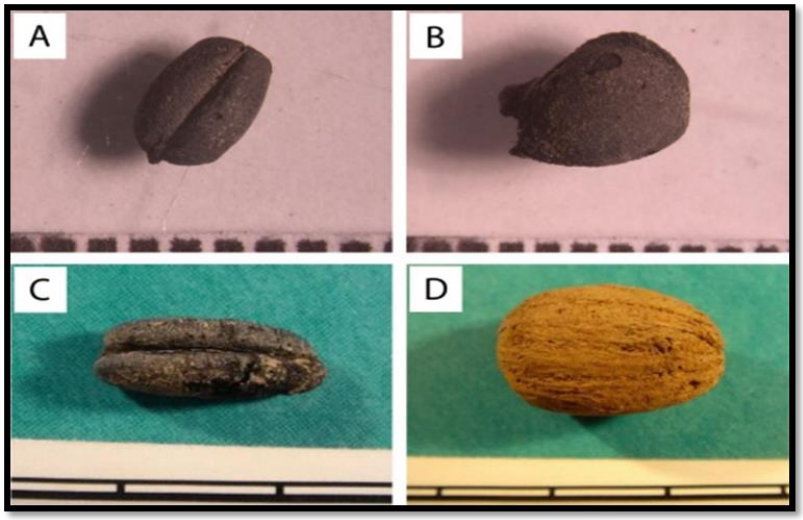

(صورة ٢)

صور لنوى ثمار وجدت بتادمكة

أ.قمح. ب.القطن. ج.التمر. د.ثمر الدوم.

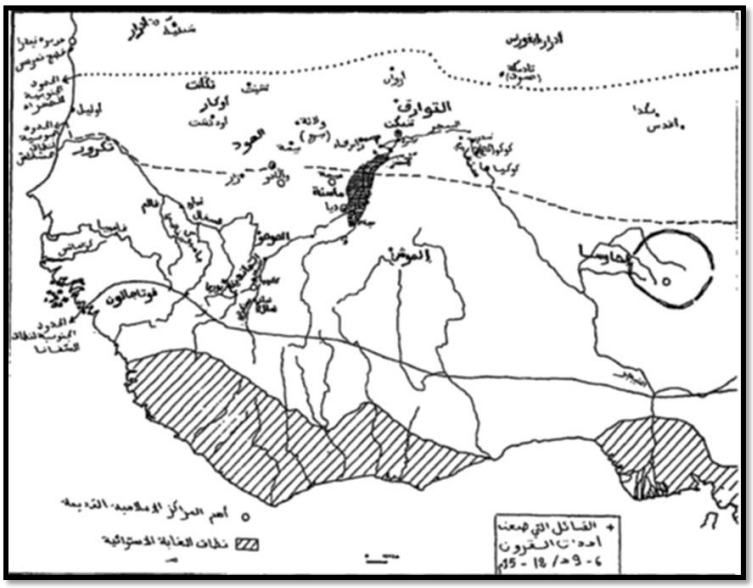

(خارطة ٤)

خارطة توضح توزيع القبائل في الغرب السوداني

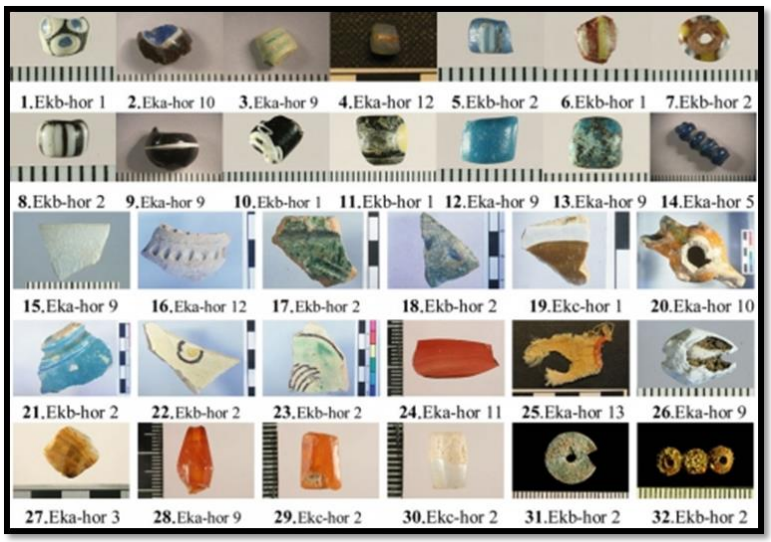

(صورة ٣)

صورة لمجموعة من قطع الخزف والأحجار الكريمة

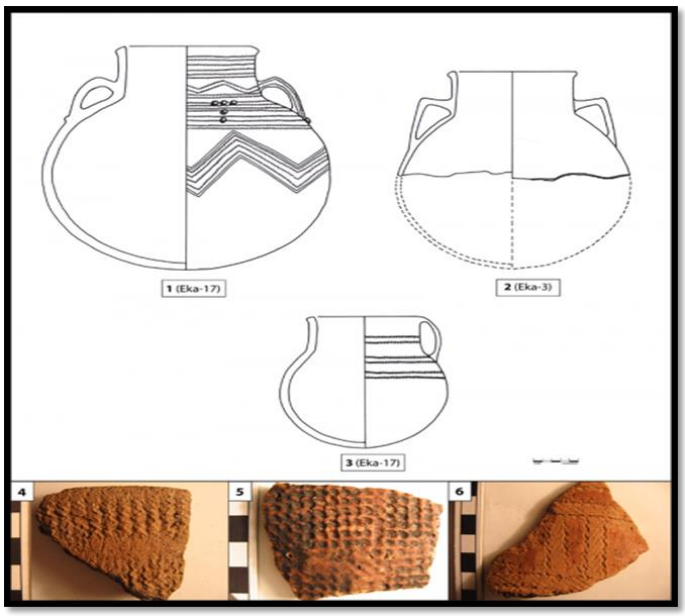

(صورة ٤)

صور وتصميم لفخار طيني

(صورة ٥)

أثار مدينة تادمكة

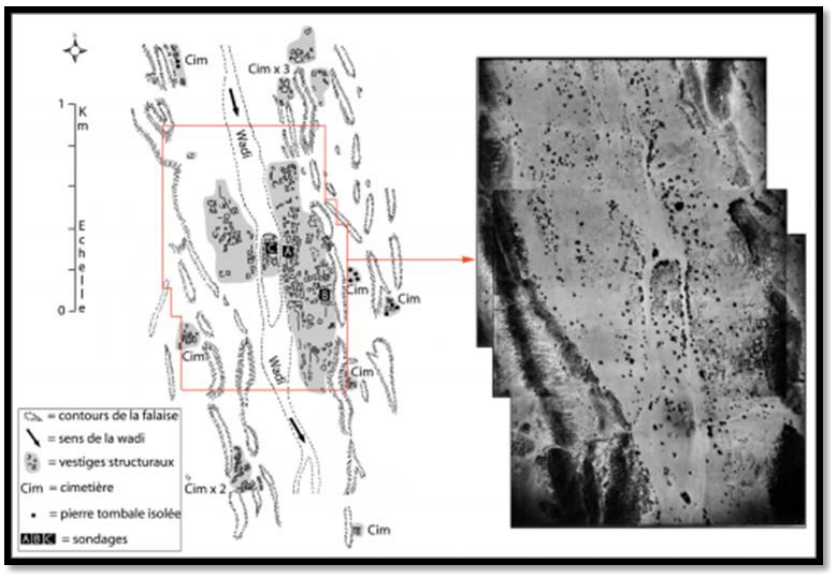

(صورة ٦)

صورة جوية لأثار مدينة تادمكة

(صورة ٧)

أثر لأحد مباني مدينة تادمكة

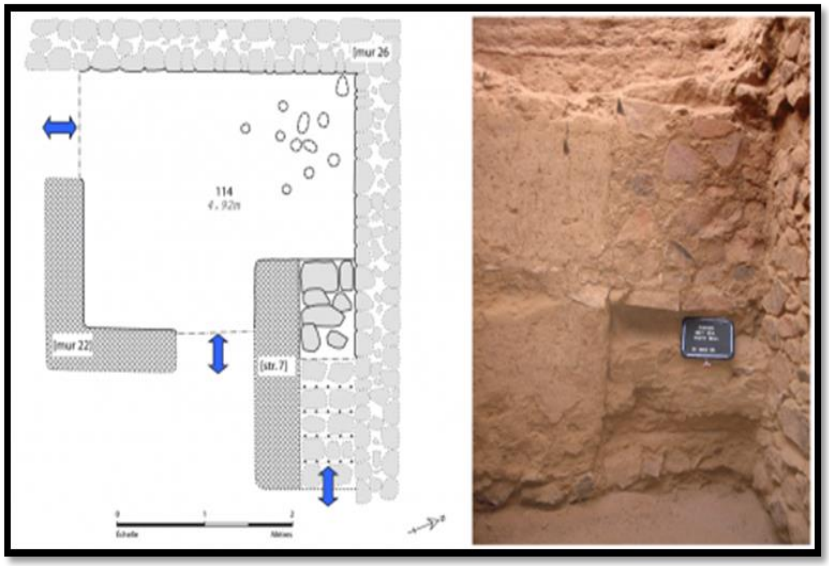

(صورة ٨)

صورة لمبنى بمدينة تادمكة من الداخل

(صورة ٩)

نقش عربي على إحدى صخور تادمكة

الهوامش والتعليقات:

(١) أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص ١٨١ - ١٨٢. شهاب الدين أحمد يحيى فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٣٣. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي، مجلة التاريخ العربي، ع ٥٣، جمعية المؤرخين المغاربة، ص٤٩. نقولا زيادة: إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي"، ط ١، رياض الريس للكتب والنشر، كانون الثاني / يناير ١٩٩١م، ص ٣٢٠ -٣٢١. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، مج ٢، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص ٤٧٧.

(٢) أسماء الإشارة في لغة الطوارق هي: واد بمعنى هذا، ووِيد بمعنى هذين وهؤلاء، وتاد بمعنى هذه، وتيد بمعنى هؤلاء. انظر محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.ص ١٥٩.

(٣) البكري: المغرب، ص ١٨١. محمد عبدالمنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٢٨. العبدري: الرحلة المغربية، ص ١٥٩. أبي عبيد البكري: المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٨٨٠.

(٤) علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط ١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١١٥. العبدري: الرحلة المغربية، ص ١٥٩. مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص ١٤٦. أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق عبدالكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٤٨١. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص٤٩. شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٩١.

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٩ – ١٤٥- ٤٢٧. محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص ١٢٥ – ١٢٦. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص٨٧٩ وما يليها. البكري: المغرب، ص١٨٠ وما يليها. مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٤٦- ٢٢٤. أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى، ص ٤٨١. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣١٩ - ٣٢٠ – ٣٢١. عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ٢١٣ – ٢١٤. مزاحم علاوي محمد الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع ١٥، غرادية، الجزائر، ٢٠١١م، ص ١٢٥. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ٢، ص ٤٧٧. الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، ربيع الثاني ١٤٢٠هـ / أغسطس ١٩٩٩م، ص ٣١٤. عبدالغني عبدالفتاح زهرة: تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ٢٠١. الفاتح الزين الشيخ ادريس: الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى، دراسات إفريقية، ع ٣٩، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ / يونيو ٢٠٠٨م، ص ٦٧. خالد بلعربي: العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة، العدد الثامن، جمادى الآخرة ١٤٣١هـ / يونيو ٢٠١٠م، ص ٧٠.

(٦) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، طولها إحدى وثلاثيون درجة، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة، كان لها دور كبير في العصر الإسلامي سياسياً وحضارياً. انظر ياقوت عبدالله الحموي: معجم البلدان، ج ٤، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٢٠ -٤٢١.

(٧) ورجلان: كورة بين إفريقية وبلاد الجريد، يسكنها البربر. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧١.

(٨) قسطيلية: كورة بأرض الزاب الكبير، تتبعها مدن عدة منها توزر والحمة ونفطة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٨.

(٩) ورجلة: مدينة بالصحراء الكبرى أسستها قبيلة وركلا الزناتية، وهي اليوم جنوب غربي دولة الجزائر. للاستزادة حول هذه المدينة انظر أحمد ذكار: مدينة ورقلة "التسمية والتأسيس"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ١٧، ديسمبر ٢٠١٤م.

(١٠) غانة: مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب، متصلة ببلاد السودان الغربي. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٤.

(١١) تيرقي: مدينة كبيرة غير مسورة ببلاد السودان الغربي. انظر محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج ١، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٥.

(١٢) فزان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. عاصمتها مدينة زويلة السودان. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٠.

(١٣) غدامس: مدينة بجنوب المغرب، من ناحية بلاد السودان الغربي. اشتهرت على مر الزمن بدباغة الجلود. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٧.

(١٤) زويلة: مدينة غير مسورة من بلاد السودان الغربي مقابل اجدابية في البر بين السودان وإفريقية. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(١٥) تاهرت: مدينة من بلاد السوس، وهي على شطرين: مدينة قديمة مسورة، ومدينة حديثة. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ٢٢٢ – ٢٥٥ – ٢٥٦.

(١٦) كوكو: بلاد من أرض السودان الغربي، وهي في الإقليم الأول. ويطلق مسمى كوكو أيضاً على أهلها. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٥.

(١٧) انظر ص ٧ – ١٠ - ١٣.

(١٨) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥. رواية محمد أحمد السوقي، تادمكة، ٥/ ٥/ ٢٠١٣م.

(١٩) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٦. أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني "إمبراطورية مالي"، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ /

١٩٩٩م، ص ١٠٥. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٠١.

(٢٠) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ٨٨٠. الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٥ – ١٢٦. عز الدين عمر موسى: وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٥٠ وما يليها. شمس الدين الكيلاني: الآخر في الثقافة العربية "صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٠٢. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص٤٩. الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، ط ١، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٧٧.

(٢١) أبو القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ١٠١. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. فراس سليم حياوي: الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع ١٠، جامعة بابل، كانون ثاني ٢٠١٣م، ص ١٧٧. الهادي المبروك: التاريخ السياسي، ص ٣١٤ – ٣١٥. عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ٥٠ – ٥١ – ٥٢. تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية، ج ٢، ترجمة أحمد بومزكو، منشورات مؤسسة تالوالت الثقافية، ٢٠٠٦م، ص٥٣.

(٢٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٣ – ٧٤ – ٩٤ – ١٠١ - ١٠٢. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١١. عبدالرحمن بشير: الفقيه والسلطان "الفقهاء والاعتزال والدولة في المغرب الإسلامي"، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ١٥٢ - ١٥٣. الفاتح الزين: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٦٨.

(٢٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٦. العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٣٣. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٠. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص ٤٩. عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ٥٣. بشار اكرم الملاح: التحولات التي أحدثها الاسلام في المجتمع الأفريقي، دار غيداء، ص ٨٣.

(٢٤) مملكة مالي: مملكة في جنوب غرب نهاية المغرب الإسلامي، قاعدتها مدينة يـيتي، وقـد قامـت مملكة مالي على أنقاض مملكة غانة في أوائل القـرن السـابع الهجـري / أوائـل القـرن الثالـث عشر الميلادي، ويعتبر ماري جاطة المؤسس الحقيقـي لهـذه المملكـة. انظـر العمـري: مسـالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٠٧. الأمين محمد: العلاقات، ص ٤٩ – ٥٠.

(٢٥) منسا موسى الثاني: هو صاحب تلك الحجة الشهيرة في عـام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م، وقـد تـولى حكم مالي مدة ٢٥ سنة، توفي ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م. انظر عبدالرحمن بن خلدون: ديوان المبتـدأ والخبر في تاريخ العرب والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي الشـأن الأكـبر، ج ٦، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ – ٢٧٠.

(٢٦) حماه الله ولد السـالم: موريتانيـا في الـذاكرة العربيـة، ط ١، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيروت، لبنان، يونيو ٢٠٠٥م، ص ٦٧ – ٦٨. أحمد الشـكري: الإسـلام، ص ١٩٦ – ١٩٧. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص ٤٩.

(٢٧) مملكة الكانم: مملكة مستقلة، قاعـدتها مدينـة جيمـي، بينهـا وبـين مـالي مسـافة بعيـدة. انظـر العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ٩٥.

(٢٨) مملكة الصنغي: يعود تأسيس مملكة الصنغي إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر المـيلادي، وقد أسست المملكة على يد علي كولن وسليمان نار بعد تمكنهما من الفرار مـن أسـر مملكـة مالي. انظر الأمين محمد: العلاقات، ص ٦٦.

(٢٩) سُنِّي علي: هو الملك علي كولن، حكم مملكـة صـنغي مـن عـام ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م إلى عـام ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م. انظر الأمين محمد: العلاقات، ص ٦٧.

(٣٠) أسكيا الحاج: هو اسكيا الحاج محمد الكبير، كان قائد في جيش الملك سني علي، وقـد اسـتولى على حكم مملكة صنغي بعد وفاة سني علي؛ حيث أن ولي العهد أبي بكر داعو بن سني علـي كان ضعيفاً، فكان الحكم لأسكيا من عـام ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م إلى وفاتـه في عـام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م. انظر الأمين محمد: العلاقات، ص ٦٨.

(٣١) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥. عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي، ص ٢١٣ – ٢١٤. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٢٣. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص ٤٩.

(٣٢) انظر ص ٨.

(٣٣) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٣. نقولا زيادة: الطرق والمسالك في المغرب العربي من أواسط القرن الرابع إلى أواسط القرن السادس الهجري / العاشر إلى الثاني عشر الميلادي، جزء من كتاب المرجع، ص ٢٢ – ٢٣. ج. ت. نياني: تاريخ إفريقيا العام، مج ٤، اليونسكو، ١٩٨٨م، ص ٢١٤ – ٢١٥. الأمين محمد: العلاقات، ص ١٢٥. عبدالإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م، ص ١٨٨. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٠١. صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، مؤسسة تاوالت الثقافية، ٢٠٠٦م، ص ٥٥ – ٥٦ – ٥٧ – ٢١٤. تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤.

.Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p 33

(٣٤) أوذغست: مدينة ببلاد المغرب بين جبلين، تقع جنوب من مدينة سجلماسة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٧ -٢٧٨.

(٣٥) جبل نفوسة: هو في الأصل سلسلة جبلية ببلاد المغرب مما يلي إفريقية، وهي تمتد من الشرق إلى الغرب مسيرة ستة أيام. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣٦) برقة: صقع كبير يمتد بين الإسكندرية وإفريقية، وبه عدد من المدن، وعاصمته مدينة انطابلس. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٣٧) أُوليل: مدينة ببلاد السودان الغربي، وهي في الأصل جزيرة يعبر إلها بالسفن. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ١٧ – ١٩ - ١٠٨.

(٣٨) اوجيلة: مدينة صغيرة متحضرة ناحية برقة، يحيط بها النخيل والزروع. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ٣١٢.

(٣٩) سجلماسة: مدينة في جنوب بلاد المغرب، في طرف بلاد السودان الغربي. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٢.

(٤٠) حجر تاسي النسمت: هو حجر كريم يشبه العقيق. نقولا زيادة: الطرق والمسالك، ص ٢٣.

(٤١) الحميري: الروض المعطار، ص ١٤٥. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٩ – ٨٨٠ – ٨٨٣. البكري: المغرب، ص ١٨٠ – ١٨٣. مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ٢٢٢. نقولا زيادة: الطرق والمسالك، ص ٢٣. بن مليح: الرق، ص ١٨٨ – ١٨٩. عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ٥٠ وما يليها. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٢٣. حمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، ع ٢٥، البيضاء، ليبيا، ص ١٠ – ١٤. مجلة المؤسسة: بحوث مميزة في كلية لندن الجامعية في قطر، مجلة المؤسسة، ع ٣٧، مؤسسة قطر، يناير ٢٠١٢م، ص ٥. نياني: تاريخ إفريقيا، مج ٤، ص ٢٠٠. شمس الدين الكيلاني: صورة الشعوب السوداء، ص ٩٥. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ٢، ص ٤٧٦. حسن دتاوشيخت: سجلماسة كمركز للتواصل الحضاري مع إفريقيا، ميثاق الرابطة، ع ٦١، ٢٠١١م، ص ٦. بشار الملاح: التحولات، ص ١٣٣.

Sam Nixon: « Tadmekka. Archéologie d'une ville caravanière des premiers temps du commerce transsaharien », Afriques, 23 mai 2013 AD, p 15 – 18 – 35 - 38. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold with glass e an early Islamic technology at Tadmekka, Journal of Archaeological Science, 49, 2014 AD, p 33 – 39.

(٤٢) عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي، ص ٢١٢. حمد الجهيمي: العلاقات التجارية، ص ١٠.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 2 – 3 – 73 – 76.

(٤٣) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨١. الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٨.

(٤٤) قام الدكتور سام نيكسون بمشروع حفريات أثرية بتادمكة في عام ٢٠٠٤م اكتشف من خلاله قوالب لسك العملات الذهبية. انظر مجلة المؤسسة: بحوث مميزة، ص ٥.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 39 – 58 - 73. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p 39 – 40.

(٤٥) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨١. الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٨ - ١٢٩.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 46 – 89.

(٤٦) Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 41 – 42 – 45 – 48 – 53 – 62 – 88.

(٤٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٤٨) البكري: المغرب، ص ١٨١. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٩. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٠١. العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٣٣. عصمت عبداللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٤. مزاحم الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى، ص ١٢١. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص٤٩. عبدالرحمن بشير: الفقيه والسلطان، ص ١٥٢ - ١٥٢. فراس سليم: الدولة الرستمية، ص ١٧٧. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص ١٥. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠.

(٤٩) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨١. الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٨ - ١٢٩. شمس الدين الكيلاني: صورة الشعوب السوداء، ص ٩٥ - ١٠١. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣١٩ وما يليها.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 14 - 39 – 45 – 53 – 61 – 77 – 78. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p 33 – 38.

(٥٠) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨١. الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٨. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢١. بشار الملاح: التحولات، ص ٥٤ - ١٨٠.

(٥١) عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص ٤٩.

Mehdi Abou ‘Abdir-Rahmân: Autobiographie du savantissime Cheikh Hammâd Al-Ansârî, 8/29/2013 AD, p 3.

(٥٢) انظر جغرافية تادمكة ص ٦.

(٥٣) حسن تاوشيخت: سجلماسة، ص٦. مجلة المؤسسة: بحوث مميزة، ص ٥.

(54) Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 16 to 33. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p 36.

(55) Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 12 – 32 – 62.

(56) Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 12.

(٥٧) الادريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ١٣٩.

(٥٨) البكري: المغرب، ص ١٨٢. محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ط١، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ٦٣. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص٤٩. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠ -٣٢١. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ٢، ص ٤٧٧.

(٥٩) انظر الحياة الاجتماعية ص ١٣.

(٦٠) البكري: المغرب، ص ١٨١. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٩. عبدالله الغازي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مج ٦، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٣٣٦. عبدالله الغازي المكي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط ١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٥ وما يليها. عصمت دندش: دور المرابطين، ص ٣٤. مزاحم الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى، ص ١٢١. فراس سليم: الدولة الرستمية، ص ١٧٧. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ، ص ١٥. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠.

(٦١) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨٣. البكري: المغرب، ص ١٨٠ - ١٨٣. مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ٢٢٢. محمد طاهر المكي: التاريخ القويم، ج ٢، ص ١٣٩ وما يليها. نقولا زيادة: الطرق والمسالك، ص ٢٣. عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ٥٠ وما يليها. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٢٣. حمد الجهيمي: العلاقات التجارية، ص ١٠ – ١٤. نياني: تاريخ إفريقيا، مج ٤، ص ٢٠٠. شمس الدين الكيلاني: صورة الشعوب السوداء، ص ٩٥. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ٢، ص ٤٧٦. بشار الملاح: التحولات، ص ١٣٣. جيهان بنت عبدالرحمن شاه بهاي: دور مكة المكرمة في الحياة الاقتصادية قبل الإسلام، رسالة علمية، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٣٥ وما يليها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م.
- شهاب الدين أحمد يحيى فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- عبدالرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- عبدالله الغازي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- عبدالله الغازي المكي الحنفي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط ١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- أبي عبيد عبدالله عبدالعزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- أبي عبيد عبدالله عبدالعزيز البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م.
- علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط ١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م.
- أبو القاسم بن أحمد الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق عبدالكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

- أبو القاسم محمد حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
- محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ط١، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- محمد عبدالمنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.
- ياقوت عبدالله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

المراجع:

- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني "إمبراطورية مالي"، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، ط ١، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- بشار اكرم الملاح: التحولات التي أحدثها الاسلام في المجتمع الأفريقي، دار غيداء.

- تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية، ترجمة أحمد بومزكو، منشورات مؤسسة تالوالت الثقافية، ٢٠٠٦م.
- ج. ت. نياني: تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٨م.
- حماه الله ولد السالم: موريتانيا في الذاكرة العربية، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، يونيو ٢٠٠٥م.
- شمس الدين الكيلاني: الآخر في الثقافة العربية "صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٨م.
- شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، مؤسسة تاوالت الثقافية، ٢٠٠٦م.
- عبدالرحمن بشير: الفقيه والسلطان "الفقهاء والاعتزال والدولة في المغرب الإسلامي"، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- عبدالغني عبدالفتاح زهرة: تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- عبدالإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م.
- عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- عز الدين عمر موسى: وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- عصمت عبداللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- نقولا زيادة: إفريقيات "دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي"، ط ١، رياض الريس للكتب والنشر، كانون الثاني / يناير ١٩٩١م.
- نقولا زيادة: الطرق والمسالك في المغرب العربي من أواسط القرن الرابع إلى أواسط القرن السادس الهجري / العاشر إلى الثاني عشر الميلادي، جزء من كتاب المرجع.
- الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، ربيع الثاني ١٤٢٠هـ / أغسطس ١٩٩٩م.

الرسائل العلمية:

- جيهان بنت عبدالرحمن شاه بهاي: دور مكة المكرمة في الحياة الاقتصادية قبل الإسلام، رسالة علمية، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

الأبحاث المنشورة:

- أحمد ذكار: مدينة ورقلة "التسمية والتأسيس"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ١٧، ديسمبر ٢٠١٤م.
- حسن دتاوشيخت: سجلماسة كمركز للتواصل الحضاري مع إفريقيا، ميثاق الرابطة، ع ٦١، ٢٠١١م.
- حمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، ع ٢٥، البيضاء، ليبيا.
- خالد بلعربي: العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة، العدد الثامن، جمادى الآخرة ١٤٣١هـ / يونيو ٢٠١٠م.
- عبدالعلي الودغيري: دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي، مجلة التاريخ العربي، ع ٥٣، جمعية المؤرخين المغاربة.
- الفاتح الزين الشيخ ادريس: الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى، دراسات إفريقية، ع ٣٩، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ / يونيو ٢٠٠٨م.

- فراس سليم حياوي: الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع ١٠، جامعة بابل، كانون ثاني ٢٠١٣م.
- مجلة المؤسسة: بحوث مميزة في كلية لندن الجامعية في قطر، مجلة المؤسسة، ع ٣٧، مؤسسة قطر، يناير ٢٠١٢م.
- مزاحم علاوي محمد الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع ١٥، غرادية، الجزائر، ٢٠١١م.

الرواية الشفوية:

- رواية محمد أحمد السوقي، تادمكة، ٥/ ٥/ ٢٠١٣م.

المصادر الأجنبية:

- Sam Nixon: «Tadmekka. Archéologie d'une ville caravanière des premiers temps du commerce transsaharien», Afriques, 23 mai 2013 AD.
- Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold with glass e an early Islamic technology at Tadmekka, Journal of Archaeological Science, 49, 2014 AD.

مدينة القدس

وما جاورها من المدن والقرى الفلسطينية من خلال

رحلة أبي سالم العياشي (ت١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)

د. حنان ملكاوي

مدينة القدس وما جاورها من المدن والقرى الفلسطينية من خلال رحلة أبي سالم العياشي (ت١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)

د. حنان ملكاوي

ملخص البحث

حظيت القدس باهتمام كبير من قبل الرحالة في جميع أنحاء العالم تحديدا الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، ولم يكن هذا الاهتمام دينياً فقط، ولكنه اتسع ليشمل اهتمامات أخرى حضارية وثقافية واجتماعية وسياسية وغيرها، ورغم اختلاف الدوافع من زمن إلى آخر، إلا أن المدينة بقيت مسرحاً لأحداث عظيمة مازالت موضع بحث وتقويم حتى اليوم، ومازالت مدينة تنبض بالحياة، لم ينقطع ماضيها عن حاضرها.

لذا يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الحياة الثقافية والفكرية وجوانب من الناحية الأمنية في مدينة القدس وما جاورها من القرى الفلسطينية في العصر العثماني من خلال رحلة أبي سالم العياشي، إذ يبرز دور المسجد الأقصى كمركز ديني وعلمي في إغناء الحياة الثقافية والفكرية لدى المجتمع المقدسي.

Abstract:

Jerusalem welcomed with great enthusiasm travelers from all over the world specifically Moroccans travelers in the seventeenth and eighteenth centuries, was not this interesting in regards of religion alone but was significant in a more cultural, social and political context, and despite the different motives from time to time, the city remained the scene of great events and those very events are still the subject of research and evaluation Jerusalem is still a vibrant city—A city that has not alienated her present from its past. So, This research seeks to shed light on the cultural and intellectual life and aspects in terms of security in the city of Jerusalem and the neighboring Palestinian villages in the Ottoman era through the journey of Abu Salem Ayashi, as it highlights the role of the Al Aqsa Mosque as a center of religious and scientific learning and thus a place that enriched the cultural and intellectual life amongst the community named as Maqdisi. "

المقدمة:

تعتبر الرحلة صنف تأليفي يتتبع من خلاله الرحالة في لحظات تنقله أمكنة معينة، يرصد من خلالها ذكرياته أثناء التنقل في وصفه للمسالك والممالك، وفي الحديث عن الطرق والمجتمعات التي يتصل بها والظروف المحيطة أثناء ذلك، وما يلاحظه من وقائع وأحداث قد تدعو إلى تسجيلها والكتابة عنها، مع عرض أنشطته المختلفة أثناء هذه الرحلة، ويكون للرحالة عدة أهداف للقيام برحلتهم منها: التشوق إلى الحج وزيارة الأماكن المقدسة، أو زيارة الشيوخ والعلماء واللقاء بهم والاستفادة منهم، أو مجرد الرحلة للزيارة والتنزه والمغامرة.

وتصنف رحلة العياشي من أهم رحلات القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، والتي أجتمع فيها أكثر من هدف لصياغة رحلة واحدة، فتلونت بلون خاص أكسبها خصوصية مميزة، إذ شغل بال الرحالة فيها شوق إلى الحج والزيارة، وتطلع إلى لقاء العلماء والاستفادة منهم، وهي من الأعمال الموسوعية التي انطلقت من سجلماسة في المغرب عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م تجاه مصر، مرورا بأرض الجزائر وتونس، ثم الوصول إلى مهوى الأفئدة مكة المكرمة والمدينة المنورة، درس الرحالة لمدة سبعة أشهر فنونا من العلم وألوانا من المعرفة، التقى بها جلة من العلماء والمشايخ في المدينة المنورة ومصر، وأصبحت هذه الرحلة فيما بعد موئلا للعلماء للاستزادة فيما يتعلق بتراجم العلماء والمشايخ منهم الإفراني في كتابه "الصفوة".

أما عن الأرض المقدسة فلم تكن بمنأى عن رحلة العياشي، فزار غزه والتقى ببعض أعيانها، ووصف الأحوال الأمنية التي آلت إليها المدينة وبعض القرى الفلسطينة الأخرى، والتقى ببعض المشايخ في الرملة والخليل، آثر زيارة القدس الشريف للالتقاء بعلمائها وبعض متنفذيها، وسعى للتبرك بقبور أوليائها، بالإضافة

إلى وقوفه على بعض الكتب والمعتقدات لسكانها آنذاك. وقدم وصفا للمسجد الأقصى بعيدا عن المدارس المزدهرة في تلك الفترة، وستسهم هذه الدراسة باستعراض المدن والقرى التي زارها العياشي وهو في طريقة إلى القدس ووصفه للمسجد الأقصى.

التعريف بالرحالة العياشي:

هو العلامة الفقيه والرّحالة الأديب أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، يرجع نسبه إلى قبيلة آل عياش البربرية، ويتصل نسبه بالأدارسة الأشراف، يلقب بعفيف الدين المالكي، ويشتهر بكنيته[١].

ولد ليلة الخميس أواخر شعبان من سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م)، في بيت يعرف أهله بالعلم والديانة والعفاف، وصادفت ولادته ونشأته بداية إشعاع الزاوية العياشية التي أسسها أبوه محمد بن أبي بكر سنة (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)[٢]، لنشر العلم وتربية الناس، وعلى يديه أخذ المترجَمُ القرآن الكريم ومبادئ العلوم، ولذلك صدّر فهرسته الحافلة «اقتفاء الأثر» بترجمته، فقال: «أولهم وأولاهم بالتقديم والدي أسكنه الله فسيح جنته، وتغمدنا وإياه برحمته، رباني فأحسن تربيتي، وغذّاني بنفائس علومه فأحسن تغذيتي، قرأت عليه القرآن العظيم غير ما مرّة»[٣]

لم يشف غليل العياشي ما أخذه عن والده وشيوخ الزاوية من بلده، فرغب في توسيع دائرة معارفه، فرحل سنة (١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م) إلى الزاوية الناصرية بمنطقة درعة[٤]، وحضر مجالس الشيخ محمد بن ناصر الدرعي (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، في الفقه والتفسير والنحو والحديث والتصوف، ثم انتقل إلى فاس حاضرة العلم والعلماء في وقته، فأخذ عن أعلامها أمثال الشيخ العارف أبي محمد عبد القادر بن علي فاسي (ت١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م)[٥]، وشيخ الجماعة الفقيه المدرّس أبي العباس أحمد بن موسى الأبّار (ت١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م)[٦]، والعلامة أبي عبد الله محمد بن ميارة الفاسي (ت١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م).[٧]

وارتحل العياشي إلى المشرق، إذ كانت الرحلة من التقاليد المتبعة عند علماء الإسلام، من أجل الإستزادة من العلم والالتقاء بالعلماء والمشايخ والإطلاع على

مزيد من العلوم والمعارف، ويتحدث العياشي عن دوافع رحلاته المشرقية قائلا: "أخذت عن الأعلام الذين أدركتهم بالمغرب قليلا، فلم يشف ما لديهم مما أجد غليلا، ولا أبرأ عليلا؛ لأنهم اقتصروا من الكتب على ما اشتهر، واستغنوا عما غاب بما ظهر، دون المسلسلات والأجزاء الصغار...فلما مَنّ الله تعالى بالرحلة إلى البلاد المشرقية أولا وثانيا، ولعنان العزم نحو الرواية ثانيا تتبعت ذلك في مظانه"[٨]، ففي الحجاز جاور عدة سنوات وأخذ العلم والتصوف عن جماعة منهم زين العابدين الطبري وعبد الله باقشير، وعلي بن الجمال، وعبد العزيز الزمزمي وإبراهيم الكردي وحسين العجمي، ومنهم عيسى الثعالبي أحد أعيان الجزائريين المهاجرين إلى مكة، ونال من هؤلاء جميعاً الإجازات وكتب عن بعضهم الأسانيد[٩].

ومن شيوخه المشارقة أيضا شيخ المالكية بمصر العلامة أبو الحسن علي الأجهوري (ت١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)[١٠]، والشهاب أحمد بن محمد الخفَّاجي أفندي (ت١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، المصري (ت١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م)، ومفتي المالكية بمكة تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المكي الأنصاري (ت١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)، وغيرهم ممن ترجم لهم في فهرستة.[١١]

وقد مكنت هذه الرحلات أبا سالم من الغوص في العلوم الإسلامية، من تفسير وفقه وحديث ولغة ونحو وأدب، وجمع مكتبة قل نظيرها في عصره، لما تضمنته رفوفها من كنوز ونوادرَ، في مختلف العلوم نقليةٍ وعقليةٍ، وبذلك أصبح من ألمع علماء عصره، تُشَدُّ إليه المطايا من مختلف الآفاق، وجلس للتدريس والتأليف وتخرّج على يديه زمرة من علماء وقته، أولهم ابنه حمزة بن أبي سالم (ت١١٣٠هـ/ ١٧١٧م)، وابن أخته محمد بن عبد الجبار العياشي (ت١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، وأديب العصر محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)، والمحدث أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت١١٢٩هـ/ ١٧١٦م)، كما أجاز مجموعة من العلماء[١٢].

وحظيت شخصية أبي سالم العياشي بتقدير كبير من معاصريه أو ممن جاء بعده فحَلَّوْه بأحسن الأوصاف، وكريم الأخلاق، فوصفه الإفراني، صاحب كتاب«صفوة من انتشر»، أنهأحد من أحيا الله بهم طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدّد من فنون الأثر كل رسم محيل"[١٣].

وبجانب الاشتغال بالتدريس أكبّ الشيخ العياشي على التأليف، فترك جملة من المؤلفات التي أغنى بها المكتبة الإسلامية فاقت الأربعة والعشرين كتابا منها: منظومة في البيوع وشرحها، الحكم بالعدل والإنصاف للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف [١٤]، والرحلة الكبرى الموسومة بـ«ماء الموائد»، وله كذلك فهرسة كبرى سماها«اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر»، وصغرى بعنوان«إتحاف الأخلاء بأسانيد الأجلاء»، و«هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر»، و«معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب»، وهو رجز نظم فيه بيوع ابن جماعة التونسي، وشرحها في «إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب»، وإجازات وقصائد في المدح، إلى غير ذلك من المؤلفات المنبئة عن علو كعبه، وسمو منزلته، وغزارة علمه[١٥].

توفي أبو سالم العياشي يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة من سنة١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، بعدوى الطاعون الذي اجتاح بلاد المغرب آنذاك.[١٦]

رحلته الى فلسطين:

جال أبو سالم العياشي فلسطين بين صفر وربيع الثاني من سنة ١٠٧٣/١٦٦٣م؛ ولم تكن في نيته زيارة فلسطين وفي ذلك يقول "وفي الذي يليه نزلنا العقبة ظهرا، ووجدنا أهل غزة وأهل معان قدموا بعنب كثير وفاكهة، وبات الناس بها تلك الليلة وأقاموا غدا، وهناك تجددت لنا نية السفر إلى القدس الشريف"[١٧]، ويبدو أن نية العياشي في الأغلب زيارة الأماكن الحجازية والكتابة عنها، وليس القدسية أو الفلسطينية، ويظهر أن السبب الذي منعه بداية من زيارة مدينة القدس؛ قلة الأموال التي تعينهم على السير، والأخطار المحيطة بها خصوصا على الطرق، ولعدم وجود معارف يدلونه على الطريق[١٨].

لكن وجود الحاج أحمد العجيس الطرابلسي معهم في الرَّكْب ووجود أهل غزة في العقبة جعله يغير خطته ويعزم على زيارة القدس، فقد اكترى لهم (وكانوا ثلاثة) الحاج أحمد الطرابلسي حملين وجلب لهم الماء من رجل اسمه صبح الدباب، من عرب الحكوك، ووفر لهم ما يحتاجونه من نفقة في الطريق إلى القدس، فتخفف العياشي وصاحبه من الأثقال وترك كتبه عند الركب المغاربي المتوجه إلى مصر، وفارقوا الركب الذي رحل عنهم يوم ٢٩ محرم، وقد شعروا بوحشة عظيمة، وكانوا الثلاثة "مثل الأثافي لا رابع لنا إلا عناية الله.

وكانت غزة بداية رحلة العياشي الذي لفت انتباهه ما رآه فيها من "البساتين والأشجار والمنازل والقصور"، فبقي فيها خمسة أيام كاملة قضاها في التحدث إلى أهلها فوجدها "بلدا فسيحا، ومنظرا رائقا، وأسواقا حافلة[١٩] وأسعارا رخيصة" ودخل المسجد الكبير ولم يذكر اسمه[٢٠]، ويبدو أنه جامع الجاولي الذي وصفه عبد الغني النابلسي في رحلته إلى القدس بأنه اكبر جوامع غزة وتصلى فيه الجمعة[٢١]. وكان أهل المدينة

يشكون من العربان المخالفين الذين يغيرون على القرى التي حول المدينة وينسفون زروعها [٢٢]، وكان الباشا في تلك الأيام يضم البيارق[٢٣] من النواحي ويتهيأ للخروج إليهم، لكنه لم يتمكن من القضاء عليهم لشجاعتهم وقوتهم[٢٤]. وبعد إقامة خمسة أيام من غزة، ارتحل العياشي عنها من الثاني عشر من صفر ١٠٧٤. واكترى هو وصاحباه حمارين إلى الرحلة. وتخففوا من بعض حوائجهم فتركوها في غزة لحين الرجوع. وقد كتب إليه الشيخ عبد القادر الغصين رسائل إلى أعيان الرملة والخليل والقدس، يوصي به وبأصحابه خيراً[٢٥].

وبعد غزة كانت قبلة الرحالة المغربي الرملة والقدس والخليل، فاتجه شمالا مرورا بعسقلان مستقصيا أمور المساجد والمزارات، وكان يريد زيارتها وزيارة ما فيها ولم يقدر له ذلك، قال عنها" وكانت في العصر الأول من أمهات المدن، إلى أن خربها السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد فتح المقدس، خشية استيلاء الإفرنج عليها فيجعلوه ذريعة إلى التوصل الى القدس، وقد عجز المسلمون عن حفظها في ذلك الوقت، ولم أر من ذكر أنها عمرت بعد ذلك عمرانا معتبرا[٢٦]، وتؤكد المصادر التاريخية حقيقة ذلك، أذ كان المصاب الأكبر الذي ألم بمدينة عسقلان، هو عملية تدمير المسلمين لها وإحراقها على نحو متعمد على يد صلاح الدين في التاسع عشر من شعبان ٥٨٧هـ/ الثالث عشر من ايلول ١١٩١م، والسبب الذي حدا بصلاح الدين أن يفعل ذلك عندما عرف أن سيطرة الصليبين عليها باتت أمرا وشيكا، وقد قضى الصراع الصليبي الإسلامي على معالم الحياة في تلك المدينة، سواء الحياة الاجتماعية فيها؛ إذ هجرها سكانها بعد أن أصبحت قاعدة إسلامية مدمرة، بالإضافة إلى الحياة العلمية الثقافية التي شهدت تراجعا واضحا بعد الأحداث التي لحقت بالمدينة[٢٧] وقد زار العياشي في طريقه إلى الرملة خان أسدود، وهو منزل معلوم تنزله القوافل الآتية من مصر على الطريق السلطانية أو من الشام، ولهم منازل معلومة لا يتعدونها، طالت

الرحلة أم قصرت من مصر إلى الشام، بل وإلى اسطنبول على ما خبرني من مارس تلك البلاد[٢٨].

ومن الرملة واصل العبور صوب القدس، مرورا باللد، التي وصفها بأنها "مدينة فسيحة مليحة مجاورة لمدينة الرملة بينهما نحو من فرسخ من ناحية البحر وفيها أسواق ومساجد ومزارات"، وأورد العياشي ضيافة البلده لشخصية مهمه وهو الأغا[٢٩] الذي تربى السلطان في حجره ولم يورد من هو، وكان الحاكم في تلك الفترة السلطان محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧) ويتضح ذلك بقوله" وقد صادف دخولنا الرملة نزول أكابر أغوات السلطان بها، وقدم من اسطنبول في أبهة عظيمة على ما يحكى، وزعموا أنه هو الذي ربى السلطان في حجره، وهو المتولي الدار التي فيها حرم السلطان وجواريه، ثم حصل بينه وبين السلطان جفوة، واستحيا السلطان أن يواجهه بمكروه، فبعثه إلى مصر مصحوبا بجميع ماله، ولم يرزأه شيئا، ثم أتبعه رسولا إلى مصر يأمرهم بقتله خفية، فأخذوا جميع ماله وبعثوه إلى الصعيد، فلم يظهر له أثر بعد ذلك، وقد حكى لنا من أبهته أمور مستغربه، من ذلك أن له خمسا وثلاثين محفة في كل من الآلة كلها مجلله، وزعموا أنه أكترى من اسطنبول نحوا من خمسين سائسا لخيله بأزيد من أربعين فرسا لكل واحد سوى ما يتبع هذا من بسط وفرش وأموال وذخائر وأبل وعبيد وإماء للخدمة، بحيث يستغرب أن يكون مثل ذلك لملك من ملوك الأرض "[٣٠]

ويبدو أن البلاد كانت تعاني من شح المياه آنذاك ويظهر ذلك من خلال ما أورده العياشي بقوله:"سمعت ونحن بالرملة من يقول إن أهل البلد قد تضرروا بالعطش في هذه الأيام، فإن أمير البلد قد أمر بجمع كل سقاء البلد يستقون للآغا، وقد أخبرني أهل خان يونس أنه لما نزل بهم لم يجد أحد من أين يستقي جرعة ماء من جميع السواقي التي في البلد، وقد اشغلها كلها بسقي خيله وإبله وملء قربه ورواياه"[٣١]، إضافة إلى أن هذه الرواية تعكس ما عانته بعض المدن والقرى من تصرفات المتسلمون

الجدد الذين أرسلهم ولاة الشام في الثلث الأخير من القرن السابع عشر كانوا أغرابا عن المنطقة، وعينوا لفترة قصيره وتعينهم هذا لم يعطهم الفرصة الكافية لمعرفة السكان وقضاياهم، فكان جلّ إهتمامهم هو جباية أكبر قدر من الضرائب[٣٢].

وعندما وصل العياشي مدينة القدس وصف المسجد الأقصى، وتحدث عن بعض علماءها، لا سيما بعض المتنفذين منهم، كما تحدث عن قبة الصخرة، وزاوية المغاربة، وبعض أبواب المدينة.وعند دخولهم القدس الشريف، صلوا العصر بقبة الصخرة، ووضعوا حوائجهم في زاوية المغاربة. وهناك التقى العياشي بالشيخ محمد الصيداوي، نقيب رواق الشيخ منصور، وكان الرواق يقع تحت صحن الصخرة المقدسة، وكان الشيخ الغصين قد كتب إلى الشيخ الصيداوي بشأن العياشي، ولذلك احتفى الشيخ الصيداوي بضيوفه وأعطاهم بيتاً إزاء الرّواق الذي كان داخل المسجد، فاغتبطوا بذلك لأنهم سيتمكنون من الجلوس في المسجد والصلاة فيه متى شاؤوا.

المسجد الأقصى وما يحيط به من الأسوار والمغر كما يصفه العياشي:

للمسجد الأقصى مكانه عظيمه في نفوس المسلمين، وتعتبر زيارته والتبرك به ذات أهمية بالغة لدى المتصوفة في عهد الدولة العثمانية، وحظي الشيخ العياشي بزيارته، بعد أن وصل مدينة القدس؛ حيث أقام بزواية المغاربة وشعر بالراحة لأن عدد الزوار المغاربة كان كبيرا جدا إلى حد إفراد زاوية إلى المغرب من القبة عرفت باسم (زاوية المغاربة)"، ووصف العياشي المسجد المقدس بكونه "آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار، فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون عظيمة (...)، وطوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراع و٦٥ ذراعا بالذراع المالكي، وعرضه أربعمائة ذراع وستون بالذراع المالكي[٣٣] وأما الأروقة التي في داخله والبيوت التي في خارجه فشيء كثير". كما وصف قبة الصخرة الواقعة في وسط المسجد، لها أربعة أبواب دون القبة، كلها نحو من خمسمائة قدم. وحيطان القبة وأرضها مزخرفة بأنواع الفسيفساء المصبوغة بأصباغ مختلفة ونقوش عجيبة، وهي في غاية الارتفاع وإتقان البناء، وأبوابها في غاية العظمه، وداخل الأبواب درابيز فيما بين الأساطين على دور الصخرة، وفي داخل الأساطين الصخرة المقدسة يحيط بها شباك من خشب دوره نحو من تسعين خطوه، والصخرة لونها يميل إلى الزرقة في غاية الصلابة، وشكلها فيه استدارة يغلب عليه الطول، وغلظها نحو من ذراعين، وعلى ظهر الصخرة ندوب ومربعات صغيرة وكبيرة، كأنها أماكن احجار قطعت منها جدا، وأنهم قطعوها وبنوا منها الكنيسة المسماة بقمامة، وعجائب هذه الصخرة والسلسلة التي كانت عندها في عهد بني اسرائي مرتفعة، وهي واقفة في الهواء على ما ذكروا، لا يمسكها الا الله [٣٤] وأما في عصرنا فقد بني بازائها ومن تحتها الى أن صار ما تحتها شبه مغارة على هيئة مسجد يصلي فيه الناس، ويدخل الناس إليه من تحت طرفها المسمى بلسان الصخرة، وهو

من ناحية القبلة، وكنت أدخل إليها في غالب أوقات الصلوات وأصلي تحتها ما تيسر. وبين الباب القبلي والغربي في أحد الأساطين حجر يقال إن فيه بعض أثر أعضائه صلى الله عليه وسلم، والناس يتبركون به، ومن وراء قبة الصخرة قية لطيفة يصلي فيها الناس، يقال منها عرج برسول الله، ليلة المعراج، ويحيط بمسجد الصخرة بيوت ينزلها المتعبدون، وفي فبة الصخرة من تحت الصحن بغلوة المسجد الأقصى، وهو كله مسقف، وفيه تصلى الجمعة، وبناؤه من أرفع الأبنية، وفيه موضع زعموا أن فيه صلى عمر رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس، وفي ركنه الشرقي موضع يزار فيه حجر منحوت يقال له مهد عيسى، وهناك طاقات واسعات في جدار المسجد يشرف منها إلى الوادي الذي يقال له وادي جهنم، وورد في بعض الآثار تسميته بذلك، وهناك رأس عمود من رخام خارج من جدار المسجد يقولون إنه رأس الصراط المنصوب على جهنم، وهو لا أصل له، وينزل من ذلك الركن في درج إلى مسجد آخر تحت المسجد الأقصى واسع جدا مرفوع على أساطين من حجارة منحوتة هي من البناء السليماني، وزعموا أن ذلك هو المسجد في عهد سليمان، وأن الذي فوقه إنما بني بعد ذلك، وما ذكروه هو الأقرب، وذكروا أنه ممتد كذلك إلى الصخرة، وأن أرض المسجد الآن كلها سطح ذلك المسجد ولا يبعد ذلك.[٣٥]

وقد وصف المزارات المحيطة بقبة الصخرة وأورد وصفا لها بقوله:"وبالجملة فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولها من المزارات شيء كثير، وقد ألفت فيه التأليف.. فمن ذلك حجر خارج بعض أبواب المسجد الغربية مثقوب هو في أصل حائط يزوره الناس ويدخلون فيه أيديهم ويتمسحون به، ويقولون أنه الذي ربط به النبي دابة البراق ليلة المعراج وخبره مذكور في الصحيح، ومن عجائب صفة هذا المسجد أن ناحية منه شرقية قد غلب عليها العشب والكلأ اليابس فلا يقدر أحد أن يمشي فيها بلا نعل لكثرة شوكها المنكسر بعضه على بعض، وإنما يمر الناس في خط

رقيق بين ذلك المشيح، وذكروا أن ذلك المحل ربما زرعوا فيه الحبوب في بعض الأحيان ويستغلوها بالبعل لان البلد كثيرة الأمطار، وقد ذكر بعضهم أن من خاصية هذا البلد الشريف أنه ما رئيت السماء صاحية فيه يوما كاملا، صيفا ولا شتاء، ولا بد أن يرى في السماء غيم، ولا يبعد ذلك، فقد ورد في الآثار أن الأرض المقدسة هي أرفع مكان في في الأرض وأقربه إلى السماء، وأنها أقرب إلى السماء من جميع الأرض بثمانية عشر ميلا، وبقدر ما ترتفع الأرض تقل حرارتها وتكثر أمطارها[٣٦]

ومن المزارات التي زارها العياشي طور زيتا من شرقي المسجد، بينه وبين الوادي الكبير المسمى بوادي جهنم وطور زيتا مشرف على القدس كله، وعلى غالب تلك البلاد التي حوله، وفي أعلاه مزاره، فيها مكان يقال أن المسيح عليه السلام رفع من فوق حجره، وسيطر النصارى عليه، وسعى الشيخ محمد العلمي في استخلاصه من أيديهم لكنهم رفضوا واستماتوا على بقائه في أيديهم، وبذلوا في ذلك الأموال[٣٧]، فأعانه الله عليهم حتى أخرجه من أيديهم، وهو الآن في يد أولاده، وقد بنى تحته مشهدا ورباطا فيه قبره الآن[٣٨].

ولم يفوت العياشي الفرصة لزيارة المزارات النصرانية لا سيّما قبر مريم العذراء في كنيسة في أصل الوادي، ومولد نبي الله عيسى عليه السلام[٣٩]. كما زار قبر نبي الله موسى عليه السلام ومزارات أخرى منها قبر رابعة العدوية على جبل الطور[٤٠].

ومن عيون الماء التي وردها العياشي عين سلوان[٤١] في اسفل الوادي ولم يصلها، ولكنه شرب من ماءها وقد وردت آثار في فضلها، زعم بعض الفقراء أنه وقعت منه آنية في بئر زمزم بمكة فذهب إلى القدس فوجدها على باب المحل الذي فيه عين سلوان، وزعموا أنهم استخرجوها من العين، فيقولون إن مادتها من زمزم، ويذكرون في أثرا وهو بعيد من حيث العادة أقرب شيء بالنظر إلى أثر قدرة الله تعالى، وليست

عينا معينا ماؤها على وجه الأرض، إنما هي مثل حوض ينزل إليه بدرج على ما أخبروا. قالوا: ربما ارتفع ماؤه حتى يجري على وجه الارض في سنين الخصب[٤٢].

وقد وصف سور المسجد الشرقي، وهو من بناء سليمان عليه السلام، بنته له الجن بتسخير الله لهم، وأثر ذلك ظاهر ليس في قوة البشر تعاطي مثل ذلك[٤٣].

الناحية الأمنية في مدن وقرى فلسطين في القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي كما تعرضها الرحلة العياشية:

تظهر رحلة العياشي تردي الأحوال الأمنية على الطرق في بعض القرى والمدن الفلسطينية، و يظهر ذلك من خلال الرسوم التي اجبر على دفعها السكان لضمان سلامة الوصول، فعند وصول العياشي إلى غزة أشار إلى الإتاوة التي كان يدفعها الحجاج للعربان المتواجدين على الطريق ومما ورد على لسانه" وتأخر رفقتنا الشاميون حتى غابوا عن أعينهم في شعاب العقبة أخذوا بالارتحال، وارتحلوا في خفارة أمير الوحيدات[٤٤] وما والاها من عرب غزة المسمى الشيخ بشير، وكان ورد العقبة في عشرين فارسا من أصحابه، وهو صاحب درك الركب المصري والشامي في تلك البلاد، وكانت بينه وبين كبير حجاج أهل غزة في تلك السنة الحاج حسن المغربي معرفة، فتكلم معه على أن يذهب بهم بإتاوة إلى غزة يؤدونها له، فخاف الحجاج غدرة وعدوانه، فتكفل لهم صاحبه الحاج حسن المغربي بكل ما يقع منه من نقص وغدر، وتوقى منه بصاحبه، وذهبوا به إلى أمير الحاج المصري حتى تكّفل لهم بذلك بين يديه، وكتبوا عليه سجلا على ما زعموا وسبب ذلك أن هؤلاء الأعراب نافقوا على عسكر غزة في هذه السنة، ووقع بينهم وبينه قتال، ونهبوا عسكر أمير غزة، وخرجوا عن طاعته، فلذلك خاف منه الحجاج الشاميون... ومع ذلك فقد ذهب أكثرهم إلى مصر ولم يأمنوا أن يذهبوا معه"[٤٥].

وفي غزة أيضا، جعل الأعراب يعدون الإبل لأخذ الغفر الذي شارطوهم عليه، فأخذوا من العياشي ورفاقه على كل جمل قرشين، وعلى كل جمل من جمال الأقوام ثلاثة، والأقوام عندهم هم الفلاحون. وكنا توهمنا أنهم يأخذون منا، فصرفهم الله عنا.. فلم يتعرضوا لنا بسوء"[٤٦].

وحصر شيخ العرب الناس حتى عاود لحساب الإبل والأجمال، فأراد أن يعد الإبل، فقال حسن المغربي شيخ القافلة: هؤلاء حجاج فقراء لا شيء معهم فتركها، فلما كان بعد المغرب رأوا سوادا عقبهم الى الماء فظنوهم عدوا، فرجعت الخيل إلى الماء، وبات الناس هناك، فإذا هم قوم من العرب معهم أحمال للتجارة فروا بها من الغفر، فأتوا بها وغفروها"[٤٧].

وبعد قضاء أسبوع كامل في القدس غادر العياشي المدينة متجها إلى الخليل، وعلى طريق أريحا المؤدي إلى القدس أراد العياشي زيارة قبر النبي موسى "وقد خشيت أن أحرم زيارة المكانين ونحن في غاية القلق لا يمكننا تطويل الإقامة خشية فوات الركب بمصر، فأشار علي المستشار بالوصول إلى قاضي البلد والتعرف له فإنه قد يتمكن ذلك على يده، وكان القاضي في ذلك الوقت الشيخ محمد الميقاتي التونسي المغربي، قدم من اسطنبول متقلدا لقضاء القدس، وكانت له وجاهه عند السلطان والعسكر من لدن عهد أخيه الشيخ أبي الحسن الميقاتي رحمه الله، فترقى بجاه أخيه، واستوطن اسطنبول مدة أعوام، وقدم في هذه السنة إلى القدس وليست له قوة الحافظة العلمية، إنما هو مجرد ترسم ووجاهة أكسبته ذلك، إلا أنه ينتمي إلى الصلاح بسب أسلافه.. وأكرمه ونصحه بعدم زيارة قبر موسى عليه السلام في هذه الأيام، والمحل ليس موثوقا أنه قبر الكليم عليه السلام"[٤٨].

وفي طريقه إلى مدينة الخليل أرسل معه قاضي القدس محمد الميقاتي التونسي قوة لحمايته ولإيصاله إلى المدينة، لسيطرة قطاع الطرق عليها، كما أرسل معه رسالة إلى نائبه يوصي به، فوصل العياشي المدينة بسلام وصلى في الحرم الإبراهيمي[٤٩].

ولم يستطع الخروج من المدينة في وضح النهار، حتى تأتي فرقة من الفرسان لتسير معهم ويظهر ذلك من قوله" لأن المحل مخوف، وغالب أهله متلصصون، وقد

أخبرنا بعض من سافر معنا من أهل البلد أن جماعة من متلصصي ذلك البلد جاؤوه وقالوا له: وافقنا على سلب هؤلاء المغاربة، فإذا شلحناهم أخذنا نحن الأمتعة وأخذت أنت ما معهم من الذهب، وشلح في لغتهم بمعنى سلب، والمغاربة في أقطار المشرق كلهم متهمون بالذهب، ولو أن صاحبنا الشيخ إبراهيم المرواني كان أكد كثيرا على كل من سافر معنا من أهل البلد وقال لهم: لا يخلص إليهم بسوء إلا عمكم، لباعونا وأكلوا اثماننا، ولكن الله سلم،،، وبقي خوفهم من العربان حيث قال:"وسرنا بقية يومنا خائفين من العرب لانهم يغيرون في ذلك المحل لما وقع بينهم وبين باشة البلد كما قدمنا.. (عند خروجهم من قرية بيت جبرين)، وعندما وصلوا قرية السوافير أضافهم أهلها.

ويظهر أنّ الأوضاع الأمنيّة والسياسيّة في بعض مدن وقرى فلسطين بقيت على هذه الحال في أواخر القرن السابع عشر، فقد أشار الرحالة عبد الغني العياشي الذين زار سنجق القدس عام ١٦٩٠م، إلى الفوضى والاضطراب الأمني بدءًا من الساحل[٥٠]؛ أما في نواحي القدس الشمالية و وفي لواء نابلس فلم تكن أمور الضبط والربط أفضل حالا، فالعائلات المسؤولة عن حراسة الطرق لم تقم بدورها، في حين أنها فرضت مبالغ أكبر من ضريبة الغفر على الزوار[٥١]. وأما طريق التجارة والزيارة بين يافا والقدس فلم تكن أحسن حالا في تلك الفترة، فقطاع الطرق، وعلى رأسهم عربان المنطقة، لم يتوانوا حتى عن مهاجمة سكان اللد والرملة[٥٢].

وربما تعود أسباب الفلتان الأمنيّ على بعض الطرق التي مرّ بها الرحالة إلى: محدودية إمكانات حكام السناجق القادمين من العاصمة في المجالين العسكري والمالي بسبب انشغال الدولة بالحروب الخارجيّة، والأزمة الاقتصاديّة التي كانت تمرّ بها البلاد[٥٣]، ممّا أدّى إلى عجز حكّام السناجق عن إحكام سيطرتهم على الأوضاع الأمنيّة

داخل السنجق. ويشير بعض ما كتبه الرحالة إلى الحالة الأمنيّة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن السابع عشر الميلادي وأنّ إدارات سنجق القدس المتعاقبة كانت تواجه صعوبات كبيرة في المحافظة على أمن الطرق المؤدّية إلى مدينة القدس، مع أنّ مواسم الحج والزيارة إلى مدينة القدس ومدينة الخليل، وقرب السنجق من الطريق السلطانيّ الذي تسير عليه قافلة الحج الشامي المتّجهة من دمشق إلى الحجاز، بالإضافة إلى أهميّة الطريق التجاريّ المارّ بفلسطين كانت حافزًا قويًّا للدولة العثمانيّة للعمل على تكثيف النقاط الأمنيّة في السنجق، ولا يمكن التشكيك في أنّها عملت منذ قدومها إلى المنطقة على بناء الحصون والقلاع وإقامة الحاميات العسكريّة فيها لتأمين سلامة المسافرين[٥٤]؛ فالخياري الذي زار السنجق عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م ذكر أن جماعته سارت برفقة العساكر من مدينة الرّملة إلى مدينة القدس؛ كي يدفعوا عنهم شرّ قطاع الطرق[٥٥]، ورافقت العساكر إوليا جلبي وجماعته عندما توجّهوا من مدينة القدس إلى مدينة الخليل عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م؛ لتوفير الحماية لهم[٥٦]. وقال جلبي: "إنّ أرباب الإقطاعات يرافقون الحجاج إلى الخليل ومهد المسيح وإلى مقام النبيّ موسى؛ لأنّ الطريق غير آمنة من العربان الثائرين"[٥٧]. وعندما انطلقت قافلة الزوار المسيحيين برفقة حاكم السنجق إلى نهر الأردنّ بمناسبة عيد الفصح عام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م، تحدّث هنري مندريال عن مخاطر العربان الذين كانوا يطلقون النار مطالبين برسم المرور[٥٨]، وانتظر عند عودته إلى مقر إقامته في حلب حتى خرج في صحبته متسلّم طرابلس الذي كان في زيارة إلى مدينة القدس، وعلّل ذلك بأنّ الأنباء تواترت من مختلف الجهات عن عدم الأمن في الطرقات بسبب خلافات البدو وتعدّياتهم[٥٩].

لقد انعكس الانشغال الدولة في البلقان وضعف أمور الحكم في فلسطين بعد القضاء على دور عائلات الأمراء الثلاث (آل رضوان، آل طرباي، آل فروخ)على أحوال الإدارة والأمن. وتقدمت عائلات الأعيان والعلماء المحليين لملىء الفراغ

الناشئ، لكن هذه العائلات لم تكن مؤهلة لملء الفراغ العسكري وإدارة شؤون الحكم. وفي ظل هذه الأوضاع نشبت، منذ أواخر القرن السابع عشر، صراعات بشأن السلطة والنفوذ بين العائلات القوية عرفت، فيما بعد، بتحزبات القيس واليمن.[٦٠]

الناحية العلمية في الرحلة العياشية:

لم تكن الناحية العلمية غنية في رحلة أبي سالم العياشي، وليس لنا أن نستغرب ذلك؛اذ لم تكن في نيته زيارة بيت المقدس، إضافة إلى أن المدة التي قضاها في فلسطين لم تكن كافية لزيارة كافة المدارس والمساجد والزوايا التي تحويها المدن والقرى الفلسطينة، ففي غزة زار مسجد الشيخ عبدالقادر الغصين، وبات فيه، ووصفه بأنه من أحسن المساجد، ويظهر ذلك بقوله "وهذا المسجد من أحسن المساجد رواء عالي البناء فسيح المنظر له صحن رائق مفروش بالمرمر والحجارة المنحوتة، وفيه دالية عنب قد غطت بأغصانها الناعمة جهة منه، وفيه شجرتان كبيرتان من الزان بسقتا في السماء بسوقا مفرطا كأنهما نخلتان سحوقتان، وعلى يمين قبلة الصحن مسجد كبير مرفوع على سواري كبيرة من الحجارة المنحوته، وهو مفصول عن الصحن بشبابيك غريبة الصنعة ولا يصلون فيه إلا في أيام الشتاء... وكان أصله كنيسة كغالب مساجد ذلك الساحل، إلا أن المسلمين لما ملكوا البلاد من يد الإفرنج صيروها مساجد، وقد سمعت من بعض أهل غزة أن مسجدهم ذلك كان كنيسة في زمن المسيح عليه السلام"[٦١] وقد أشار إلى بعض العادات السيئة من أهل البلد من عدم إحترامهم للمساجد، فإن لهذا المسجد، وهو أعظم مساجدهم، أبوابا بعضها إلى ناحية السوق، وبعضها إلى ناحية الدور، فلا يكون لأهل الدور مرورا إلى السوق إلا في وسط المسجد، ويمرون في صحنه بنعالهم ويستعملون فيه الدخان الذي يشربونه، وقد قال بعض المغاربة المجاورين هناك مداعبا: إن هؤلاء لا يعدون المسجد إلا الحصير بنفسه فإنهم يحترمونه ما دام مبسوطا ولا يطئونه بنعالهم، وما سوى المكان المفروش لا فرق عندهم بينه وبين الأزقة"[٦٣]، وغلب جلوسه فيه ويأوي إليه أصحابه فيه، ويقرؤون خمسة أحزاب من القرآن كل يوم قبل طلوع الشمس، وفيه خزانة كتب.

ويبدو أن الناحية العلمية لم تكن مزدهرة آنذاك فيورد العياشي بعض الإشارات تبين تردي الناحية الثقافية في بعض المدن والقرى التي زارها، إذ ورد على لسانه:" فقد استبدلوا مجالس العلم بمجالس الذكر، وقلما يخلو مسجد من الذكر ورفع الصوت والجماعات والإنشاد على هيئة سماع الصوفية، الا أن متعاطي ذلك أميون أرباب دنيا، فقلّ بذلك العلم في هذه البلاد والسواحل الشامية كلها، بقياس ما لم أر منها على ما رأيت، وبأخبار من رآها من الواردين، وقد سمعت صاحب الترجمة يختم مجالس الذكر هو وأصحابه بقصيدة فيها التوسل بخليل الله تعالى نظمها ليس حري بذلك[٦٣].

ويصف العياشي مدرسة عبد القادر الغصين بأنها في قبلة المسجد الأعظم ليس بينها وبين المسجد إلا الطريق، ويورد أن أمير مصر هو الذي بنى الرباط بالمسجد بطلب من والد الشيخ عبدالقادر الغصين " فلما دخلنا عليه قدم له الشيخ مقدمات في فضل بناء المساجد والمدارس، ثم أثنى على الشيخ عبد القادر وقال له: إنه من أهل العلم وليس ببلدكم مثله وأراد أن تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأ فيه ويقري. فقال الباشا: مثله لا يليق له البناء في المسجد، ولكن هنا موضع نحبسه عليك، وهو موضع المدرسة الآن، وكان يسكنه أقوام من أعوان الدولة. فقال له الشيخ المقري: لّما هممت بهذا فأمضه الآن ولا تؤخر. فلم يبرح منه حتى دعا القاضي وكتب وشهد الشهود، وأخرج ما كان في ذلك المحل، وحبس على المحل أوقافا يتحصل منها نحو خمس قطع كل يوم. ولم يزل المحل بعد ذلك عامرا بالذكر والقراءة ولله الحمد"[٦٤].

وفي مدينة غزة مزارات كثيرة ومساجد فاضلة في أطراف البلد فقد استولى الخراب على أكثرها، فإن هذه المدينة كانت في أول الأمر من أمهات المدن في الجاهلية والإسلام، وقد أثر الهدم فيها لوقتنا غابة، وبلغ الوهن في أطرافها النهاية، ولم يبق بها إلا رسوم ماثله تدل على أبهة كاملة في قصور الأمراء والمساجد والرباطات والمشاهد،

ومعظم عمارتها اليوم إنما هو قرب المسجد الكبير إلى دار الإمارة...ومعظم أجنتها في زمننا هذا من جهتها البحرية متصلة إلى قريب عسقلان وهي على ساحل البحر بينها وبين غزة نحو من ثلاثة فراسخ، وبين غزة والبحر نحو من فرسخ[٦٥].

الجامع الأبيض في الرملة[٦٦] وهو مشهور عند الصوفية، وفي صحنه مسجد تحت الأرض فيه مغارة زعموا قد زعموا أن بابها مسدود برصاص وأن فيها جماعة الأنبياء، وفي جانبه الغربي مسجد يقال أنه متعبد صالح عليه السلام، وفي شرقه قبر الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي صاحب السنن، وهذا المسجد خارج البلد على حد العمران، وهو خال في أكثر الأحيان مع سعته وبهائه وانشراحه لا يشك ذو ذوق أنه مأوى الصالحين.[٦٧]

ويقول أيضا أنه من الغرائب التي شاهدناها في هذه المدينة (اللد) أن مسجدهم الأعظم كان في الأصل كنيسة، وصار اليوم نصفه مسجد ونصفه كنيسة، نسمع أصوات كل من بعضهم من ناحية صلحا، وبعض من الناحية الأخرى عنوة، فاجتمعوا في وسط الكنيسة، فصار نصفها مسجد والنصف الآخر كنيسة والله أعلم وأظن أن ذلك في فتح الشام عند فتح دمشق"[٦٨].

الشخصيات الذين لقيهم العياشي من قضاة ونواب وعلماء ومشايخ:

حافظت الرحلة التي كتبها المغاربة والمشارقة في القرون الأربعة الأخيرة، ولا سيما رحلاتهم الى بلاد الشام والحجاز، على هذا الخط في عمومه، إذ ظل هاجس الأخذ العلمي ولقاء الشيوخ واستجلاب الثقافات والمؤلفات والرويات حاضراً بقوة، بجانب الرغبة في الزيارة والشوق إلى المقدس واختراق الممالك والحواضر والعمران والأمم خير ما يمثل ذلك على سبيل المثال القيمي في موانح الأنس[٦٩]، والعبدري وبالرغم من أن لكل رحلة خصوصية في الزمان والمكان، ومزاج صاحبها مع اعتبار المستوى الذي يمثله هذا الراحل في تحصيل العلم ومدى تطلعاته إلى لقاء الشيوخ وأصنافهم وأعدادهم وحدود استفادته منهم، فإن هاجس لقاء الشيوخ، وتحصيل العلم، والحديث عنه بشكل من الأشكال، يظل القاسم المشترك بين جل نصوص الرحلات الحجازية التي عرفها هذا التراث الأدبي في المغرب.

عمل أبو سالم العياشي على المشاركه في الحياة الثقافية والعلمية لعصره، فقد أجاز واستجار عدد من معاصريه كما عمل على تداول العلم مع معاصريه، وترجم لبعض المشايخ والأعلام الذين لقيهم، ومن الشخصيات التي التقى بها الشيخ العياشي الشيخ عبد القادر الغصين (ت١٠٨٧ه/ ١٦٧٦م)[٧٠] الذي كان يحمل إليه كتابا من الشيخ إسماعيل النابلسي. وممن لقيه العياشي أيضاً بغزة الشيخ عمر الشرقي[٧١]، قاضي الحنفية، وهو صهر الشيخ الغصين. وذكر أن سلف الشيخ الشرقيّ كانوا من أهل العلم، وأنهم ازدادوا وجاهة بمصاهرتهم لآل الغصين. وقد أعطانا العياشي صورة عن حياة بعض العلماء وتعلقهم بالمناصب، حين قال إن الشيخ

الشرقي كان شافياً. وعند وفاة القاضي الحنفي، تحول إلى مذهب أبي حنيفة حتى يتولى الخطة ويتقرب من أرباب السلطة. وقد انتقد العياشي هذا السلوك[٧٢].

وقد نزل بالرملة بضيافة الفقيه الصالح السيد محمد بن أبي الوفاء الأشعري الحسيني، واليه كتب الشيخ عبد القادر الغصين [٧٣] فأكرمنا غاية الإكرام، وهذا السيد من أمثل فقهاء الشافعية في تلك البلاد، وقد تولى قضاء القدس، ومنزله بالرملة وصادفنا وقت إجتناء القطن عندهم، فكان يمتهن نفسه في ذلك مع من حضر في المنزل، ولا يأنف من ذلك، ولم يحوجنا مدة إقامتنا إلى شراء شيء من النفقة[٧٤]، ثم التقى بالشيخ خير الدين الرملي[٧٥]، وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، واوائل كل الكتب الستة..واخذ منه إجازة عن شيخه الجنبلاطي، وعن الشيخ سالم وغيرهما ممن كان في عصرهما[٧٦] وكان له عقارات واسعة لكنه فضل الإشتغال بالعلم على العمل في التجارة، واورد أنه غرس في الرملة ما يزيد عن مائة الف شجرة، كلها أطعمت وأكل من ثمرها، وبنى في الرمله ما يزيد على الف عتبه، يورد العياشي "أخبرني لأنه أدرك الرملة وليس بها من الفاكهة إلا القليل، فلما اشتغل بالغرس تابعه الناس فصارت الآن من أكثر بلاد السواحل فاكهة، وأخبرني أنه لا يدخر شيئا إنما يدخل بيده من المستغلات، فما فضل عن حاجته أنفقه، واخبرني الثقة أن مدخوله في كل يوم يزيد على مائة قرش، وما ولي ولاية ولا منصب، وإليه انتهت الفتوى ببلاد الشام، جلست عنده عامة يومي والفتاوى ترد عليه من أقطار الشام فيجيب عنها بلا أحر، وله ملكة وقوة عارضه في مذهب أبي حنيفة.. ومما أخبرني أن عند علماء الحنفية إذ لم يوجد حكم الفرع منصوصا عليه عندهم لأن أصول الإمامين متقاربة، وأخبرني أيضا أن مما جرى به العمل في مملكة بني عثمان كلها ويكتب في عهد العمال أن لا تسمع دعوى بعد خمسة عشر سنة إلا في وقف أو حق يتيم أو غائب، وقال إن الحاكم إذا حكم بغير ذلك فسخ حكمه لأنه معزول في غير ما عهد إليه، فلا ولاية

له[٧٧] ومن المزارات المشهورة في الرملة قبر الفضل بن عباس أخو عبد الله بن عباس عمّ النبي، صلى الله عليه وسلم، (ت١٨هـ/ ٦٣٩م)[٧٨]، وقبر السيد محمد الأشعري كان من أهل الخير ومن أفاضل أهل النسبة إلى الله كتب له كتابا[٧٩].

وقد لقي العياشي مجموعه من العلماء والمشايخ في مدينة الخليل الراوية المسن المسند يوسف القاسمي الجنيدي من ذرية أبي القاسم الجنيد [٨٠] قال عنه:" فسمعت عنه من أول الصحيحين وأجازني بأسانيده، والشيخ ابراهيم ابن شهاب الدين المرواني، وهو من فضلاء ذلك البلد، له ديانة ومروءة وأخلاق حميدة، ومشاركة في العلوم الشرعية، وهو ممن صحب شيخنا القشاشي وانتفع به، كتب اليه الشيخ عبدالقادر الغصيني بوصية بنا، فقام معنا أتم قيام، وقد اجازني وكتبت له اجازة مشتملة على نظم ونثر، وهو ممن يتولى الامامة في مسجد الخليل، والذكر بعد الصلاة"[٨١].

وفي غزة التقى بالفقيه عمر بن عبد القادر الغصيني بالقرب من رباط الشيخ عبد القادر الغصيني قال عنه " فقيه البلد وابن فقائها وكبير وابن كبرائها المشارك في فنون من العلم، المتخلق بأخلاق ذوي النهى والحلم.. وذاكرته في مسائل كبيرة من فنون العلم، وله في البحث قوة إنصاف وحسن تحل بالعلم واتصاف، وقد قرأت عليه بعض صحيح البخاري، واستنجزته وكتب لي خطه بذلك..ثم ذكر مشايخه واطلعه على كتاب له اسمه الدر والعقيان في طبائع الإنسان، ذكر فيه أول نشأة الإنسان وما يعرض له من الأحوال وكيفية تنقلاته في سائر أطوار من طور النطفة فما بعده، ونقل فيه كثيرا من أقوال الحكماء والأطباء والأطباء ما يشاكل ذلك من الآيات والأحاديث وغير ذلك[٨٢] وعمل على تخميس قصيده الامام البوسيري وحول أكثر معانيها الغزلية إلى مقاصد وعظية مع حسن التناسب والارتباط الوافي ثم خرجوا من غزة خائفين ومعهم كتاب مختوم من عبد الرحمن الغصين الى صاحب العريش الأغا احمد يوصيهما

علينا ويؤكد عليهما في شأننا وأقام بخان يونس ثلاثة أيام[٨٣] ثم انتقل منه مودعا إلى مصر"وسرنا ليلنا أجمع ونحن خائفون من سلابة العرب[٨٤].

ومن العلماء الذين لقيهم في القدس شهاب الدين الحنفي المصري، أقام بالقدس نحو الشهرين، ودرس الحديث، بالغوا اهل بالثناء عليه وذكروا له محلا في العلوم الشرعية... وكان نازلا بالقرب من رواق الشيخ منصور فدخل الشيخ العياشي عليه وتحدث معه لكنه تبين للعياشي أنه خاوي التحصيل، وكان بعض الحنفية يقرؤون عليه في فقه الحنفية، واختلف معه في تفسير معنى يوم التروية فقال الشيخ: أنه مشتق من الرؤية. فقال العياشي أن هذا لا يصح، لأن الاصل في معنى يوم التروية من الماء لأنهم كانوا يتروون فيه من الماء لعرفة، لأن عرفة لم يكن بها إذ ذاك على حسب ما ذكر غير واحد، وإما من الرؤية فبعيد من اصطلاح أهل التصريف، فأبى من قبول ذلك وأصر على ما عنده"[٨٥]... وناقشه في مسألة أخرى ذكر فسخ الحج إلى العمرة. فأنكر أن يكون ورد في الحديث أصلا فقلت له:" مثلك في جلالة قدره وغزارة علمه لا يخفى عليه مثل هذا، وهو في الصحيحين تكرر جدا بأسانيد مختلفة، فألح على إنكاره وأعرضت عنه، فعلمت أنه ممن طبع على قلبه وتبين لي جهله وغباوته، وأن ما انتشر له من الصيت إنما هو بغلبة الجهل على أهل تلك الديار وقلة المحصلين فيها، فكان يدرس في صحن الصخرة بين العشاءين الأربعين، ويطرز مجلسه بحكايات ونقول فقهية، وأعانه كون ذلك الكتاب كثرت شروحه واتسعت نقول أربابها، وغالب أحاديثه أحكام، فمن كانت له أدنى ممارسة بالفقه لا يعسر تدريسه، ومع ما عاينت من جهله وغباوته أعرضت عنه، ولم أرد فضيحته كما هو شأني في عدم الرغبة في الفضول والدخول في مثل ذلك" ثم انتقل الشيخ العياشي إلى دار الشيخ أبو حفص عمر بن عبد الصمد بن الشيخ القطب محمد العلمي، وله مكانه في قلوب الخاصة والعامة.. وتم المناقشة في دلالة الحديث على فسخ الحج إلى العمرة، واستند

إلى كتاب المواهب إلى أن وجد بجواز العمرة في أشهر الحج مستندين في الخصوصية إلى حديث رواه النسائي في ذلك، فلم يقم من ذلك المجلس إلا مدحورا، إلا أنه لجرأته أظهر عدم المبالاة ولم يقم في البلد بعد ذلك المشهد إلا يوما أو يومين وخرج راجعا الى مصر[٨٦]. تظهر هذه الرواية تفشي الجهل بين العامة ومقدرة بعض المدعين العلم، السيطرة على عقولهم، كما وتبين أن العلوم البارزة آنذاك هي:علوم القرآن والحديث، والفقه والتقى الشيخ العياشي بمدينة الخليل الشيخ عمر العلمي، وهو حفيد الشيخ محمد العلمي، وهو عالم وفقيه، توفي سنة ١١٠٩هـ/ ١٧٩٧م[٨٧]، وجده أبي بكر بن يوسف السكتاني، تلقى عنه الذكر وألبسه وأجازه، وكان يثني عليه كثيرا ويقول: ما رأيت أعبد منه مع علمه وورعه،ثم يقول فعزم علينا الشيخ عمر إلى داره، فأخذت عليه العهد، ولقنني وشد المئزر في وسطي وأقعدني وأقامني، ثم أقعدني قائلا: اجلس مريدا، وقم خادما للفقراء، واجلس مربيا لهم، ووهب لي الفوطة التي شد بها وسطي، وأجازني وكتب لي إجازة متضمنة لخطوط جماعة من أصحابه وأصحاب جده يشهدون بذلك.. وكانت في اخر صف ١٠٧٤م (نص الاجازة (٤٣٠-٤٣٧).

والتقى بالشيخان: محمود السالمي والشيخ قاسم إمام،"وقد عقدت معهما أخوة في الله وتكفلا لي بالدعاء مدة حياتهما في تلك المقامات الشريفة، ووهب لي الشيخ محمود السالمي ديوان محمد العلمي، وفيه جيد القصائد الصوفية، ووهب لي جملة من رسائله، وشيخنا عمر هو القائم مقام جده في تربية المريدين وخليفته في إقامة وظائف الدين وترتيب مجالس الذكر بين العشاءين بباب الصخرة[٨٨] وكتب العياشي رسالة عبد الصمد عمر العلمي في مدح جده الإمام ابي عبدالله محمد العلمي وسماها معالم التصديق لمعرفة دخول الفقير في الطريق (ص٤٤١-٤٥٦) وكان خروجه من القدس، لدعوة من القاضي النقاتي، وقال: إني وجدت رفقة مأمونه وهي تيسير لنا..فودعنا القاضي ودفع كراء الدواب التي ركبناها الى الخليل، وكتب كتابا الى نائبه في الخليل

يوصيه بنا..ومررنا بالجوابي التي يأتي منها الماء إلى المسجد الأقصى، وهو جوابي عظيمة في غاية السعة لم أر أوسع منها، وهي ثلاثة متوالية يجتمع فيها الماء من عين هناك حتى امتلأت ذهب في قنوات محكمات تحت الأرض إلى أن يدخل المسجد، ولم نجد فيها في هذه السنة إلا قليلا من الماء لقلة الأمطار، فغارت العيون[٨٩].

الأضرحه والقبور من خلال رحلة أبي سالم العياشي

حظيت مزارات وأضرحة بعض الصحابة والصالحين باهتمام الرحالة العياشي، لإغناء الجانب الصوفي لديه. ومن المزارات التي تبرك بها في مدينة غزة قبر الإمام الشافعي في جامع كبير تحت الأرض، لكن النووي ذكر في التهذيب أنّ الشافعي رضي الله عنه كان مولده بغزّة، وقيل بعسقلان، ثمّ حمل إلى مكّة، وهو ابن سنتين، وتوفي بمصر سنة أربع ومئتين وهو ابن أربع سنين[٩٠]. وزار العياشي قبر هاشم بن عبد المطلب جد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وإليه تنسب غزة ن فيقال: غزة هاشم، وهو يدحض أن يكون هاشم دفن بهذا المكان بفوله: وقد ذكر أهل السير أنه مات بغزة، إلا أنه يبعد تعيين قبر عربي مات في زمن الجاهلية بأرض غربة في أرض العجم ويستمر تعيينه إلى زمننا هذا، ولاشك أن هاشما رئيسا في قومه، جوادا سخيا عظيما في قريش، لا تجهل مكانته، والعرب كانت تعتني بتعظيم مقابر عظمائها، فلو كان في بلاد العرب، ما بعد كل البعد أن يتعين في الجاهلية ثم يبقى كذلك في الإسلام لمكانته من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإلا فكم من قبر لعظيم من عظماء العرب كان مشهورا في الجاهلية ينحر عنده ويستجار به كما هو مذكور في مآثرهم قد محا الإسلام بنوره آثار ذلك كله[٩١]ومن المزارات أيضا قبر الإمام الأوزاعي، ومكانته في العلم والصلاح مشهورة، وهو إمام أهل الشام في زمانه، وله مذهب متبع[٩٢].

وقد زار في طريقه إلى الرملة مسجد فيه قبر إبراهيم المتبولي [٩٣]، وإلى جانبه من جهة القبلة مسجد صغير تحته مغارة يقال إن فيها قبر سلمان الفارسي[٩٤] ذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات. "ونظموا اتفاق العلماء على أنّ سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل ثلاث مئة وخمسين سنة، وتوفي بالمدائن سنة ٣٦هـ/ ٦٧٦م، وقيل سنة ٣٥هـ/ ٦٧٥م"[٩٥]. وذكر الهروي أنّ قبره بالمدائن

ومن مزارات مدينة اللد قبر يقال إنه للمقداد بن أسود، ومشهد يقال إنه لعبد الرحمن بن عوف أشار إليه مجير الدين الحنبلي وقال عنه: "وبظاهر لُدّ من جهة الشرق مشهد: يقال إنّ به قبر أبي عبد الله عبد الرّحمن بن عوف الصحابي رضي الله عنه، وكانت وفاته في ٣٢هـ/ ٦٥٢م، وإنّما توفي بالمدينة وقبر في البقيع"[٩٦]، والصحيح أنه مات بالمدينة المشرفة"[٩٧].

وبلغت الرحلة إلى الخليل ذروتها، بوصوله إلى قبر إبراهيم الخليل وابنيه اسحق ويعقوب وزوجاتهم، والقبور كلها في مغارة تحت أرض المسجد[٩٨]، وفي وسطه مغارة مفتوحة علقت فيها مصابيح توقد ليلا ونهارا، وفي أرضه شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور من ديباج؛باستثناء قبر يوسف عليه السلام فإنه في آخر المسجد في ركنه الغربي في محل يغلق عليه ولا يفتح إلا في أوقات مخصوصة، واقتحمنا دخول المسجد اقتداء بمن جوز ذلك من العلماء ورخص فيه، وان كثير من أئمتنا المالكية قد شددوا في ذلك التكبر وقالوا: لا يحل دخوله لأن قبور الأنبياء مقطوع بأنها هناك، ولا نعلم أعيانها، فكل محل نطأ فيه يمكن أن يكون هو موضع القبر، ولا يحل الجلوس والمرور على قبر مسلم، فكيف بقبر نبي، ولكن العمل منذ افتتحت البلاد على خلاف ذلك، فقد صار ذلك المحل مسجدا تقام فيه الجمعة والجماعات على مر الإعصار، والعلماء الأخيار يفدون عليه ويسمونه في تآليفهم وأسمعتهم مسجدا، وحكم المسجد لا يمنع أحد من الدخول فيه، وقد استدل لجواز الدخول فيه الحنبلي مؤرخ القدس"[٩٩].

حرص العياشي أثناء رحلته إلى بيت المقدس على زيارة الأضرحة والتبرك بالمقامات والوقوف على بعض الزوايا والمقامات، وأورد كثيرا من أخبار المتصوفة والزهاد أكد على مكانتهم الروحية والاجتماعية وليس غريبا عليه ذلك لكونه متصوف وفقيه.

الخاتمة

أظهرت رحلة العياشي إلى فلسطين في القرن السابع عشر في بعض الأحيان، بعض الجوانب السياسية والاجتماعية، وحالة العمران في المدن والقرى التي زارها، وحالة الأمن على الطرق خصوصًا وأنّ بعض القرى كانت تعاني وجودَ قطاع الطرق، والذين حالوا في بعض الأحيان من وصوله إليها، كما أعطى العياشي صورة عن الحياة العلمية لمدن فلسطين وقراها عند زيارته لبعض المساجد، وقد غلب عليها الطابع الصوفي؛ إذ لم يلفت اهتمامه علوما أو معارف جديدة فقد كان ناقدا في بعض الأحيان للحالة التي وصل إليها التعليم هناك، ويرجع السبب إلى إزدهار التصوف آنذاك واستمرار تدريس العلوم الشرعية: علم الحديث، الفقه، التفسير، الفرائض، القراءات. والعلوم اللسانية: النحو والصرف واللغة والأدب. في المدارس الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، إذ لم تكن المواد التي تدرَّس في دور التعليم بالقدس وقرى فلسطين الأخرى تخرج عن هذه العلوم.

وهكذا نرى أن العياشي لم يكن مهتماً بالناحية الثقافية لمدينة القدس، ولم يصف مدارسها رغم أن الرحالة المغاربة غايتهم من الارتحال الاستزادة من العلم والالتقاء بأكبر قدر من العلماء، وسماع الدروس العلمية لكن إهتمام العياشي بالدرجة الأولى، كان منصبّا على الجوانب الدينية كالمساجد والزوايا والربط، والجوانب الروحية كالانتماء إلى الطرق الصوفية، لا سيّما النقشبندية والرفاعية، والحصول من أصحابها على إجازات وشهادات، وزيارة القبور والأضرحة والتبرك بها. وكان يقدم بين يدي شيوخه الجدد بعض الأشعار للشكر والتقدير. وقد نفهم أن العياشي أراد أن يسجل في رحلته عن القدس وغيرها ما كان يشغل بال متعلمي المغرب عندئذ، وهي شؤون الدين والتصوف وأسماء المشتغلين بهما في المشرق.

ولم يكن العياشي ذا بال تجاه الجوانب الاقتصادية للمدينـة، فلـم يـذكر تعـدادا لسكانها، أو كيف انعكست أوضاع الدولة العثمانية على سكانها وما عانوه مـن فقـر وتردي في أحوالهم الاقتصادية.

الهوامش والتعليقات:

١. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢م، ج٢، ص٨٨٣، وسيشار إليه فيما بعد: الكتاني، فهرس الفهارس، الإفراني، محمد بن الحاج بن عبدالله بن محمد (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركزالتراث الثقافي، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٤٢، وسيشار إليه فيما بعد: الإفراني، صفوة من انتشر

٢. وهو الشيخ الصوفي أبو عبدالله محمد بن أبي بكر العياشي، توفي سنة سبع وستين والف. الإفراني، صفوة من انتشر، ص٢٤٢

٣. العياشي، إقتفاء الأثر، ص ١٠٣

٤. مدينة صغيرة جنوب المغرب بينها وبين سجلماسة اربعة فراسخ. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ٤٥١

٥. سكن فاس وتصدر لبث العلم ونشره، فشاع خبره، وتناقل حديثه الركبان، وتنافس في الرواية والأخذ عنه الأئمه الكبار، وسافر اليه الناس من جميع الاقطار للانتفاع بعلمه، وقد الف فيه ولده الفقيه الحافظ ابو زيد عبدالرحمن: تحفة الأكابر في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر، والاخر بستان الازاهر في أخبار الشيخ عبد القادر (صفوة)، ص٣١٠-٣١٤؛ العياشي، إقتفاء الأثر، ١١٠

٦. شيخ الجماعة بفاس، وخطيب جامع الأندلس بها، ارتحل في طلب العلم من مؤلفاته: شرحه على مختصر خليل. انظر:الطيب الفاسي، أسهل المقاصد، ص٨٤

٧. كان من العارفين في علم الأحكام، له تآليف عدة شرحه الكبير والصغير على المرشد المعين، وزبدة الأوطاب في اختصار الحطّاب، وشرح تحفة ابن عاصم، وشرح لامية الزقاق، وحاشية البخاري اختصر فيها المقدمة لابن حجر. صفوة ص٢٥١، العياشي، إقتفاء الأثر، ص١١

٨. العياشي، إقتفاء الأثر، ص١٠٢

٩. العياشي، اقتفاء الأثر، ص١٠٢-١٠٣

١٠. عليّ بن زين العابدين محمّد بن أبي محمّد زين الدين عبد الرّحمن بن علي أبو الإرشاد نور الدين الأجهوريّ، بضمّ الهمزة وسكون الجيم وضمّ الهاء نسبة إلى أجهور الورد قرية بريف مصر، المالكيّ، شيخ المالكيّة في عصره بالقاهرة، وإمام الأئمة وعلم الإرشاد وعلامة العصر وبركة الزمان، كان محدّثًا فقيهًا رجل كبير الشأن. المحبّي، خلاصة الأثر، ج٢، ص٢١٦

١١. العياشي، إقتفاء الأثر، ص١٠٦

١٢. الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص٨٣٣

١٣. الإفراني، صفوة ص٣٢٥؛ الزركلي، الأعلام، ص١٢٩

١٤. الإفراني، صفوة من انتشر، ص٣٢٥-٣٢٦

١٥. الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص٨٣٤

١٦. المصدر السابق، ص٣٢٥،

١٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ٤٠٤

١٨. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٠٤

١٩. المصدر السابق، ص٤٠٧

٢٠. المصدر السابق، ص٤٠٨

٢١. عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز، ق١، ص ٤٣٧.

٢٢. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٦٤

٢٣. البيارق: مفردها بيرق وكان يطلق في الأصل عند أتراك آسيا الوسطى على قطع الاقمشة المختلفة الألوان المنوحة للأبطال الذين أظهروا البسالة والإقدام في الحرب، ثم أصبح يطلق على قادة الكتائب وأصبح ذلك العلم رمزا لهم. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٦٨-٦٩وسيشار إليه فيما بعد: سهيل صابان، المعجم الموسوعي؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، درت سعادت، اسطنبول، ١٣١٧هـ، وسيشار اليه فيما بعد: شمس الدين سامي، قاموس تركي

٢٤. العياشي، الرحلة العياشية، ص٤٠٨

٢٥. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٧-٤١٨

٢٦. المصدر السابق، ص٤١٤

٢٧. للمزيد انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ ص٤٢٠؛ رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٨٠

٢٨. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٥-٤١٤

٢٩. مصطلح من أصل فارسي، وتعني صاحب المنصب، واستخدمها أيضا الأتراك للدلالة على الضباط الأميين مثل الإنكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراءة والكتابة، انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي، ص١٥-١٦؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص٣٨

٣٠. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ٤١٩-٤٢٠

٣١. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٠

٣٢. عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٧، وسيشار إليه فيما بعد: عادل مناع، تاريخ فلسطين

٣٣. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢١

٣٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٢١

٣٥. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢

٣٦. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٣

٣٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤٢٣

٣٨. يقع قبره في مدينة القدس، وبجواره يوجد قبر زوجته، قال النابلسيّ في وصف قبره: "ثمّ خرجنا فذهبنا إلى زيارة الشيخ محمد العلمي قدّس الله سرّه وأعلى درجات المقربين مقرّه، حتى دخلنا إلى جامعه المعمور وتربته المملوءة من النور، ورأينا تلك المنارة العالية التي هي كالعلم المنشور، فوق جبل الطور، ودخلنا إلى زيارته بكمال الخشوع والحضور، ونزلنا إلى قبره بدرج العشر

درجات...، وكانت وفاة الشيخ رحمه الله تعالى ليلة الأحد منتصف شهر ذي الحجّة الحرام سنة ثمان وثلاثين وألف، وعنده زوجته مدفونة في ضريح آخر وعلى القبرين جلالة ومهابة تحقق لمن دعا الله.عبد الغني النابلسيّ، الحضرة الأنسيّة، ص ١٩٧

٣٩. وتحاط هذه المغارة بقناديل من الذهب مشعلة في الليل والنهار، ومهبط رأس عيسى عليه السلام غائص في الصخر، وهو مزين بالذهب وموضوع فيه ماء الورد للتبرّك، وعليه القناديل الموقدة من الذهب في جميع الأوقات، ومكان جذع النخلة التي ولد تحتها مزين بالذهب، وعليه القناديل من الذهب أيضًا مشعلة في جميع الأوقات. عبد الغني النابلسي، الحضرة الأنسيّة، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ الخياري المدني، تحفة الأدباء، ج٢، ص ١٩٦؛ محمد عدنان البخيت، "بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور النصارى وجوارها"، بحث منشور ضمن كتاب دراسات مهداة إلى صلاح الدين المنجد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، لندن، ٢٠٠٢م، ص٢٣١-٢٥٨، وسيشار إليه في ما بعد: بيت لحم، بيت جالا، وبيت ساحور.

٤٠. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤٢٣

٤١. روي عن أبي هريرة أنّ الله تعالى اختار من المدائن أربعًا في خبر، ثمّ قال: واختار من العيون أربعًا...، فأمّا اللتان تجريان فعين بيسان وعين سلوان، وأمّا النضّاختان فعين زمزم وعين عكا. ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص٢٥٠.

٤٢. العياشي، الرحلة العياشية، ، ج٢ص٤٢٤

٤٣. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٤

٤٤. أصلهم من قريش، وينتمون إلى الحسين بن فاطمة الزهراء، غادر جدهم فاعور الطائف، هربا من الظلم الذي حلّ في الحجاز في ذلك الوقت، وكان سالم أحد الأفراد الذين ينتمون إلى هذه العشيرة رحل عن وادي الصرار إلى قضاء غزة، وأقام هناك. انظر: عارف العارف، بئر السبع وقبائلها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٥-١٤٦، وسيشار إليه فيما بعد: عارف العارف، بئر السبع

٤٥. العياشي، الرحلة العياشية، ص٤٠٤

٤٦. المصدر السابق، ص٤٠٦

٤٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢ص٤٠٧

٤٨. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٥-٤٢٦

٤٩. المصدر السابق

٥٠. للمزيد انظر: صفيه محمد السلامين، بلاد الشام في مؤلفات عبدالغني النابلسي، ص٢٥٠-٢٦٠

٥١. عادل مناع، فلسطين، ص١٦

٥٢. عادل مناع، فلسطين، ص١٦-١٧

٥٣. ذكرت الباحثة بعض أسباب الأزمة الاقتصاديّة التي تمرّ بها الدولة العثمانيّة في التمهيد لأوضاع الدولة العثمانيّة: السياسيّة والاقتصاديّة.

٥٤. عبد الكريم رافق، "فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلاديّ"، الموسوعة الفلسطينية (القسم الخاص)، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، مج٢ ص٧٠٠، وسيشار إليه في ما بعد: عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيّين.

٥٥. إبراهيم بن عبد الرّحمن الخياري، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، ج٢، ص٢٧٢.

56. Evliya Tschelebi's, "Travels in Palestine", Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol. VIII, 1938,pp. 145

57. Evliya Tschelebi's, Travels in Palestine, pp.146

58. Henry Maundell, A Journey from Aleppo to Jerusalem 1967,on Early Palestine, Edited By Thomas Wright, AMS Press,New York,p 348 ، صفية السلامين، بلاد الشام، ص ٢٥٦

٥٩. P349 Henry Maundell, A Journey from Aleppo to Jerusalem, أشار البكري الصديقي إلى خطر قطاع الطرق وهو في طريقه إلى القدس. وممّا ورد في ذلك قوله: "فبينما نحن نسير ضحًى في تلك البقاع، وإذا بمردف ومعه آخر من القطاع، فعرف الركب أنّهم طليعة،

فاجتمعوا واطلعوا المكاحل البديعة، حتى ملأوا تلك الصحراء من ضربهم وأعلموا الكامنين بشدة بأسهم وحربهم". انظر: البكري الصديقي، الخمرة الحسيّة، ص٨، ورقة أ. صفية السلامين، بلاد الشام في مؤلفات عبد الغني النابلسي، ص٢٥٩

٦٠. عادل مناع، فلسطين، ص١٥-١٦

٦١. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٠٨

٦٢. المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٩

٦٣. المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥٨-٤٥٩

٦٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٠٩

٦٥. المصدر السابق، ج٢، ص٤١٣

٦٦. بناه سليمان بن عبد الملك عندما ولي الخلافة في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، وفي صحنه مغارة تحت الأرض دفن فيها سيدنا صالح النبي، عليه السلام، ثمّ لّما فتح الملك الظاهر بيبرس يافا سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م عمر القبة التي على المحراب والباب المقابل لها. ومئذنته أنشئت في أيام السلطان محمد بن قلاوون على أنقاض منارة قديمة بناها الظاهر بيبرس. انظر: الموسوعة الفلسطينية، مج٢، ص٤٧٦؛ الدباغ، معجم بلادنا فلسطين، ج٤، ق٢، ص٤٤٧-٤٤٩

٦٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤١٩

٦٨. المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٩-٤٢٠

٦٩. اللقيمي، مصطفى أسعد (ت١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م)، موانح الأنس في رحلتي لوادي القدس، (تحقيق مروان القدومي، عمار توفيق بدوي، عبد الرحمن المغربي)، مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات، باقة الغربية، ٢٠٠٤م.

٧٠. هو عبد القادر بن أحمد بن يحيى بن محمد ابن اسماعيل بن شعبان المعروف بابن الغصين الغزيّ الشافعي، العالم العامل والولي الصالح، تعلّم في مصر واخذ الطريقة الرفاعيّة عن محمد المقدسي. المحبي، خلاصة الاثر، ج٢، ص٤٣٧

٧١. عمر بن عبدالقادر المشرقي الغزي، تولى الفتيا، توفي بغزة ١٠٨٧هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج٣، ص٢١٢

٧٢. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٢-٤١٣

٧٣. هو عبد القادر بن أحمد بن يحيى بن محمد ابن اسماعيل بن شعبان المعروف بابن الغصين الغزيّ الشافعي، العالم العامل والولي الصالح، تعلّم في مصر واخذ الطريقة الرفاعيّة عن محمد المقدسي، زاره الخياريّ المدنيّ في رحلته إلى القدس. الخياري المدني، تحفة الأدباء، ج٢، ص٢٠٣؛ المحبي، خلاصة الاثر، ج٢، ص٤٣٧

٧٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤١٥

٧٥. ينتسب خير الدين إلى عليّ بن عليم من ذريّة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، طلب العلم في الجامع الأزهر ثمّ تحوّل إلى المذهب الحنفيّ، وفي عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٥م مارس التدريس والإفتاء، وذاع صيته، ووردت إليه الأسئلة من مختلف البلاد. للمزيد عن الرّمليّ وفتاويه. انظر: Haim Gerber, "Palestine and other Territorial Concepts in the 17th Century".Journal of Middle East studies, Vol 30.Nov 1998,pp. 563-572

٧٦. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٥

٧٧. المصدر السابق، ج٢، ص٤١٦

٧٨. عبد الغني النابلسيّ، الحقيقة والمجاز، ق١، ص٤٠٠، وضريحه يقع على يسار الذاهب إلى القدس من يافا، في مسجد على اسمه في الشارع الرئيس مقابل دير الراهبات، من عائلة العجو، وهو مزار مشرف جلي الأنوار. شكري عراف، طبقات الأنبياء، ج١، ص٩٥

٧٩. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٨-٤١٩

٨٠. عبد الغني النابلسيّ، الحضرة الأنسيّة، ص٧٣.

٨١. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤٥٨-٤٥٩

٨٢. المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٢-٤٦٣

٨٣. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٦٥-٤٦٦

٨٤. المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٧

٨٥. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٨

٨٦. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٨-٤٢٩

٨٧. عبد الغني النابلسي، الحضرة الأنسيّة، ص٢٣٣؛ عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز، ق١، ص٣٨٤، الحسيني، تراجم أهل القدس، ص٨٦.

٨٨. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٣١

٨٩. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٥٧

٩٠. عبد الغني النابلسيّ، الحقيقة والمجاز، ق١، ص٤٦٣

٩١. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤١٣-٤١٤

٩٢. المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٤

٩٣. هو إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي، أحد المتصوّفة، قدم من بلدة متبول إلى مصر وصار يبيع الحمص المسلوق، ثمّ أقام بزاوية بدرب السر، ثمّ تحول إلى زاوية تعرف بدرب السباع، وصار الفقراء يتردّدون عليه، ويقصده الأكابر والأعيان لزيارته والتبرّك به، خرج إلى القدس فمات في الطريق، فدفن بأسدود عند سليمان الفارسي، وقيل إنه عاش مئة وتسع وتسعين سنة. انظر ترجمته: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ج١، ص٨٥-٨٦، وسيشار إليه فيما بعد: السخاوي، الضوء اللامع؛ النابلسيّ، الحقيقة والمجاز، ج٢، ص٤٢٤.

٩٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٥-٤١٤

٩٥. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٢٢٧.

٩٦. أبو محمد عبد الرحمن بن عوف الصحابي، توفي ٣٢هـ/ ٦٥٢م، وقد نقل أنه توفي بالمدينة. مجير الدين العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص١٣٢

٩٧. ص ٤١٩-٤٢٠

٩٨. عبد الغني النابلسيّ، الحضرة الأنسيّة، ص٢٦٠، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص١٢٣، قال عنها ابن الفقيه: "ومدينة اللجون فيها صخرة عظيمة مدوّرة خارج المدينة، وعلى الصخرة قبّة زعموا أنها مسجد إبراهيم"، ويلتقي الهروي معه بالقول إنّ فيها قبر إبراهيم عليه السلام. انظر:، الهروي، الإشارات، ص٢٣؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥٤

٩٩. ص٤٥٧-٤٥٨

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- الإفراني، عبدالله بن محمد (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م.
- البكري الصديقي، مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين (ت١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م)، الخمرة الحسيّة في الرّحلة القدسية، نسخة دار التراث الإسلامي في إبريديس، نسخة مصورة مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان.
- الحسيني، حسن عبد اللطيف (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، (تحقيق سلامة نعيمات)، منشورات الجامعه الأردنية، عمان، ٢٠١٠م.
- رنسمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية (٣ج)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت
- العليمي، مجير الدين الحنبلي (٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط١، ٢ج تحقيق محمود عودة الكعابنة، مكتبة دنديس، عمان، ١٩٩٩م
- الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢م،
- اللقيمي، مصطفى أسعد (ت١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م)، موانح الأنس في رحلتي لوادي القدس، (تحقيق مروان القدومي، عمار توفيق بدوي، عبد الرحمن المغربي)، مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات، باقة الغربية، ٢٠٠٤م.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت:١١١١هـ/ ١٦٩٩م) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر٤ج، مكتبة خياط، بيروت، دون تاريخ.

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ٣ج، ق٣، (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور)، مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت: ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م)، الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ط١ (دراسة وتحقيق: أكرم العلبي)، دار المصادر، بيروت، ١٩٩٠م.
- ـــــ، الحقيقة والمجاز؛ في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، دار المعرفة، دمشق، دون تاريخ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) تهذيب الأسماء واللغات، ادارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت .
- الهروي، الحسن علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، جانين سورديل، دمشق، ١٩٥٣م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥مج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

المراجع:

- البخيت، محمد عدنان، "بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور النصارى وجوارها"، بحث منشور ضمن كتاب دراسات مهداة إلى صلاح الدين المنجد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، لندن، ٢٠٠٢م، ص٢٣١-٢٥٨، الدباغ، مصطفى مراد (ت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، بلادنا فلسطين (١٠ج)، دار الهدى، كفر قريع، ٢٠٠٢م.
- رافق، عبدالكريم "فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلادي"، الموسوعة الفلسطينية (القسم الخاص)، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، مج٢ ص٧٠٠، وسيشار إليه في ما بعد: عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيّين.
- السلامين، صفية محمد، "بلاد الشام في مؤلفات ورحلات الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م)، رسالة ماجستير، بإشراف، محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٢م
- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠
- شمس الدين سامي، قاموس تركي، درت سعادت، اسطنبول، ١٣١٧هـ.
- عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٩م.
- عارف العارف، بئر السبع وقبائلها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٥-١٤٦، وسيشار إليه فيما بعد: عارف العارف، بئر السبع.
- عراف، شكري، طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة، ٢ج، القاهرة ١٩٩٣م.
- الموسوعة الفلسطينية (٤مج)، تحرير عبد الهادي هاشم، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.

المراجع باللغة الإنجليزية

- Evliya Tschelebi's, "Travels in Palestine", Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol. VIII, 1938,pp. 145.
- Henry Maundell, A Journey from Aleppo to Jerusalem 1967,on Early Palestine, Edited By Thomas Wright, AMS Press,New York,p 348
- Haim Gerber, "Palestine and other Territorial Concepts in the 17th Century".Journal of Middle East studies, Vol 30.Nov 1998,pp. 563-572

Supervisory and Editorial

General Supervisor

Dr. Bakry bin Matuq Assas

Rector, Umm Al-Qura University

Vice-General Supervisor

D. Thamir bin Hamdan Al-Harbi

Vice-Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor in Chief

Prof. Yousef bin Ali Althagafi

Members

Prof. Abdullah Bin Saeed Al-Gamidi

Prof. Abdullah Bin Mosleh Al-Thomaly

Prof. Lutf Allah Bin Mullah Khojah

Prof. Ghaleb Bin Mohammed Hamdhi

Prof. Ahmed Bin Qochti Maklof

Dr. Mohammed Bin Abdullah Al-Suwat

Prof. Wafaa Bint Abdullah Al-Mazroa

Prof. Afnan Bint Mohammed Tilmisani

In the Name of Allah

The Most Gracious The Most Beneficent

Umm Al-Qura University

Journal of Islamic Knowledge (Shari'a) and Islamic Studies

Volume No. 66

Jumada I 1437Ah. May . 2016